فلسطين في القلب

خواطر قلوب مؤمنة بالقضية الفلسطينية، وقصائد



مؤسسة الفكر التنموي

فلسطين في القلب

خواطر قلوب مؤمنة بالقضية الفلسطينية، وقصائد

مؤسسة الفكر التنموي

2026

مؤسسة

الفكــر

التنموي

كتاب: فلسطين في القلب - خواطر قلوب مؤمنة بالقضية الفلسطينية.

رقم الإيداع القانوني: ISBN : 978-9969-9803-1-8

شكر خاص لرئيس لجنة القراءة والتدقيق والاستشارة اللغوية: أ. د. على كشرود.

شكر خاص لأمينة الكتاب: السيدة: ليندة واضح.

شكر خاص لمصممة ومنسقة الكتاب والغلاف: هاني ابتسام.

مؤسسة الفكر التنموي: مؤسسة إنتاج فكري ونشر الكتب / الجزائر.

Tel / WhatsApp / Telegram: +213550160055/ +213550160083

Email: fikr.tanmawi@gmail.com / admin@fikr-tanmawi.com

Web site: fikr-tanmawi.com



الإهْـدَاءُ

إلَى فِلِسْطِينَ...

إلَى الأَرْضِ الَّتِيْ تَنْزِفُ وَلَا تَنْحَنِيْ، وَإِلَى الزَّيْتُونَةِ الَّتِيْ تُقَاوِمُ جُذُورُهَا عَوَاصِفَ الطُّغْيَانِ.
إِلَى الأُمِّ الَّتِيْ تُوَدِّعُ أَبْنَاءَهَا كُلَّ صَبَاحٍ عَلَى أَمَلِ عَوْدَةٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَإِلَى الطِّفْلِ الَّذِيْ يَحْمِلُ فِيْ عَيْنَيْهِ وَطَنًا أَكْبَرَ مِنْ طُفُولَتِهِ.

إِلَى الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ خَطُّوا بِدِمَائِهِمْ أُنْشُودَةَ الحُرِّيَّةِ، وَإِلَى كُلِّ أَسِيرٍ صَامِدٍ، وَكُلِّ لَاجِئٍ مُشَرَّدٍ، وَكُلِّ قَلْبٍ نَابِضٍ بِالحُبِّ لِفِلِسْطِينَ...

نُهْدِيْ هَذَا الكِتَابَ عُرْبُونَ وَفَاءٍ وَرَمْزٍ وَتَضَامُنٍ؛ وَوَعْدًا مِنَّا بِأَنْ تَبْقَى الكَلِمَةُ العَدْلُ وَالفَيْصَلُ حُرَّةً، مَا دَامَ فِينَا نَفَسٌ يَتَرَدَّدُ.

تَقْدِيم الكتاب

كلمة رئيس لجنة التدقيق والاستشارة اللغوية: أ. د. علي كشرود

هَذَا الكِتَابُ الَّذِيْ نُقَدِّمُهُ اليَوْمَ، لَيْسَ مُجَرَّدَ صَفْحَاتٍ تُسَطَّرُ بِالحِبْرِ، بَلْ هُوَ نِدَاءُ الضَّمِيرِ الإِنْسَانِيِّ الحَيِّ، وَمِرْآةٌ لِوِجْدَانٍ جَمْعِيٍّ مُتَأَلِّمٍ لِحَالِ فِلِسْطِينَ وَأَهْلِهَا. لَقَدِ اِجْتَمَعَتْ فِيهِ أَصْوَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالكُتَّابِ وَالأُدَبَاءِ وَمُخْتَلِفِ أَطْيَافِ المُجْتَمَعِ مِنْ أَقْطَارٍ شَتَّى... مُتَوَحِّدَةً عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ: أَنَّ فِلِسْطِينَ قَضِيَّتُنَا، وَأَنَّ شَعْبَهَا المُقَاوِمَ رَمْزٌ خَالِدٌ لِلْحُرِّيَّةِ وَالكَرَامَةِ وَالعَدْلِ.

إِنَّ مَا بَيْنَ دَفَّتَيْ هَذَا الكِتَابِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْ إِسْهَامَاتٍ أَدَبِيَّةٍ؛ إِنَّهُ عُرْبُونُ وَفَاءٍ وَإِخْلَاصٍ وَمَحَبَّةٍ، وَبَصْمَةٌ وِجْدَانِيَّةٌ تُعَبِّرُ بِحَقٍّ عَنْ تَفَاعُلِ القُلُوبِ وَالعُقُولِ مَعَ جِرَاحِ الشَّعْبِ الفِلِسْطِينِيِّ وَصُمُودِهِ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ الكَلِمَةَ الحُرَّةَ تَظَلُّ سِلَاحًا لَا يَقِلُّ شَأْنًا عَنِ الحَجَرِ وَالبُنْدُقِيَّةِ فِيْ مَعْرَكَةِ البَقَاءِ وَالكَرَامَةِ.

وَإِنَّ لَجْنَةَ التَّدْقِيقِ وَالإِسْتِشَارَةِ اللُّغَوِيَّةِ، إِذْ تَرْفَعُ هَذَا الجُهْدَ الجَمَاعِيَّ النَّبِيلَ إِلَى مَقَامِهِ، لِتَتَقَدَّمَ بِخَالِصِ الشُّكْرِ وَالعِرْفَانِ لِكُلِّ الأَقْلَامِ الَّتِيْ أَسْهَمَتْ بِإِيجَابِيَّةٍ فِيْ صِيَاغَةِ هَذِهِ اللَّوْحَةِ الإِنْسَانِيَّةِ المُشْرِقَةِ. لَقَدْ نَسَجَ كُلُّ مُشَارِكٍ بِخَاطِرَةٍ أَوْ قَصِيدَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ... خَيْطًا مِنْ نُورٍ فِيْ ثَوْبٍ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَكُونَ أَجْمَلَ هَدِيَّةٍ نُقَدِّمُهَا لِشَعْبِ فِلِسْطِينَ المُنَاضِلِ، عُرْبُونَ تَضَامُنٍ وَإِيمَانٍ ثَابِتٍ بِعَدَالَةِ قَضِيَّتِهِ.

فَلْيَكُنْ هَذَا الكِتَابُ، صَوْتًا آخَرَ يُضَافُ إِلَى أَصْوَاتِ الحُرِّيَّةِ فِيْ العَالَمِ، وَشَاهِدًا عَلَى أَنَّ فِلِسْطِينَ لَيْسَتْ وَحْدَهَا، وَأَنَّ قَضِيَّتَهَا سَتَظَلُّ حَيَّةً فِيْ الوِجْدَانِ مَا بَقِيَ فِيْ الإِنْسَانِ نَبْضٌ وَفِيْ الكَلِمَةِ حَيَاةٌ.

هَا هُوَ الكِتَابُ، يَطْوِيْ صَفْحَاتِهِ لَا لِيُغْلَقَ عَلَى كَلِمَاتٍ وَحُرُوفٍ فَحَسْبُ، بَلْ لِيُفْتَحَ عَلَى مَعْنًى أَبْقَى وَأَوْسَعَ: أَنَّ فِلِسْطِينَ قَضِيَّتُنَا جَمِيعًا، وَأَنَّ الكَلِمَةَ الحُرَّةَ جِسْرٌ مُمْتَدٌّ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَبَيْنَ مُعَانَاةِ شَعْبِهَا...

لَقَدْ اِجْتَمَعَتْ هُنَا أَقْلَامٌ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْ مَشَارِبَ شَتَّى؛ لَكِنَّهَا اِلْتَقَتْ عَلَى يَقِينٍ وَاحِدٍ: أَنَّ العَدْلَ لَا يُمْحَى، وَأَنَّ الحُرِّيَّةَ قَدَرٌ لَا مَفَرَّ مِنْهُ مَهْمَا طَالَ اللَّيْلُ وَاشْتَدَّتِ المِحَنُ.

فَلْيَكُنْ هَذَا العَمَلُ الجَمَاعِيُّ المُتَوَاضِعُ، شَاهِدًا عَلَى صِدْقِ اِنْتِمَائِنَا لِلْحَقِّ، وَعَلَى أَنَّ الكَلِمَةَ حِينَ تَتَوَحَّدُ تَغْدُو جِدَارًا مَنِيعًا فِيْ وَجْهِ النِّسْيَانِ.

وَمَافِلِسْطِينُ إِلَّا نَبْضُ القَلْبِ وَوَهَجُ الرُّوحِ، وَسَتَظَلُّ كَذَلِكَ حَتَّى يَزُولَ الظُّلْمُ وَيُشْرِقُ فَجْرُ الحُرِّيَّةِ

فِلِسْطِينُ، قَصِيدَةٌ لَا تَنْتَهِي

كلمةُ المنسّقةِ العامّةِ لِإئتِلافِ صَوتِ فِلِسْطِينَ... رجاء جودة-غَزَّةُ

فلسطينُ، قصيدة لا تنتهي، وحنين يسكن الأرواحَ مهما اِبتعدتِ المسافاتُ. هي الأرض الّتي تنبض بالزَّيتون والدَّمع، وتكتب تاريخها بالحجر والصَّبر، وتغرس في القلوب وعْدَ العودة كما يَغرِس الفلّاحُ بذوره في ترابها.

إنّنا في صوت الشّعوب مِنْ أجل فلسطين نؤمن أنَّ الكلمة جسرٌ يَعْبُر به الحلم إلى الحقيقة، وأنَّ الخواطر حين تُكتب عَنْ فلسطينَ، فإنها لا تُسطَّر بالحبر فقط، بل بالذّاكرة والوِجْدان.

هنا، نشارككم نبضنا، لنقول: "فلسطينُ، ليست حكايةً تُروى، بل روحًا تعيش فينا، وتنادي الحرّيّة والكرامة، وتظلُّ أكبرَ مِنْ كلِّ قيود.

فلسطينُ، ليست مجرّد أرض، بل هي ذاكرة الشُّعوب وضمير الإنسانيّة. هي الحلم الّذي يورّث مِنْ جيل إلى جيل، والجرح الّذي يكشف صمْتَ العالَم وازدواجيّةَ معاييره. نكتب عَنْ فلسطينَ، لنُبْقيَ الحقيقةَ حيّةً، ولنجعلَ صوتَها يتردّد في القلوب قبل المنابر.

إنّ هذا الكتاب بما يحمله مِنْ خواطرَ صادقةٍ، هو شهادة على أنَّ فلسطينَ لم ولن تُمحى مِنَ الوِجدان، وأنَّ صوْتَ الشُّعوب سيبقى أقوى مِنْ محاولات الطَّمسِ والتَّغييب.

مِنْ غزَّةَ المحاصرةِ إلى القدس الجريحِ، ومِنَ المخيّمات إلى المنافي... تبقى فلسطينُ قصَّة صمودٍ وكرامة، ونداءً مفتوحًا لكلِّ أحرار العالَم أنْ يقفوا إلى جانب الحقِّ والعدالة.

فِلسْطِينُ لَيْسَتْ أَرْضًا فَقَطْ، هِيَ مَقَامٌ يُبْتَلَى فِيهِ القَلْبُ

كلمة مؤسس مشروع التمكين الاقتصادي وتحسين سبل العيش في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا - د. دليل سوامي

هل يثبت على العدل حين يطول الظّلم؟ وهل يبقى حيًّا حين يُراد له أن يعتاد؟ وهل يتذكّر أم يختار النِّسيان رحمةً بنفسه؟

نقول كلّ يوم: سنخبر ثمّ نصمت. ليس لأنّ الحكاية اِنتهت، بل لأنَّ الكلماتِ تخون حين يُطلب منها أنْ تَحمل ما لا يُحمل.

فما كلّ وجعٍ يُقال، وما كلّ حقٍّ يُصرخ، وبعض القضايا تُحفظ في السّرّ، كما تُحفظ الأمانات الثّقيلة.

"فلسطين في القلب"، ليس كتاب موقف، بل كتاب حال.

لا يُطلب من قارئه أنْ يكون بطلًا، بل أن يكون صادقًا مع رجفة قلبه حين يمرّ الإسم.

هنا، لا نبحث عنْ فلسطينَ في الخرائط، بل في ذلك الإنكسار الكبير الّذي تشعر به، وفي الدّعاء الّذي يخرج منك بلا ترتيب، وفي السّؤال الّذي لا جواب له: كيف يُسلب الحقّ ويبقى الحقّ حقًّا؟

فلسطين، تُربّي فينا معنى الفقد النّبيل، وتعلّمنا أنَّ بعض الخسارات ليست هزيمة، وأنَّ الصبر ليس سكونًا، بل ثبات الرُّوح حين تُحاصر. هي جرح، لكنّه جرحٌ يُبقي القلب يقظًا.

وهي غياب، لكنّه غياب يعلّم الحضور. فمن ذاق معناها، لم يعد كما كان؛ لأن فلسطين إذا دخلتِ القلب، أعادت ترتيب المقامات.

هذا الكتاب، لا يزاحم المآذن، ولا ينافس الدُّعاءَ، بل يجلس في الزّاوية، متأدِّبًا يذكّر فقط أنَّ الطريق إلى الله يمرّ أحيانًا عبر المظلومين، وأنَّ نصرة الحقّ قد تكون دمعةً صادقةً أوِ اِمتناعًا عنِ النِّسيان.

فلسطين في القلب؛ لأن القلب آخر ما بقي حرًّا.

ولأنّ الله، لا يسألنا عمّا لم نقدر عليه، بل عمّا فعلته القلوب حين رأت وعرفت، ثمَّ اِختارت.

هذا الكتاب، محاولة للذكر، والذّكر حياة. فإنْ سكنت فلسطين في القلب، لم يمتِ الضّمير ولو خفت الكلام وطال الظّلام.

القلب، آخر قلاع المقاومة

كلمة مؤسّسة الفكر التّنمويّ - المفكر الحضاري إبراهيم تاج

1

عندما تسقط الحصون والقلاع بعد الحصار، تهدم الأسوار العالية، و تكسر الأبواب العاتية... وتقطع رؤوس الأبرياء، وتعلق على الرماح، وتسيل دماء النساء والأطفال فتصبغ الأرض والشوارع بالحمرة القانية... وتدك عظام المسنين وجماجم الحكماء... قد تهتك أعراض العائلات الشريفة، وتذل أنوف الكرام في التراب... وقد تخرج الأعيُنُ من محاجرها من شدة الهلع، بعض القلوب يتوقف نبضها من صدمة المواقف وبشاعة المشاهد وهول ما يحدث... قد ينهب المعتدي المباني والمعادن والأسواق، فيتملكها عدوانا، وقد يستعبد الرقاب... ولكن، أبدا لن يستطيع أن يملك القلوب؛ لأنها -أي القلوب- آخر قلاع المقاومة التي لا ولن تسقط أبدا.

فيا أيها المؤمن بالقضية، إنّ إيمانك هو النصر؛ لأنها بذرة لها حاضر الوجود، ومستقبل النمو... مثل شجرة ثابتة، جذورها عميقة راسخة، وفرعها باسق في السماء، يحمل راية كتب عليها **" لا غالب إلَّا الله".**

وحين تنهزم الجيوش في المعارك... تبقى قلوب المؤمنين صامدة، تحمي بنيّاتها الصادقة ضمير الإنسان، ومكارم الأخلاق، وسرّ الوجود، وروح الحرية... فالقلوب آخر القلاع.

فيا أيّها المؤمن بالقضية... إنّ القلوب التي لا تنهزم أمام حصار الإشاعات والأكاذيب والمغريات، هي القلوب التي لا تتزعزع بوصلتها، فالاتّجاهات عندها ثابتة، لا تتأثر بخداع المحتالين، ولا تشتيت المهرِّجين، ولا وهمّ المتلاعبين بالعقول... فمن رَحِم القلوب الصامدة يولد الأمل، فالصمود يولد كفكرة منيرة، وكتحيز إيجابي، فإما أن يكون مع أو ضد، ضد التدمير البشري و طغيان الإنسان.

2

كائن ظلامي في المنطقة، ما زال يعيش على الخرافات القديمة... يقتات على الخراب والقتل، تسبقه رائحة الموت والجثث المتآكلة... بارد كجسد بلا روح، ومتصلب العروق والمفاصل... لا لون له؛ لأنّه لا يود الجلوس تحت الشمس. وغائر العينين؛ لأنه يبيت مع الشيطان يحيك دسائس الشر، بنيّاته الخبيثة الكارهة لكل جميل وأصيل... حقد العالم يسكنه، يريد أنْ ينتقم منَ الجميع لأحداث غائرة في التاريخ... يفسرها كما شاء، ليتخذها سياقا للتدمير... ضيف الغدر الذي جاء من غير دعوة، أمسى جار السوء بالبهتان والعدوان... يريد أنْ يهجِّرهم عنوة أو أنْ يقتلهم فرادى وجماعات، فيبيدهم بلا أدنى رحمة.

كائن متعطش للسلطة، ملطخ بالدماء... مريض الوهم الذي يحركه جنون العظمة والاضطهاد، يستمد طاقته من مشاهد فيلم رعب يمارسه في الواقع... كائن الظلام والشر الذي يريد أن يسيطر على العالم.

إنَّ الكيان الظالم مجرم في حق الإنسانية. قتل الأطفال والنساء... وهدم البيوت والمستشفيات والمدارس... وعلى الشعوب أنْ تستفيق وتعي ما الذي يحدث، وتواجه هذا الكيان السرطاني بما يستحق لجرائمه الخبيثة، مثل ورم ينتشر بتدمير شديد لما حوله، وبفكر ساديٍّ متكبر بارد لا حياة فيه ولا حياء.

إنَّ الكيان الظالم تعرى على العالم، ليبدي سوءته وخبثه... أخرج يده سوداء بكل جرم، وبكل سوء، وبكل ذنب ممكن... فمن يجرؤ على المواجهة؟ وهل أفلست البشرية؟ وهل ماتت الطوباويات وأقبرت بلا عودة؟ وهل استسلمت الإيديولوجيّات لقانون الغاب؟ وهل عادت القرون الوسطى بظلمها وظلاميتها؟

وحين يسكت الجميع، يجب أنْ نواصل المواقف لإيصال صوت القضية لكل العالم، ولكل الشعوب، وبكل اللغات... يجب تواصل الكلمة عابرة للقارات، وعابرة للأجيال، وعابرة للأنفس... كل واحد فينا هو صوت فلسطين، وكل نفس فينا و وكل نبض يقول: "فلسطين، قضية إسلامية عادلة"، و"فلسطين قضية إنسانية عادلة".

3

هذا الكتاب، يجمع شهادات قلوب آمنت بالقضية الفلسطينية، فعبرت عن ذلك عبر خواطر وقصائد، قد لا يهم عددها، ولا عدد الجنسيات المشاركة... فالأهم، هو أثر الكلمات وصداها في النفوس.

كم هو جميل وأصيل أنْ ترى قلوبا ما زالت على الفطرة، وما زالت بريئة، وما زالت نظيفة، لم تتلوث بتفاهات العولمة، ولم تدنسها فطريات التطبيع، ولم يقتلها تكرار الأحداث والحوادث.

هذا الكتاب، هو رسالة لأولئك الشهداء على أرض الفداء، بعضهم يحلِّق الآن في السماء في حواصل الطير، وبعضهم مازال يمشي في الأرض ينتظر النداء... نقول لهم نحن معكم بأنفاسنا وأنفسنا، فضمائرنا ليست للبيع، وليست للمساومة... وقلوبنا ستبقى آخر قلاع المقاومة، وذلك أضعف الإيمان وأوله.

هي قضية آمنا بها، ونورِّث هذا الإيمان لأطفالنا، كما ورثناه عن آبائنا... وهذا الكتاب هو نوع من الشهادة أمام الله، وأمام خلقه أننا مع فلسطين إلى يوم الدِّين... فطوبى للمشاركين وطوبى للمؤمنين.

بعض خواطر هذا الكتاب، جاءت من رحى الحرب، ومن رَحِم الصمود من إخواننا في غزة... ورغم المعاناة رفعوا أقلامهم وكتبوا ... كتبوا عن الأرض، وعنِ الزيتون، وعنِ الفقد، وعنِ الردم، وعنِ القصف، وعنِ الأشلاء، وعنِ الشجاعة، وعنِ الصبر، وعنِ الإيمان... كلماتهم، كانت تختلط بالدم وبالدموع، وبالغبار وبالدخان؛ ولكنهم كانوا كالرواسخ صامدين، رغم الترويع والتجويع... فمحنتهم لا يعلم آلامها إلَّا الله، ومواجعهم لا يداويها إلَّا الله... فصبرا أهل الرباط فإنَّ موعدَكُمُ الجنَّة.

بعض الخواطر، جاءت عفوية، قد لا ترقى لمستوى العمل الأدبي؛ ولكنها تسمو لأنْ تكون شهادة إنسانية... دائما نقول لا ابتداء في الأدب، ونود دوما أنْ نعترف أنَّ البساطة أحيانا تكون أصدق وأقرب.

جاءتنا الخواطر من كثير من الدول العربية، هي صوت الشعوب من أجل القضية العادلة، وبعض الخواطر جاءت ممن تغرَّبت أجسادهم ولم تستغرب أرواحهم، فبقوا على العهد... والوفاءُ، طبعُ الأصيل.

شكرا لمن شارك معنا بأفكاره وبمشاعره وبدعواته وبخواطره وبقصائده، وبكلمته المناضلة المجاهدة التي لا تقف على الحياد أمام الحق والباطل... إنها كلمة حق أمام إنسانية ظالمة... إنها شهادة حق أمام الله.

محتويات الكتاب

قسمت الخواطر والقصائد إلى ثلاثة أقسام، و رتبت بأسماء الكتاب حسب الأبجدية



فلسطين في القلب

خواطر جاءت من فلسطين... مهربة من تحت الركام، من رحم الصمود

عشرون موتا

أحمد بشير العيلة - فلسطين

يا موتُ رفقاً بارتقائي

كلما قلتُ اكتفينا

جاءنا موتٌ جديدٌ كي نموت ولا نموت

عشرون موتاً في حياةٍ لم تذق طعم الحياة. عشرون قبراً لا تعانق جثتي

لا قبرَ لي في هذه الأرض التي ماتت بإصرار الحصار

يا سادتي

جرّبوا دفني بمقبرة تجاور سيرتي

جَرَفوا القبور وكسّروا عظمي الوحيد

عشرون ذئباً يركضون وراء روحي حين تهرب من يدي

يا موتُ رفقاً بارتقائي

كلما قلتُ اكتفينا

جاءنا موتٌ جديدٌ كي نموتَ ولا نموت

الموتُ قصفًا صار عادتنا المقيتة في الهروب من القذائف

في كلّ صبحٍ ننتهي تحت الركام

نموت موتاً جاهزاً في هيبة اللحد الذي قد كان يوماً منزلي

تجري القذيفة خلف فكرة أن نكون مسالمينَ كالحمل الجريح

نسألها الجلوس إلى مقاعدنا لتطلب ما تشاء

لكنها تهوي فتلتهم المقاعد والمفاوض والمحاور والخرائط والرجال

تقتلنا جميعاً، ثم ننسى أن نموت

يا موتُ رفقاً بارتقائي

كلما قلتُ اكتفينا

جاءنا موتٌ جديدٌ كي نموت ولا نموت

الموت جوعًا

لصٌ خفيفٌ يحرق السعرات وفقاً للمعادلة المهمة في الإبادة

سرق الحليب من الضروع

والمعاني من معاجمها الملآى باصطلاحات الحياة

لصٌ خبيرٌ في اختفاء الماء عن معنى البقاء

يأسر السحب الصديقة في السجون

الموت جوعًا

أن نشاهد كيف نُفقَد كل يومٍ

كيف تهجرنا الطيور

كيف تنسحب البلاد من العظام

كيف يذوي الضوء في لغة السلام

من أطلق الجوعَ اللعين وراءنا

بل كيف يأكلنا جميعاً في حصاركم المحاصر للحصار

كيف يأكلنا وأنتم تُطعِمون ذئابها لحم انتمائي

لا ندري كيف نعيد تعريف الحياة بلا حياة

لا ندري هل يبقى لنا شيءٌ لنذكره هناك

الجوع ذئبٌ لا نراه يظل ينهش لحمنا

ويعضّ أحشاء الصغار طوال حربٍ كاملة

الجوع سمٌّ في شرايين الحضارة والبقاء

هل تطعمون الجوع أرغفة السياسة حين تقتلنا السياسة

دمنا سيصعد في غيومٍ لا تغادر ما تبقى من سماءٍ فوقكم

ستحال زرقتها إلى لون الجحيم

عشرون موتاً

يا موتُ رفقاً بارتقائي

كلما قلتُ اكتفينا

جاءنا موتٌ جديدٌ كي نموت

ولا نموت

الموت طعنًا كل يومٍ من أيادٍ لا أراها

طعنٌ من بروتس الخؤون من الأمام

طعنٌ من الظهر المجرّح بالسياط

يا سادة الخذلان

إنا نُحاججكم جميعاً عن حياةٍ لا تجيء

وستُسألون عن المجاعةِ والخيانة والوضاعة والسكوت النذل من يوم الرضاعة والخناعة واشتراطات الشجاعة والخلاعة

وستسألون عن الصغار بلا يدين

والشيوخ بلا مدى

والنساء بلا هدى

وستسألون عن الشهيدات اللواتي لم ينمن من البكاء على صغارٍ قد تلاشوا قبلهن

وستسألون عن الخيانة كيف تصبغ وجهها

وستسألون عن الحصار

وعن دمائي في المعابر كيف تطرق بابكم

كي ترى أفقًا لتصعد

لتظل تصعد

ثم تسكن في السماء سحابة حمراء تلعنكم جميعاً وهي تخلد

مِفْتاحُ العَوْدَةِ

حنان أحمد - فلسطين

في ليلة شتويّة عاصفة، حيث تتعالى هُتافات الرّيّاح مُختلطة بدويّ اِنفجارات بعيدة، اِجتمع الأحفادُ حول الجدَّة كالفراخ حول الدّجاجة. كانت وجوههمُ الصّغيرةُ مُتجهّمةً بالخوف، فاِحتضنتهم بنظراتها الدّافئة، وقالت:

تعالوا يا حبايبي، اليوم سأحكي لكم عَنْ كنزنا المفقودِ... عن بلدنا أسْدودَ.

أغمضتْ عينيْها المُستهلَكَتيْن بتعب السِّنين، واِستحضرتْ ذكرياتها وكأنّها تعيشها الآن:

كانتْ أسدودُ، جنّةً حقيقيّة على شاطئ البحر. كنّا نستيقظ على حناجر الأذان تُصافح أمواج البحر، وعبق البرتقال والياسمين يملأ شوارعنا الضيّقة. بيوتنا البيضاء بالقناطر الزّرقاء، والبحر الّذي كان يُغازل شاطئنا بلطف. كنّا نلعب على الرِّمال الذّهبيّة، ونقطف التّين مِنْ أشجاره، ونحصد الزّيتون مِنْ بساتينِ أجدادنا. كانتِ الحياة بسيطة جميلةً... كنّا نعيش بكرامة وعِزّة.

لكنْ، تعابيرُ وجهها اِنقلبت فجأة، وصار صوتها متهدِّجا:

في إحدى ليالي عام ثمانية وأربعين تسعمائة بعد الألْفِ (١٩٤٨)، بينما كنّا نعدّ العشاء، سمعنا دويَّ الإنفجارات يقترب. رأينا النّار تلتهم بيوت الجيران. أبي صاح: "قوموا بسرعة... نُغادر ساعات ونعود". تركنا طعامَنا على المائدة، والخبز في

التّنّور، وكُمّ الثّياب على حبال الغسيل. حمل أبي مفتاح بيتنا ولفّه بقماشه الثّمين. أمّي حملت كيس طحين وصورة جدِّي. وأنا... حملت دميتي الصّغيرةَ وقلبي المكسور.

دمعت عيناها وهي تستذكر:

مشينا في الظّلام، والنّار تلاحقنا مِنْ كل مكان. سمعت أمّي تَهمس: "لا تنظري إلى الوراء؛ لكنّني اِلتفت... رأيت البحر للمرّة الأخيرة، ذلك البحر الّذي كان صديقَ طفولتي، صار شاهدًا على تشرُّدنا.

وصلنا إلى غزَّةَ، حيث فتح النّاس بيوتَهم وقلوبَهم لنا. نصبنا الخيام وقلنا: أيّامًا ونعود... لكنِ الأيّام صارت سنواتٍ، والسِّنونَ صارت عمرًا.

نظرتْ إلى الأحفاد بعينيْن تحملان سبعين عامًا مِنَ الإنتظار:

اليومَ، يريدون أنْ يطردونا مِنْ غزَّةَ كما طردونا مِنْ أسدودَ. يريدون أنْ يمحوا فلسطينَ مِنَ الخارطة والذّاكرة.

اِقترب منها الأحفاد وأحاطوها بحبِّهم، فقالت بصوت يملأه الإيمان:

"لكنّهم، لنْ يستطيعوا يا أحبّائي؛ لأنَّ فلسطينَ ليست أرضًا فقط... هي ذكرى في قلوبنا، وهي رائحة البرتقال في شوارع أسدودَ، وهي صوتُ الأمواج الّذي لا يزال يدقُّ في أذني".

أخرجتْ مِنْ صدرها مفتاحًا متآكلًا مربوطًا بخيط حريريٍّ:

"هذا هو كنزنا الحقيقيُّ... هذا المفتاح، سيفتح باب بيتنا في أسدودَ يومًا ما. إذا لم أستطع أنا... فأنتم من سيفعل".

ضمَّتهم جميعًا إلى صدرها، وقالت:

"أنتم، بذور فلسطينَ... تحملون في قلوبكم عبق برتقال أسدودَ، وزُرْقة بحرها، وصلابة زيتونها. لا تنسوا أبدًا... لا تنسوا أنّكم أبناءُ هذه الأرضِ، وأنَّ للشاة حقًّا في مرعاها، وللطّير حقًّا في وكره".

"ستي"، همست الحفيدة الصّغيرة: "هل سنرى أسدودَ يومًا ما؟".

أجابتِ الجدّة وهي تمسح دموعها:

"رُبّما لنْ أراها أنا؛ لكنّكم سترونها يا أحبّائي. سترون البحرَ يُقبّل شاطئَها، والزيتون يُظلّل تربتَها؛ لأنَّ الحقَّ مِثْلَ النُّور، لا بُدَّ أنْ يظهرَ، ومِثْلَ الشّمس، لا بُدَّ أنْ تُشرقَ.

واِنتشرت كلماتُها في أرجاء الغرفة، كالبذور الّتي تُزرع في التُّربة، تنتظر الرّبيع القادمَ.

شَمْسٌ تَحْتَ الرُّكامِ

رجاء جودة - فلسطين

كانتْ قبل الحرب

تسير بين الأزقّة الّتي ضاقتْ بالبطالة

تحمل أحلامها كأوراق جافّة

في مدينة يحاصرها الجدار والغياب

لا فرص، لا أفق

فقط فقر يُلوّن النّهار،

وضياع، يسرق منها شبابَها في صمت.

ثمَّ جاء القصفُ...

ليل، لا يعرف النَّومَ

سماءٌ، تُمطِر نارا

وخوفٌ، يركض في عروقها كالنّار في هشيم الرُّوح.

فقدتْ مَنْ تحبّ

رحل الأقربون بين لحظة وأخرى

وتحوَّل البيْتُ إلى ذاكرة مِنْ تراب وغبار.

عرفتِ الجوعَ كما لم يعرفه أحد

حين بكى اِبن أخيها طالبا موزةً

فلم تجد سوى دموعِها لتطعمه

وحين سالت دموع الآخر لأجل بيضة

فلم تجد سوى الصّمتِ يواسيه.

وأمام والدتها المسنّة

كانت يدها ترتجف

إذ لم تستطع أنْ توفِّر لها دواءً

يخفِّف وطأة المرض والعمر معا.

ومع ذلك

لم تنكسرْ.

لم تتمزّق كما أراد لها الحصارُ والخذلان

بل جمعت شتاتَ قلبها

وحملته مثل سيف يلمع في الظّلام.

في داخلها ضوء

أمل بالإنتصار

إصرار على أنْ تعودَ الحياةُ

أنْ تبنيَ ما هدموه

أنْ تزرعَ في الرُّكام بذورا خضراءَ

وتُعلِّم الأطفال كيف يولد الفجرُ مِنَ العتمة.

إنّها فتاة مِنْ غزَّةَ...

تُشبه البحر في عناده

والأرضَ في صبرها

والسّماءَ في اِتِّساعها.

قد ينهشها الجوعُ والخوف

لكنّها، تكتب بدمِها

لنْ أموتَ... سأحيا

سأبني، وسأعيد للحياة لونَها مِنْ جديد.

ذاكرة الأرض

ضحى غزال - فلسطين

أنا طيف ...لا روح لي فأُقبض، ولا جسد لي فأُدفن، أنا ذاكرة الأرض حين تُنكرها الكتب، أنا ظل الحقيقة إذا خنقوها في نشرة الأخبار.

رأيتُ فلسطين قبل أن تُسمى فلسطين، حين كانت الجنة تُقاس بظل التين ودفءِ الحكايات.

كنتُ هناك حين مشت مريم في طرقات الناصرة، وسمعتُ صوت عيسى في الريح، كنت هناك حين صلى محمد في الأقصى وربط البراق بجدارٍ ما زال يبكي.

مرّ الغزاة بي، بعضهم أحرق الزهر، وبعضهم دسّ في التراب حكايات ميتة، لكنني كنت كل مرة أعود، كالعنقاء، أو ربما كنت أنا سيدها... أو تلميذها ...لا فرق.

اسمي طيف .لا أُكتب في سجلات الأمم، ولا أُدرَج في بيانات الاستشهاد، لكنني شاهد... والشاهد لا يموت.

تعالوا، لأقصّ عليكم من سفر الأرض، من صمت الحجارة، ومن أنين الزيتون، ما سقط من أفواه الأمهات قبل أن يُكملن الحكاية.

هذا ليس سردًا ...بل استردادًا.

وهذه ليست رواية ...بل ذاكرة... تتكلم.

الفصل الأول:

أرض لا تشيخ "طيف ..."عشتُ على هذه الأرض قبل أن يخطّ البشر أول خريطة، وقبل أن يُنقش أول حجر باسم سلطان .رأيتها وهي تفتح صدرها للشمس، وتغسل وجهها بالندى، وتخبئ في حضنها قمحًا لا يعرف الجوع، وزيتونًا لا يشيخ، وعنقود عنبٍ يقطر عسلًا في فم المسافر.

كنتُ أمشي بين الحقول الممتدة بلا حدود، حيث لا جدار يقطع النظر، ولا سلك يحبس الريح .كانت الأرض تُعرف بألوانها: أخضر الحقول، وذهبيّ السنابل، وأحمر الرمان، وبرتقاليّ يافا الذي يملأ الطرقات بعطره .كنت أسمع نداء الباعة في أسواق القدس ونابلس وغزة، وأرى النساء يحملن القِلال إلى الينابيع، وأطفالًا يركضون بين الحمام في ساحات المسجد الأقصى.

هنا، كان إبراهيم -عليه السلام- يمشي مطمئنًا إلى وعد الله، وهنا داود -عليه السلام- يصدح بمزاميره، وهنا المسيح -عليه السلام- يبارك الخبز والزيت .وهنا محمد -صلى الله عليه وسلم- جاء من مكة ليربط البراق في جدار، ويصلي حيث التقت السماء بالأرض.

كانت فلسطين قبل الألم كتابًا مفتوحًا على سبع سماوات:

في القرآن، "الأرض المباركة" التي بارك الله حولها.

في الإنجيل، مهد الرسالة وكلمة الحياة.

في التاريخ، ملتقى القوافل وطريق الملوك.

لم تكن الأرض تعرف الغربة. كل من دخلها كان ضيفًا، وكل من خرج منها حمل معها شيئًا من ترابها .كنت أراها كل صباح تولد من جديد، حتى سميتها الأرض التي لا تشيخ .لأن الربيع كان يعود مهما طال الشتاء، ولأن الحقول كانت تحفظ عهدها مع المطر، ولأن قلبها -رغم كل ما سيأتي- لم يعرف الموت أبدًا.

الفصل الثاني:

حين مرّ الغزاة كنتُ هنا ...حين كان النور يملأ الطرقات، وحين كانت القرى تنام على أصوات الينابيع، ثم استيقظتُ ذات صباح، فوجدت ظلًا غريبًا يزحف على التلال.

جاءوا من كل الجهات، بأسماء مختلفة، ورايات مختلفة، ولغات لم تعرفها الحجارة .جاء الرومان بخوذاتهم اللامعة، يجرّون خلفهم قوافل الحديد، يظنون أن صوت سيوفهم أعلى من صوت الحق .ثم جاء الصليبيون، يحملون صلبانهم كأنها مفاتيح السماء، لكنهم نسوا أن السماء لا تُفتح بالقوة .مرّ المماليك والعثمانيون، بعضهم ترك أثرًا طيبًا، وبعضهم مرّ مِثْلَ عابر برد في ليلة شتاء.

أما الغرباء الذين جاؤوا في القرن الأخير، فقد حملوا خرائط لم يرسمها أهل البلاد، وكتبوا أسماء القرى بلغات لا تعرف أصواتها .رأيتهم يحفرون في الأرض كأنهم يبحثون عن جذورهم، لكن الجذور التي وجدوها لم تكن لهم .سمعتهم يروّجون حكايات لم تشهدها حجارة القدس، ولم تحفظها أشجار الزيتون.

في كل زمن، كان الغزاة يغيرون الأسماء على اليافطات، ويعيدون رسم الحدود على الورق، لكنهم لم يستطيعوا أن يمسحوا اسم فلسطين من قلوب أهلها .كنت أرى كل محاولة لطمس الحقيقة كمن يحاول إخفاء الشمس براحته.

كانت الأرض تقاوم بطريقتها:

الزهر كان يخرج من الشقوق التي خلّفتها أقدام الجنود.

الأذان كان يرتفع فوق أصوات المدافع.

وأغاني الأعراس كانت تُسمع حتى في أيام الحصار.

أدركت يومها أن فلسطين، وإن مرّ عليها الغزاة، لا تُؤخذ إلا جسدًا، أما روحها فتبقى حرة، تنتظر العودة .وأنا... كنت الشاهد الذي لا يكتب في المحاكم، لكنه يكتب في الذاكرة.

الفصل الثالث:

النكبة – حين بكت الأرض في ذلك العام، تغيّر لون السماء ...لم تعد زرقاء كما عهدتها، بل امتلأت بغبارٍ يختلط برائحة البارود، وبصرخاتٍ تتصاعد من القرى كأدخنة لا تهدأ.

كنت هناك ...رأيت البيوت تُغلق على عجل، والمفاتيح تُخبَّأ في جيوب الفلاحين كأمانة لليوم الموعود .رأيت نساءً يحملن أطفالًا في ذراعهن وحقائب صغيرة على ظهورهن، وكأنهن يحملن العمر كله في خطوتين .والرجال، بعضهم بقي يحرس باب بيته حتى اللحظة الأخيرة، وبعضهم سار في الطرقات يردّد أسماء القرى بصوت مرتجف، كمن يخشى أن تُمحى من الذاكرة.

الجنود يقتربون، والخرائط تُعاد رسمها على عيون الناس قبل أن تُرسم على الورق .سمعت أسماء كثيرة تسقط: دير ياسين، الطنطوره، صفد، حيفا... مدن وقرى كانت تفتح أبوابها مع أول شعاع شمس، صارت أبوابها مغلقة إلى أجل مجهول.

كنت أمرّ بين صفوف اللاجئين على الطرق الترابية، أرى الأطفال يمسكون بأطراف أثواب أمهاتهم، ووجوههم تملؤها أسئلة لم يجدوا لها جوابًا .كنت أسمع العجائز يتهامسون: "سنعود بعد أيام"، لكن الأيام صارت عقودًا، والعقود صارت أجيالًا.

في تلك الليلة، بكت الأرض ...انحنى الزيتون كأنه يواسي أصحابه، والماء في الآبار صار أعمق وأثقل، كأنه يخفي سرًّا ثقيلًا .رأيت مفاتيح البيوت تُعلّق على الجدران في المخيمات، ورأيت حكايات القرى تُروى على ضوء القمر حتى لا تموت.

لكنني، أنا طيف، كنت أعرف أن هذه ليست نهاية الحكاية ...فالحق لا يشيخ، والأرض لا تنسى أسماء من ساروا عليها .وكنت أعرف أن يومًا ما، سيعود أصحاب المفاتيح ليجدوا أبوابهم تنتظرهم كما تركوها.

الفصل الرابع:

غزة – نبض لا يخفت في أقصى الجنوب، حيث يلتقي البحر بالسماء، وحيث تراب الأرض يختلط برائحة الموج، هناك مدينة لا تنحني... غزة.

رأيتها وهي تتعرض للريح والعاصفة، ثم تخرج من بين الركام كمن يخرج من رحم المعجزة .في كل مرة ظنّ الغزاة أن صوتها انكسر، عادت تصرخ أعلى، وفي كل مرة ظنّوا أن أقدامها تعبت، عادت تركض أسرع.

غزة ليست مجرد مدينة، إنها نبض فلسطين كلّها .حين تضيق الأرض، تحتضن أبناء القرى المهدّمة، وحين يُحاصر الميناء، تصنع من الأمواج سفنًا من الأمل .كل بيت فيها يعرف معنى الحصار، وكل شارع فيها حفظ أسماء الشهداء كأنها أسماء أحبّة مسافرين سيعودون.

هنا، الشجاعة ليست قرارًا طارئًا، بل عادة يومية:

الأطفال يذهبون إلى المدارس تحت صوت الطائرات، وكأن السماء جزء من المنهج الدراسي.

الصيادون يلقون شباكهم في البحر، رغم أنهم يعرفون أن العودة قد تكون أصعب من الذهاب.

الأمهات يخبزن الخبز على نار الحطب حين ينقطع كل شيء، ويغنين لأطفالهن أغاني الأمل كما كانت الجدات يفعلن.

غزة علّمتني أن الشجاعة ليست في أن تقاتل وحسب، بل أن تعيش رغم رغبة العدو في موتك .أن تبني بيتك مرة أخرى، حتى لو سقط عشر مرات .أن تضحك في وجه الحصار، وتزرع زهرة في فوهة الدبابة.

أنا طيف ...شهدتُ شجاعة فلسطين في كل مدنها، لكن في غزة، رأيتها متجسدة ككائن حي، ينهض بعد كل سقوط، ويقسم ألا يسقط إلا واقفًا .وحين ينظر العالم إليها بدهشة، تبتسم غزة وتقول: "أنا ما تبقى من عنقائكم... وأنا ما سيشعل رمادكم بالحياة من جديد".

الفصل الخامس:

العنقاء في ليلة بلا قمر، حين كانت السماء ملبّدة بدخان المعارك، رأيتها لأول مرة ...كانت تقف على قمة تلّ، أجنحتها تتلألأ بلون الجمر، وعيناها تحملان ذاكرة قرون .اقتربتُ منها، وأنا أعلم أنها ليست من هذا العالم، لكنها ليست غريبة عن هذه الأرض.

قلت لها" :من أنتِ؟ "ابتسمت كمن يعرف أن السؤال أقدم من السائل، وقالت" :أنا العنقاء... كنت رمادًا قبل أن أولد، وسأعود رمادًا قبل أن أولد من جديد. أنا فلسطينك التي يظنّون موتها، لكنها لا تعرف الموت".

جلستُ إلى جوارها، والريح تحمل إلينا رائحة البحر وعبق التراب، وسألتها : "كيف تعودين بعد كل هذا الخراب؟ "قالت" :أنا أعود حين يزرع طفل شتلة على أطلال بيته، وحين تضحك امرأة رغم فقدها، وحين يقف شاب أعزل أمام دبابة ولا يتراجع".

تأملتُ أجنحتها التي كانت تحمل آثار حرائق قديمة، لكنها لا تزال قادرة على الطيران .قالت" :الخراب هو وقودي، والدمع هو مائي، والحلم هو الهواء الذي أتنفسه. كلما حاولوا دفني أعمق، اكتسبتُ جذورًا أقوى، وجناحين أوسع".

أخبرتها أنني رأيت الأرض قبل الألم، ورأيت الغزاة وهم يمرون، ورأيت النكبة وهي تكسر القلوب، وغزة وهي ترفض الانكسار .ابتسمت العنقاء وقالت" :إذن، أنت شاهدي، وأنا شهيدتك. سنروي الحكاية معًا، حتى يعرف العالم أن فلسطين ليست حدثًا في كتاب التاريخ، بل روحًا تتنفس".

وفي لحظة، فتحت العنقاء أجنحتها، وارتفعنا معًا في السماء ...تحتنا كانت فلسطين، بكل جراحها وجمالها، تلمع كما تلمع الجوهرة في يد من يعرف قيمتها . همست لي" :طالما هناك من يروي، سيبقى هناك من يعود".

الفصل السادس:

فلسطين في القلب حين عدت من رحلة مع العنقاء، أدركت أن فلسطين لم تعد مجرد أرض أزورها، بل وطن يسكنني أينما ذهبت.

في شوارع بعيدة، رأيت أعلامها معلّقة على نوافذ بيوت لم تطأها قدم فلسطيني، ورأيت أطفالًا في مدارس بعيدة يرسمون قبة الصخرة كأنهم رأوها بأعينهم .في مقاهي أوروبا، كان صوت العود يخرج من مكبرات الصوت، وفي أسواق أفريقيا، كانت الكوفية تُباع بجانب الحُليّ التقليدية وكأنها جزء من تراث المكان.

الناس هنا وهناك يعرفون أسماء مدنها: القدس، غزة، نابلس، حيفا... يلفظونها بحروفهم الخاصة، لكن بقلوبنا نحن .كلما التقيت أحدهم، وجدت في عينيه شرارة، وكأنه يقول: "قصتك قصتي، وجُرحك جرحي."

فلسطين في القلب، ليست مجرد شعار، بل حقيقة تتجلى حين يهتف الملايين في الشوارع البعيدة أو حين يكتب شاعر في أقصى الشمال قصيدة عن زيتون بيت لحم . هي في القلوب لأنها صارت رمزًا لكل من يعرف معنى الحرية، ولكل من جُرّد من بيته، ولكل من قاوم الظلم يومًا.

أنا طيف ...أعرف أن هذه الحكاية ليست لي وحدي، فهي مكتوبة في وجدان العالم، وكل من حملها صار جزءًا من عائلتها .وكل قلب عرف فلسطين، صار بيتًا صغيرًا لها، حتى يحين يوم العودة.

الفصل السابع:

زمن الجرح المفتوح فلسطين اليوم ليست خريطة على الورق، بل جسدًا مقطّعًا، تحاول أجزاؤه أن تتواصل رغم الجدران والأسلاك الشائكة.

بعد التقسيم والاتفاقات، صار الوطن أشبه بفسيفساء مكسورة؛ مدن مفصولة بجدران إسمنتية، وقرى تبتلعها المستوطنات، وطرق تقطعها الحواجز .كل صباح، يخرج الناس إلى أعمالهم وهم يعرفون أنهم قد يعودون متأخرين أو لا يعودون أبدًا؛

لأن الجندي على الحاجز قرر أن يفتش الحقيبة عشر مرات أو أن يتركهم ينتظرون بلا سبب.

في القدس، يتسلل التهويد إلى الأزقة كما يتسلل الماء إلى شقوق الجدران؛ بيوت تُسلب من أصحابها، ومحال تُغلق، وأصوات المؤذنين تحاصرها القوانين .في الأقصى، الأعين تترقب كل اقتحام، والقلوب تحفظ صمتها بين تكبيرة وصلاة، بينما العالم يكتفي بالتصريحات الباردة.

الاعتقال هنا لا يحتاج إلى تهمة، والبيوت تُهدم أحيانًا لأنها وُجدت في المكان الخطأ .الأطفال يكبرون وهم يعرفون أصوات المداهمة أكثر من أصوات الألعاب، ويتعلمون أن الليل ليس وقتًا للنوم، بل وقتًا لاحتمال أن يُطرق الباب بقوة.

وفي غزة ...هناك جرح ينزف منذ سنوات، حصار يضيق على كل شريان، وسماء تحمل أكثر من غيمة وأكثر من طائرة .ومع ذلك، كلما نادت القدس، كانت غزة أول من يرد .كانت ترسل رسائل مكتوبة بالدم، وتفتح جراحها لتصرخ للعالم أن القدس ليست وحدها، حتى لو كانت غزة نفسها تتنفس بصعوبة.

لكن أطفال غزة لم يعودوا يصدقون كلمات مثل "حقوق الإنسان" أو "الشرعية الدولية ."هم يرون الشاشات تعرض موتهم وكأنه خبر جَوٍّ، ويرون المؤتمرات تنعقد بلا جدوى، والبيانات تصدر بلا أثر .أحد الأطفال قال لطيف ذات يوم:

"يقولون هناك منظمة اسمها الأمم المتحدة... هل هي حقيقية أم حكاية خرافية مثل التنين؟"

الصمت العالمي صار جزءًا من الحصار، يطبق على الروح قبل أن يطبق على المعابر .ومع ذلك، بين كل هذا الخراب، تظل فلسطين، بجراحها، ترفض أن تموت . الزيتون ما زال يثمر، والأمهات ما زلن يخبزن الخبز على نار الحطب، والأطفال رغم كل شيء، ما زالوا يرسمون الشمس فوق الأفق، حتى لو لم تشرق بعد.

الفَصْلُ الثَّامن:

رحلة البحث عن النور الليل كان طويلًا... أطول مما تحتمله الذاكرة .لكن طيف لم يكن يخشاه، فقد تعلم أن في قلب الظلام تكمن أول بذرة للضوء.

خرج من المدينة المحاصرة بخطوات هادئة، كأنه ينسلّ من بين أهدابها، يحمل حقيبة صغيرة فيها قصاصات من الحكايات، وحفنة من غبار النجوم التي التقطها من فوق أسطح البيوت .كان يبحث عن نور لا تبتلعه العتمة، نور لا تحجبه جدران ولا يطفئه هواء غريب.

مرّ على الحقول التي أُهملت، فوقف عند كل شجرة زيتون، يربت على جذعها، ويهمس: "اصبري، فالجذور لا تعرف النسيان ."وعند النهر الذي ضاق مجراه، ألقى فيه ورقة مكتوبًا عليها: "الماء سيعود ليغني ."وفي القرى البعيدة، كان يترك عند الأبواب حجارة صغيرة ملساء، كأنها مفاتيح لبيوت ستفتح ذات يوم.

لكن الطريق لم يكن سهلًا؛ كانت الرياح تحمل أصواتًا تثبط العزم، وأحيانًا تمر أمامه قوافل من الصمت، كأنها تريد أن تقنعه ألَّا أحد ينتظر هذا النور .ومع ذلك، كان يبتسم ويواصل السير؛ لأن في قلبه معرفة قديمة: أن النور ليس غاية الطريق، بل هو الطريق نفسه.

وحين وصل إلى تلة مرتفعة، رأى من بعيد المدن والقرى، بعضها غارق في العتمة، وبعضها تلمع فيه قناديل صغيرة .جلس هناك، وأخرج من حقيبته غبار النجوم، ونثره في الهواء، فتطاير كأنه بذور ضوء تبحث عن أماكن لتزهر فيها.

ابتسم طيف وقال لنفسه:

"ربما لا أستطيع أن أضيء العالم كله... لكنني أستطيع أن أترك أثرًا يلمع، حتى لو كان صغيرًا، يكفي ليقول: ما زال هناك أمل".

صور تنطق

لقد تساوى المهدُ باللحد،

واِختلطت شهادة الميلاد بالوفاة.

لم تنفصل الروح عن الروح،

بل اِمتزجتا اِمتزاجًا

يعجز حرفي عن نطقه.

الأمومة المنتظَرة،

وحلمُ الاِحتضان،

تحققا...

لكن داخل كفنٍ واحد،

يضمُّ بقايا أمٍّ وجنين.

—

أمام جنون الحرف وثورته الطائشة،

ذلك الحرف الذي أمهل عُميان العالم

فرصة التمعّن في صرخات الثكالى،

على المسمع والمرأى،

بات يختنق...

فهو لم يخطّ يومًا

عن غيبوبةٍ عالميةٍ كهذه،

لكني كبحثُ جماحه لأجل قريب.

ـــــ

يرثي الحرفُ الصور،

معلِنًا الحداد لأجلٍ غير معلوم.

تعرّت الأحداث من آخر إنسانيّتها،

ولوّحت للعالم

بما تبقّى من أيدٍ مبتورة،

وأحلامٍ مُغتالة،

ووجوهٍ تبحث عن ملامحها في الركام.

لكن الحرف -رغم اِنكساره-

يبقى شاهدًا،

يبقى نداءً في فراغٍ صاخب،

كأن الكتابة آخر خيط

يصرّ على أن يذكّر:

هنا كانت حياة.

ـــــ

"أن تُصارع الحياة في دائرة الموت" "

"أن تُصارع الحياة في دائرة الموت" "حياة تُكتب تحت الطائرات"

في هذا الركن المزدحم بالإحتمال، حيث يسير الموت بيننا كظلٍّ ثقيل لا يملّ، في مكانٍ ما، هناك من يعدّ القذائف، وهناك من يعدّ الأحلام. وفي هذا التوقيت بالذات، حيث تسقط الطائرات بلا موعد، وتتهاوى الأرواح في غفلة، أجلس... لأخطّ حلمي كأنني باقية.

هل يبدو الأمر منطقيًا؟ أن أختار وردةً لأرويها، وأنا أعرف أنَّ التراب الذي تنبت فيه قد يُقلب بلحظة؟ أنْ أخرج في السابعة صباحًا، أخوض طريقي على الأقدام بين الحفر والمخاوف، فقط لأصل إلى عملي، وكأني أعيش في مدينة تُحبّني وتضمن بقائي؟

لكنه؛ ليس منطقًا... إنه إيمان.

إيمانا بأن الإنسان، حين يزرع جهدًا في أرضٍ مهتزّة، فهو لا يتحدّى الموت فحسب، بل يُربّي الحياة في كفّه، لا هروبًا مِنِ اِحتمال حتمية الفناء، بل مواجهة ناعمة لسيف الإبادة، بقلبٍ نابض، وكتابٍ مفتوح، ونظرةٍ لا تخشى الغيم.

كل اِختبار أدرسه، وكل مشروع أُعدّه، وكل فكرة أنسجها في عقلي، هي سلاحٌ ضد العدم.

كل خطوة أمشيها نحو العمل، كل وقت أستثمره لتثقيف نفسي، كل رسالة أُوصلها لهذا الجيل الذي لم يختر أنْ يولد في الجحيم-هي اِنتصار صغير؛ لكن نبيل.

أنا أعلم أنني قد أُغادر هذا العالم في لحظة. لكن ما دام في قلبي نبض، وفي يدي قلم، وفي عيني حلم - فلن أكون عابرة.

بل بذرة حياة في أرضٍ تُقسم على الموت أنْ أُكمل؟ يعني أنني ما زلت أؤمن... أنني لست رقمًا، بل قصة.

كنتُ أعلم

أنَّ وردتي التي أسقيها قد لا تبقى، وأنَّ طريقي إلى العمل قد ينتهي قبل أنْ أصل،

وأنَّ جهدي ودراستي وأحلامي

قد تُمحى في لحظةٍ واحدة.

لكنني لم أتوقف.

لم أملّ المحاولة.

كنتُ أستمرّ وأتحدّى،

كمن يزرع فسيلة نخل على أبواب القيامة،

محاطةً بالظلال والغيوم،

لكنها تصرّ على أن تلمس نور الحياة.

تلفّحتُ بالتحدّي، متجاهلةً الطريق الموحش،

مضيتُ مع عقارب الساعة،

أراقب دقائقها كأنها ميزان الحياة والموت،

كل ثانيةٍ فيها اِختبارٌ لإرادتي.

في ذلك الصباح،

توجّهتُ بقلبي المشتاق نحو بيتي.

لم تكن الطريق يسيرة: حجارة، وركام، وزجاج متناثر،

هواء مشبّع برائحة البارود، وأصوات الطائرات تخترق السماء.

لكنني قررتُ السير.

قررتُ أنْ أذهب لأسقي وردتي،

رغم مرارة النزوح،

ورغم الخوف الذي يطوّقني برًّا وجوًّا.

بيتي لم يكن مجرد جدران،

كان أمانةً في قلبي:

ذكرياتي، وصوري، ولوحاتي، وسريري ولحظاتي... البيت الذي وُلدت فيه، وكبرتُ بين جدرانه، وصارت كل زاوية فيه شاهدةً على حياتي.

اقتربتُ...

كنتُ على وشك أنْ أعانق أشيائي،

فإذا بالدخان يملأ المكان،

ورائحة البارود تغطّي الحيّ،

وشظايا تتطاير حولي كأنها رموز الضياع.

فتحتُ عيني...

ورأيت بيتي يسقط أمامي.

قبل دقيقةٍ كان واقفًا جميلًا،

والآن، لم يبقَ منه سوى جدارٍ واحد،

صامدًا... كأنّه يقول: "هنالك ما يزال قائمًا، مهما اِهتزّ كل شيء".

ذلك الجدار...

ذكّرني أنَّ شيئًا ما سيبقى واقفًا،

مهما سقط كل شيء،

ومهما أطاح الموت بالماضي.

تربّع شعور ثقيل على قلبي،

وخنق روحي،

لكنّني اِستمددت قوتي من ذاك الجدار،

وأدرتُ ظهري،

أجمع شتات أمري،

وأناجي ربي أنْ يمنحني صبرًا وقوة،

أنْ يكفكف دموعي،

ويطفئ حرقتي.

ومن هناك، جدّدتُ العهد مع نفسي:

أنْ أستمرَّ،

أنْ أبدأ من جديد،

أنْ أصمد،

وأنْ أكون مصدر إلهامٍ وقوةٍ

لكل مَنْ حولي.

سأزرع وردةً جديدة...

سأسير حيث يمكن للحياة أن تنبت من جديد،

حيث يمكن للحلم أن يُعلّق في قلب الخراب،

لا أن أبقى فقط.

أَمَلٌ أزَلِيٌّ في وَجْهِ المَوْتِ

لما نبيل جودة - فلسطين

في ظلام الليل الأدعج، وفوق ركام البيوت حيثُ تئنُّ الأرواح المكلومة، يولد بريق أملٍ سرمديّ لا يخبو رغم هذهِ الحرب الضَّروس.

كنا نترجّل في شوارعِ غزَّةَ حيثُ الجمال والبهاء اللَّذيْنِ لا يُضاهاها، والمباني الشامخة، والأماكن الجميلة، والبحر الرّزين؛ وضحكات الأطفال يتردَّد صداها في الأرجاء.

أمّا الآن، فتمشي هنا وهناك، فلا تجد حجرًا بقيَ مكانه، طُمست غزّةُ مِنْ شمالها إلى جنوبها، تجدُ ركامًا فوق ركام، ودماء الأبرياء تعتلي الأرض وتُكتب حكاياتها بمداد الفقد.

في كل زاوية قصّة إنسان، وفي كل بيت جريح أو شهيد، ولكلّ واحد منهم رواية لم تُكتب لها النّهاية السّعيدة، بل كُتبت بكل شجًى وأسًى، وسُطِّرت بدموع النِّساء الثّكلى وأنين الفقد.

مِنْ تحت الأنقاض، يعلو صُراخُ طفلٍ لم يتجاوز العاميْن، بقيَ وحيدًا تحت ركام منزله، يُلوّح بيديه، ويستنجد بمَنْ حوله ظنًا أنّ والديْه على قِيدِ الحياة، يُخرجونه، ثُمّ

يُحدّق بعينيْه الواسعتيْن وسط سماء ملبّدة بالدُّخان، لا يعلمُ بأنّ كَنفَ عائلته قد اِندثرَ للأبد، ليُصبح شاهدًا على واقعٍ لا يُفهم ولا يُنسى.

ذلك الطِّفلُ، شهادةٌ على أنّ النّجاة ممكنة، وأنّ الغد سيأتي وسيحمل لنا سلامًا لا محالةَ؛ ستُزهرُ شوارع غزَّةَ برجالها ونسائها وأطفالها وشيوخها، وسترفض الحياةُ أنْ تستسلمَ للموتَ الكامل، ليبقى مَنْ يبقى شاهدًا على الخلاصِ.

عَلى أَكْتافِها جِبالٌ

منى محمد الزيان - فلسطين

في بيت متواضع على أطراف المخيم، بيتٍ أكلت الحرب جدرانه وأثقلت الأيام أبوابه، تعيش اِمرأة لم يتجاوز عمرها زهرة الشباب؛ لكنها تشعر وكأنها شيّبتها التجارب والهموم. أمٌّ لخمسة أطفال، تحمل على كتفيها أثقال الحياة وحدها، بعدما عزلت الحرب زوجها عنهم وأبقتهم بلا سند.

زوجها كان قد غادر إلى الضفة الغربية منذ سنوات، يعمل عاملًا بسيطًا ليؤمّن لهم بعض القوت، لم يكن يملك سوى جسده المتعب ويديْه الخشنتيْن؛ لكنه كان يفرح كلّما أرسل لهم ما يسدّ رمقهم ويزرع في قلوبهم الأمل. ثم جاءت الحرب، وأقفلت الحواجز، ومنعته التّصاريح، وأصبح وجوده هناك "مخالفًا للقانون" كما يصفه الاِحتلال. عالق، لا يستطيع العودة، ولا يستطيع المضيّ. يعمل متقطّعًا، يومًا يجد عملًا، وأيّامًا طويلة يطحنه الفراغ والجوع، وكلّما حمل لقمةً إلى فمه يتذكّر صغاره هناك، في غزَّةَ، فيخنقه البكاءُ.

أمّا هي، زوجته، فقد وجدت نفسها فجأة في مواجهة كل شيء: القصف، والحصار، والخوف، والجوع، وأهمّ من ذلك دموع أطفالها وأسئلتهم. محمد وأحمد، الكبيران، لا يمرّ يوم إلّا ويسألانها: "ماما، بابا وين؟ ليش ما بيجي؟ شكله كيف؟ ليش ما بشوفنا؟"... فتبتسم بمرارة وتحاول أنْ تحكيَ لهم عن أبيهم، وعن صوته، وعن ملامحه، وعن ضحكته، كأنّها تحفظ صورته في ذاكرتها كيْلا تضيعَ مع الأيّام. لكنّها كلّ مرة تكسرها دموعهما، وتشعر أنّها عاجزة عن إشباع هذا الفراغ الكبير.

أمّا محمود وعبد الرّحمن وأمينة الصغيرة، فهم لم يعرفوا والدهم قطُّ. محمود وعبد الرحمن وُلدا في غيابه؛ لكن أمينة قصّتها أشد وجعًا؛ وُلدت مع بداية الحرب، ولم يلمس والدها خدَّها، ولم يسمع بكاءها الأوَّلَ. كلّما نامت على صدر أمِّها، تتخيّل الأمُّ أنَّ قلب الطفلة يسألها عن يد الأب الغائبة.

البيت ضيّق، والفقر يحاصرهم، والطعام قليل، والدّواء أندرُ مِنَ الذَّهب. كلّ يوم تستيقظ هذه الأمُّ وهي تفكِّر: كيف تحمي أبناءها مِنَ القصف؟ وكيف تخبِّئهم مِنَ المجاعة؟ وكيف تزرع الطّمأنينة في قلوبهم الصغيرة بينما هي نفسها ترتجف مِنَ الخوف كلَّ ليلة؟ تعلم أنَّ أيَّ صوتِ طائرة قد يكون آخر ما تسمعه؛ لكنها مع ذلك تصمد، كجدار هشٍّ لكنّه ثابت في وجه الرّيح.

هي متعبة، ونفسيّتها منهكة، تسرقها الدّموع في خلواتها؛ لكنّها لا تسمح لها أنْ تسقطَ أمام أولادها. تبتسم رغم أنَّ قلبها يبكي، وتروي لهم حكايات لتشغلهم عنْ صوت الصّواريخ، وتُغنِّي لهم أغنياتٍ قديمةً كيْ يغرقوا في النوم بدلًا مِنَ الرعب.

أمّا الأب البعيد، ففي غربته القسريّة، يختنق كلَّ مساء وهو يتخيّل صغاره. يتساءل: كيف كبروا؟ وماذا قالوا اليوم؟ وكيف أصبحت أمينة؟ وهل يعرفون كم يحبُّهم؟ يبكي على طفولةٍ تغادرهم مِنْ غير أنْ يعيشَها معهم، يتمنّى أنْ يراهم ولو

مرّةً، أنْ يعانقَهم، وأنْ يسمعَ كلمة "بابا" مِنْ أفواههم، حتّى لو كانت آخر لحظة في حياته.

إنها حكاية عائلة فلسطينيّة، ممزّقة بين حِصاريْن: حِصارِ الحرب وحصارِ الغياب. أمٌّ تحمل جبالًا على كتفيْها كيْلا ينكسر أبناؤها، وأبٌ تائه يَنْخُرُهُ الشّوقُ والخذلانُ، وأطفال يكبرون بين أنقاض البيوت وغياب الأب، ويتعلمون باكرًا معنى الإنتظارِ والحِرمانِ.

ورغم كلِّ ذلك، في قلب هذه الأمِّ شمعةٌ صغيرة لا تنطفئُ. هي تعْلَم أنَّ الحياةَ قاسية، وأنَّ الحربَ لا ترحم؛ لكنّها تؤمن أنَّ الله لا يترك عبادَه. تتمسّك بالأمل كما تتمسّك بطفلها، وتقول لنفسها: سيأتي يوم ونعود، وسيأتي يوم ونلتقي، وسيأتي يومٌ يضحك فيه محمّد وأحمد ومحمود وعبد الرّحمن وأمينة، ويجلسون في حِضن أبيهم دون خوف ولا فراق.



فلسطين في القلب

خواطر جاءت ممن تغرَّبت أجسادهم ولم تستغرب أرواحهم، فبقوا على العهد

عُذْرًا!...

مترجمة عَنْ خاطرة لـ: إسبيرونزا ويليامس - فرنسا

ماذا عساي أنْ أقول حين تعجز الكلمات عن التعبير عَنِ الألم الذي يُؤرِّقني كلَّ يوم؟ يؤلمني مجرّد كتابة هذه الكلماتِ الّتي أسردها هنا، والتي في أعماقي، لا تُعبّر إلَّا عَنْ جزءٍ ضئيلٍ مِنْ ألمي. منذ البداية، ظننتُ أنَّ ما يحدث كابوس، وأنَّ الأطفالَ الذين رأيتهم يُشوّهون ليسوا حقيقيّين. شيئاً فشيئاً، راقبتُ المشهدَ، وغاص عقلي الباطنُ في الإكتئاب. بكيت، وصرختُ، بلْ تقيّأت، وإحتججتُ أيّام السّبت. إنتظرتُ قراراتِ مجلس الأمن، فرأيتُ يدَيْ الشّيطان مرفوعتيْن. إستمعتُ إلى قناة الجزيرة مِراراً، وبحثتُ عَنِ الأخبار على مواقع التّواصل الإجتماعيّ، ونشرتُ وتحقّقتُ مَنْ سبّب حظر الخوارزميّات لمنشوراتي في كلِّ مرّة.

عِنادٌ متواصلٌ لا هوادةَ فيه؛ لماذا يُخفى الرُّعب الّذي يحدث يوميًا دون هوادةَ منذ سَبْعِمِائَةٍ وَثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ (723) يومًا؟ تردّدتُ للحظة قبل أنْ أكتبَ هذا النّصَّ خجلًا مِنْ عجزي؛ لكنّني كتبته شهادةً على هولٍ لمْ أتخيّلْ يومًا أنّي سأشهده. كيف يحدث هذا في عام أَلْفَيْنِ وَخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ (2025)؟ أيْن حقوق الإنسان الّتي درسناها بإسهاب؟ وأين العدالةُ؟ ومحكمة العدل الدَّوْلِيَّة؟ لقد تحدثتُ عنِ الفلسطينيّين، وفي فرنسا، يُعتبر الأمر محظورًا، والجميع يشعر بقلقٍ شديد! كم مِنْ أبناء وطني الّذين قابلتهم همسوا لي بأنّنا ربّما نُراقب عبر هواتفنا الذّكيّة! يا له مِنْ عبث!

اليوم، عطّل عقلي كلَّ أشكال التّعاطف، مع أنه ينزِف داخليًّا مع كل مشهدٍ مُرَوِّع أراه.

اليوم، قرّرتُ أنْ أؤمن بأنَّ الله يفعل أشياءً لا يستطيع تفسيرَها إلَّا هو. أُقرّر أنْ أقولَ إنَّ هذه الأرواحَ البريئةَ الّتي تصعد إلى السّماء، ربّما تكون لها مَهَمَّة على

الأرض، وتعود إلى الله تعالى؛ لأنّها ستكون حاضرةً يومَ القيامة، بِمَنزِلَةِ رُسلٍ ليعرفوا إنْ كنا قد فهمنا حقًّا هشاشةَ البشر المخلوقين مِنَ الأرض والعائدين إليها. لا أحدَ يفوق أحدًا؛ لكنَّ البشرَ لنْ يفهموا هذا إلَّا عندما نقف جميعًا أمام الله.

ربّما، لنْ ترى كلماتي النُّورَ أبدًا أو ربّما يقرأ قارئ هذه الرّسالةَ في زجاجة ليفهمَ مدى الإِضطراب الّذي نعيشه في عصر يُفترضُ فيه أنْ يَعرفَ البشرُ ما يدور حولهم؛ لكنّهم يَظلُّون متجمِّدين.

سامحوني، سامحوني لكوني روحًا عاجزةً، يا أعزائي الفلسطينيِّين.

أخت، في الرّوح والقلبِ.

مِنْ رُوحِي لأَرْواحِكُمْ

مترجمة عَنْ خاطرة لـ: جوان ياسين - المملكة المتحدة

من أين أبدأ؟

شوقي لاحتضان الأطفال والنساء والشيوخ والرجال يُثقلني ويُبكيني.

أتمنى لو اِستطعت اِمتصاص ألمكم ومسح دموعكم. ألمكم وصدمتكم من هذه المأساة التي تبدو بلا نهاية وصمودكم غير الِاختياري.

كيف لي أنْ أصل إليكم جميعًا وأمحُوَ ما يجري وأمسحَ العامَيْن الماضيَيْن؟

ونستيقظ جميعنا من هذه المسرحية الرديئة القديمة الجديدة. كلما علمت بخبر عنكم، زاد يقيني بأنَّ هناك خطّة شيطانيّة ظلاميّة.

أؤمن أنَّ هناك خلاصًا، وأؤمن أنَّ حياتكم أغلى مِنَ الأرض كما وصّانا رسولنا الكريم.

يا مغيث أغثهم، ويا رحيم اِرحمهم... اللَّهُمَّ، أبدل خوفهم أمنًا وأيّامهم نورًا، واِمسح على قلوب الأمهات، واِشفِ الجرحى، وردّ الغائبين، واُنصرِ المستضعفين، واِرفعْ عنهمُ البلاءَ عاجلًا غير آجل.

فلسطين، هي أولى ذكريات طفولتي عند مشاهدة الأخبار في بلدي العربيِّ، وأطفال الحجارة هم مَنْ جعلوني طفلة ومراهقة واِمرأة تثور على أيِّ ظلم مهما كلّفني الأمر.

هل سيصلكم شكري وحبّي واِعتذاري؟

الهُدُوءُ وَالغُبارُ

مترجمة عن خاطرة لـ: حسن الريس - الفليبين

الهاتف في يدي، نافذة أو ربّما مرآة.

يُظهر لي أطفالًا مِنْ تراب

وأرى أطفالي، آمنين، ما زالوا نائمين.

قهوتي ساخنة.

العالم خارج نافذتي، هادئ.

وأشعر بالخجل مِنْ ذلك، مرضٌ لا اِسم له.

يتحدّثون عَنِ القوانين، القوانينِ الورقيَّةِ،

الكلمات الّتي اِتفقوا عليها جميعًا بالأمس.

ثمّ يرفع رجل يرتدي بذلة، يدَه

ويختفي مستشفى، منزل، تاريخ.

بكل بساطة.

ثم يبدأ الضّجيج.

الأصوات الحذِرَة، تشرح لماذا القفص

حدود، ولماذا الطفل الذي يحمل حجرًا

يُشكِّل تهديدًا للدّبّابة.

يتحدّثون كثيرًا، بصوت عالٍ،

أبدأ أتساءل إنْ كانتْ عينايَ كاذِبتيْن.

لكنْ، لا تُسمِّ هذا عجزًا.

ليس كذلك.

هذا الشّعور في أحشائي، ليس يأسًا.

إنه دين.

صمتي ليس قبولًا.

إنّه حبس أنفاس.

وعلينا أنْ نتوقّف عَنِ التّظاهر.

الشّاشة، ليست نافذةً بل بابًا.

وإنْ لمْ نعبرْها مِنْ أجلهم -

إنْ تركنا تلك السِّلسلةَ تنقطع هناك -

فإنَّ الحلقاتِ المكسورةَ، ستجد طريقها إلى بيوتنا، إلى أيدينا،

أسرع ممّا نتصوَّر.

البِدايَةُ، بَعْدَ النِّهايَةِ.

مترجمة عَنْ خاطرة لـ: زهرة الراعي - البحرين

أهلاً سيدتي العزيزة،

يا له من تاج زيتون جميل على رأسكِ!

اِقتربي، لا تخافي، أنتِ بأمان هنا.

لا بُدَّ أنكِ مرتبكة وتتساءلين أين أنتِ الآن. أستطيع أنْ أستنتج ذلك مِنِ اِرتعاش يديكِ، وعيناكِ تحملان ظلال حياة مأساوية.. نهاية قاسية يصعب تقبُّلُها.

لا تخافي بعد الآن، سيدتي الطيبة، فهذا ملجأ آمن لما فات، حيث لم يعد الوقت يضغط، والصمت كغطاء ناعم.

أتذكركِ من عالم الوجود. كنت مكسورة، ومظلومة... تركتِ وراءكِ ألماً، وأسئلة بلا إجابات، وأحلامًا لم تتحقق.

الموت، من أشدِّ الحقائق إيلاماً - فقدان الحياة.. فقدان الوجود. تلك العملية القاسية لمشاهدة شيء ينزلق، ويتلاشى، ويذوب في العدم؛ بينما نقف عاجزين، وعاجزين. يُجبر الضوء على الخفوت أمام أعيننا، ويهدأ الضحك.

لكنكِ لبستِ ما حدث لكِ. أنتِ الحب الذي منحتِهِ، والقوة التي تحمَّلتِها في كل جرح، والنور الذي يسكن القلوب الَّتي تذكركِ.

معاناتكِ خلفكِ الآن. ما تبقى هو جوهركِ، وشجاعتكِ، وحنانكِ، وجمالكِ الذي لا تسلبه نهاية.

قصتكِ لم تكن مجرد مأساة، بل رحلة روح، تحملها الآن أحضان الخلود.

أرجوكِ، أخبريني بإِسمكِ مرة أخرى.

"فلسطين"...

صحيح! عزيزتي فلسطين، أعتذر عن تقصيري في تخفيف معاناتكِ على هذه الأرض؛ لكنْ اِسمحي لي أنْ أضمَّكِ إلى صدري، لترقدي بسلام.

فلسطينُ، وَجَعٌ لَا يَزولُ

مترجمة عَنْ خاطرة لـ: عائشة يماني - كندا

أشعر أنّ الكلمات تتفتت في فمي كلما حاولت أنْ أصف ما يسكن قلبي اِتجاه فلسطين. إنّها ليست مجرد قضية بعيدة عني، بل جرح نازف في أعماقي، جرح يذكّرني كل يوم بإنسانيتي وبعجزي في الوقت نفسه. أكثر ما يؤلمني هم الأطفال، أولئك الملائكة الصغار الذين لم يعرفوا من الحياة إلَّا الخوف والدمار، والذين يُحرمون أبسط حقوقهم في اللّعب والضحك والأمان.

أقف أمام هذه المشاهد مليئة بالحزن والغضب. أشعر باليأس؛ لأنّ العالم بكل قوته وقدرته، يقف عاجزًا أو متواطئًا، كأنّ دماء إخوتي وأخواتي لا تساوي شيئًا. ينهشني الغضب حين أرى اِزدواجية المعايير، والإنسانية التي تُجزأ وفق المصالح والسياسة.

ورغم كل هذا الألم، يبقى في قلبي يقين أنّ فلسطين ليست وحدها. هناك شعوب تهتف باسمها، وقلوب تبكي معها، وأرواح تدعو لها في كل صلاة. قد أكون عاجزة عن وقف هذه الإبادة، لكنّني أؤمن أنّ الحق لا يموت، وأنّ فلسطين ستبقى حيّة في وجداننا ما دامت نبضات قلوبنا تنبض بالحرية والعدالة.

تحيا فلسطين، أرض الصمود والكرامة، وأرض الزيتون الذي يشهد أنّها باقية لا تزول.

شامِخًا كَالزَّيْتُونِ ...

بقلم: عمر فرج - ألمانيا

أقف على ترابك الزّكيّ والطاهر ... أقاوم الطّغيان والدّمار بعزّة وأُكابر...

مجاهدًا وراضيًا بقدر الله وصابرًا ... أقف مودِّعا كلَّ الأحبّة... كلّ عائلتي الغاليةَ والصّحبة...

أنظر لتلك اللّيمونة القديمة؛ فغزَّتُنا الحبيبة معروفة بتربتها النّديّة... وعلى أطرافها تنبت الحمضيّات الطّريّة...

فبعد أنْ كنت مِنَ الأوائل في الكُلِّيَّة... سرقتني الحرب مِنْ أحضان أمّي بهيّة... وإذا بي مِنْ طالب مجتهد بارع... إلى مجاهد في سحق الميركافاتي... أسارع... فلا تسألوني عنْ دفاتري وأقلامي وكتبي فكلّها قُصِفت وتمزَّقت مثلَ بيتنا عند أوَّل الشّارع...

أيا غزّتنا، يا أمّنا الحنيّة... يا حضن الأمّة العربيّة... يا مقاومةً وصبرًا وجهادًا ضدّ كلِّ بليّة. لا تيأسي فو الله لنذيقنَّهم أضعاف العذاب ونحن للجهاد أهل الحرب والعزّة والحميّة...

غزة... الميزان

بقلم: نور الدين طاهري - بلجيكا

إمّا أن تتنفّسَ غزّةُ كصدرٍ أمٍّ محزون،

يُردّدُ أنينَه ما بينَ حليبٍ مسفوكٍ على الإسفلت

ونواحٍ يتسلّقُ جدرانَ مقابرَ مثقلةٍ بالغياب،

أو يختنقَ الكوكبُ بجرعةِ دمٍ

تفجّرتْ من شريانِ البراءة

حين ارتجفَ الكونُ أمامَ نزوةِ المدى

في اقتناصِ جسدٍ هشٍّ كعصفور.

لا مطرَ هناك...

إلّا إذا انفتحتِ السماءُ بالدمع،

تُغرقُ أهدابَ الليل

على رأسِ طفلٍ يتلمّسُ "ماما"

في رمادِ الأحرف،

بينَ شظايا لعبةٍ وُعِدتْ بالفرح

فغدتْ شاهدًا بلا لحد.

غزّة...

ليستْ جغرافيا في أطلسٍ منخور،

ولا بندًا في محاضرَ باهتة،

إنها الرصاصةُ التي تأبى الإنحناء،

الصرخةُ الراسخةُ في حنجرةِ التاريخ،

الموازينُ حين تفقدُ معناها

فتفضحُ خيانةَ العدالة،

وتُشهِرُ سؤالًا دامغًا:

أيُّ إنسانٍ هذا الذي يبيعُ صمتهُ

بثمنٍ أرخصَ من العدم؟

غزّة...

اِمرأةٌ من نارٍ ونجمٍ ودمع،

تخبّئُ قُبلتها في جيب الليل،

وترضعُ الحجارةَ لبنَ الثورة،

كي لا تموتَ اللغةُ عطشى،

كي يبقى الحلمُ جمرةً في رئةِ الريح،

كي تصحو القصائدُ كلَّ فجرٍ

على وقعِ فدائيٍّ يفتّشُ عن صبحٍ جديد

بين ركامِ الأزقة.

هناك...

حيثُ تُنبتُ الطعنةُ أشجارًا،

وتتوضّأُ الشوارعُ بالدخان،

وتكتحلُ النوافذُ برمادِ الذاكرة،

يغدو الحطامُ أناشيدَ لا تموت.

هناك،

يتحوّلُ الحجرُ كتابًا،

والكتابُ سيفًا،

والسيفُ أغنيةً تتردّدُ على أفواهِ الأطفال.

غزّة...

ليستْ خبرًا في شريطٍ باهت،

ولا موتًا يُروى على عجل،

إنها اِمتحانُ القيم في بورصةٍ ملوّثة،

دمعةٌ تقاضي الضميرَ الغربيّ،

جرحٌ يفضحُ أباطرةَ البلاغة.

غزّة...

ميزانُ الأرض،

كفّةٌ من أشلاء،

وكفّةٌ من صمت،

وفي كفّتيها يتأرجحُ مصيرُ إنسانيةٍ

تتردّدُ في أن تختار:

إمّا أن تولدَ من رحم الثورة،

أو تُدفنَ في مقبرةِ اللاجدوى.

غزّة...

هي الثورةُ نفسها،

الصرخةُ التي لا تخبو،

القصيدةُ التي لا تُهزم،

الأمُّ التي تلدُ أبناءها في الملاجئ

وتزرعُ في عيونهم نجومًا لا تنطفئ.

هي الحجرُ حين يصيرُ أبلغَ من خطب،

هي الدمُ حين يتحوّلُ إلى لافتةٍ

تُعلّقُ على أبواب الغياب،

هي البركانُ الذي يُعيدُ رسمَ خرائط الأرض

بدمعةِ طفلٍ وحجرٍ صغير.

غزّة...

لن تُختزلَ في الهامش،

لن تُعرضَ كجرحٍ للفرجة،

لن تُسجَّلَ رقمًا في دفاترَ باردة،

إنها السؤالُ الأبديّ:

أيُّها العالمُ، أيُّها الصامت،

أمام الدم، ماذا تبقّى لك من لغة؟

إمّا أن تتنفّسَ الإنسانيةُ في غزّة،

فتعودَ العدالةُ من منفاها،

وتُستعادَ للقصائدِ إيقاعاتُها الثورية،

أو تُغلقَ أبوابُ المعنى،

وتُطفأَ أنوارُ الكواكب،

ويظلّ الليلُ شاهدًا

على خيانةِ الإنسان



فلسطين في القلب

خواطر جاءت من الوطن العربي، هي صوت الشعوب من أجل القضية العادلة

تِلْكَ الأَرْضُ المُبَارَكَةُ

بقلم: إبتهال موكلي-الجزائر

فلسطينُ...

تلك الأرض المباركة الّتي باركها الله في كتابه، وجعلها مهبط الأنبياء ومسرى خاتمهم، وملتقى الرّسالات، وموطن العزّ والكرامة. هي ليست حدودًا مرسومة على خارطة، ولا مجرّد رقعة مِنْ تراب، بل هي عقيدة في قلب كلِّ مؤمن، وأمانة ثقيلة في عنق هذه الأمّة. هي قِبلة قلوبنا بعد مكّةَ والمدينةِ، وعنوان شرفنا، وجرحنا النّازف الّذي لا يندمل ما بقي على وجه الأرض ظلمٌ.

قضيّة فلسطين قبل أنْ تكون قضيّة عربيّة أو إنسانيّة، هي قضيّة إسلاميّة أوّلًا وأبدًا. هي قضيّة أمّة اِرتبط مصيرها بمصير بيت المقدس: فإنْ عزَّ عزّت، وإنْ هان هانت. كيف لا، وفيها أولى القِبْلتَيْن، وثالثِ الحَرَميْن، ومسرى رسول الله ﷺ؟ إنَّ الدّفاع عنها دفاع عن ديننا، والسّكوت عن جراحها خذلان لما أمرنا الله أنْ نحفظه.

لقد جاء الإحتلال الغاصب على هذه الأرض كالطّاعون، يحمل معه الموت والخراب، يسرق الزّيتون من جذوره، ويهدم البيوت على ساكنيها، ويزرع المستوطنات كما يزرع الخنجر في خاصرة الأمّة. دنّسوا المسجد الأقصى بأقدامهم، وشوّهوا مآذن القدس بدخان قنابلهم، وأحاطوا الأسوار بالأسلاك كما لو كانوا يخشون أنْ تهبَّ نسمة حرّيّة على حجارتها العتيقة. أراقوا الدّماء، وقتلوا الشّيوخ والنّساء والأطفال، واِعتقلوا الأحرار في الزّنازين المظلمة، ظانّين أنّ الحديد والنّار سيكسران إرادة شعب تربّى على الصّمود.

وهنا، بعد أنْ تفنّن المحتلُّ في سفك الدّماء، ونهب الأرض، وتدنيس المقدّسات، لا يبقى في ميدان الشّرف إلَّا الرِّجال الّذين يحملون السّيوف كما يحملون قلوبهم،

ماضين في سبيل الحقِّ كما يمضي النّصل في خاصرة الباطل. فالأرض الّتي اِغتسلت بدماء الشّهداء، لنْ تقبلَ إلَّا أنْ تُروى من جديد بعرق المقاتلين وصهيل الخيل وصوت الرّصاص. تلك سنّة الله في المدافعة، وتلك لغة الحرّيّة الّتي لا يفهمها الغاصبون إلَّا حين تعصف بهم كما يعصف الإعصار. إنَّ المقاومة هنا ليست خِيارًا، بل قدرًا، وميثاقَ شرف، وميراثَ أمّة لا تنحني إلَّا لربِّها.

ومع ذلك، ظلَّ الشّعب الفلسطينيّ شامخًا، رغم الجراح والجوع والحصار. عانق الصّبر كما يعانق الجبل صلابة الرّيّاح. أطفالهم يذهبون إلى مدارسهم بين الرّكام، وشيوخهم يؤدّون الصّلاة تحت تهديد البنادق، ونساؤهم يصنعن مِنَ الحليب والحجر أغنية حياة لا تنطفئ.

لقد فهموا أنَّ الحرّيّة لا تُستجدى مِنْ يد المحتلِّ، وأنَّ الحقوق لا تُمنح، بل تُنتزع اِنتزاعًا. ومِنْ هنا، ولدت المقاومة، وتفجّرت في كلّ زقاق وحارة، وفي كلِّ سهل وجبل. كانت بندقية هنا، وحجرًا هناك، وصوتًا يهتف في المسجد، وراية تُرفع في المخيَّم، وصوت المؤذِّن يعلو فوق صفير الرّصاص.

لكنِ المؤلمُ، أنَّ أمَّة المليار الّتي كان يفترض أنْ تكون سياجًا يحمي فلسطين، صارت صامتة صمت القبور. بعضهم شغلته الدُّنيا، وبعضهم باع ضميره، وبعضهم رضيَ أنْ يكونَ متفرِّجًا على مأساة كبرى لا تقلُّ عن نكبة الإسلام نفسه. أين نخوة المعتصم الّتي دوّت في التّاريخ؟ وأين دموع صلاح الدِّين الّتي لم تجفَّ حتّى حرَّرَ القدْسَ؟

ومع ذلك، فإنَّ فلسطين ليست قضيّة ميؤوسًا منها، بل هي وعد ربّانيّ بأنّ الأرض المباركة ستعود إلى أهلها مهما طال اللّيل. إنّ النّصر أقرب مما يظنّ المتخاذلون،

وأقرب ممّا يحلم المحتلّون؛ لأنّ الحقَّ لا يموت، ولأنّ الشّعوب الّتي تتشرّب الكرامة مِنْ ترابها لا تموت.

فلْنكن نحن، هذه الأمَّةَ، على قدر الأمانة، نحمل همّ فلسطين في قلوبنا، ونعلّمه لأبنائنا، ونقف معها في ميادين الكلمة والفعل. ولْندعُ الله في اللّيل والنّهار، أنْ يكتبَ لها الفرج والنّصرَ، وأنْ يرزقَنا شرفَ الشّهادة أو شرفَ الصّلاة في المسجد الأقصى محرَّرًا مِنْ رِجْسِ المحتلِّين.

فلسطين، ليست بعيدة... هي في قلب كل مَنْ عرف معنى "الحقّ" و"العهد" و"الوفاء". وسيأتي اليوم الّذي يكتب فيه التّاريخ أنّ هذه الأمّةَ نهضت، وأنّ السّيوف اِرتدّت إلى أغمادها بعد أنْ طهُرتِ الأرض مِنْ دنس الغُزاة، وأنّ الأقصى عاد يصدح بالأذان حرًّا كما كان. ذلك وعد الله، ومَنْ أصدق مِنَ الله قيلًا.

فلسطين والوحي – أرض باركها الله

فلسطينُ، ليست أرضًا كسائر الأرض، بل هي موضعُ قسمٍ إلهيٍّ وذكرٍ قرآنيٍّ خالد. باركها الله في كتابه، فقال: ﴿الذي باركنا حوله﴾، وجعلها قِبْلةً أولى، ومسرى لنبيّه الأمين ﷺ، ومعراجًا إلى السّماوات العُلا.

إنّ قداسة فلسطينَ، ليست وهجَ عاطفةٍ ولا اِصطلاحَ سياسة، بل هي حقيقةٌ مِنَ الوحي، وركنٌ مِنَ العقيدة. فمَنْ أنكر حقَّها، فقد أنكر آيةً مِنْ كتاب الله. ومَنْ فرّط فيها، فقد فرّط في أمانةٍ عُرضت على الجبال فأبيْن أنْ يحمِلْنَها.

في ثراها مشى إبراهيم، وعلى جبالها تردّدت تكبيرات الأنبياء، وفي مسجدها الأقصى صلّى الرّسول ﷺ إمامًا بالمرسلين، فصار رمزًا لوَحدة الرّسالات، ودليلًا على أنّ مَنْ نصرها، فقد نصر ميراث النُّبوَّة. ومَنْ خذلها، فقد خذل الدِّين كلَّه.

فلسطينُ إذنْ، ليست قضيّة شعبٍ وحسْبُ، بل قضيّة إيمانٍ وميثاق، وامتحانٌ للأمّة كلّها: هل تكون على العهد مع ربّها أم تبيع الأمانة في سوق الخذلان؟

الأَقْصَى بَيْنَ الدَّمْعِ وَالسَّيْفِ

فلسطينُ، يا فجرَ العزائمِ والهِمَمْ

ويا قِبْلةَ الأرواحِ في سالفِ القِدَمْ

لَكِ الحبُّ في قلبي عَميقًا كموجةٍ

تُحطِّمُ في الأعماقِ أصنامَ الظُّلَمْ

أيا أرضَ مِعراجِ النّبيِّ ومسرَحِ الـ

مَلاحمِ، يا روحَ المَكارمِ والقِيَمْ

لكِ في كتابِ اللهِ ذِكرٌ خالدٌ

يضيءُ على الدُّنيا ككوكبِ مِنْ عَلَمْ

غَدَا الغاصبُ الملعونُ يسعى لِمَحوِكِ

ولكنَّكِ الباقيّةُ رغمَ العَدَمْ

دَمى من دِماءِ الطُّهرِ جَرَّتْ خطاهُمُ

إلى هاويةِ الخِزيِ، وهاويةِ النِّقَمْ

رَمَوا الطِّفلَ في صدرِ الجدارِ كأنَّهُ

عدوٌّ، فلاقى الحَجَرُ أعْتى مَنْ هَجَمْ

وأمٌّ على بابِ الدُّجى تُطلِقُ الدُّعا

وتُهدي فلَذَّاتِ الحَشا نحوَ القِمَمْ

شبابٌ إذا الموتُ اِستدارَ لِرَوعِهِمْ

تبسَّمَ مِثلَ البَدرِ في وسطِ الظُّلَمْ

حَمَلوا كتابَ اللهِ في راحَاتِهِمْ

وجاؤوا لهُيبَ البَأسِ في صدرِ الحِمَمْ

أما أمّةُ المليارِ، ما بالُها غَفَتْ؟

كأنَّ الأذانَ اليومَ مَاتَ بلا عَلَمْ

أما تَعلمونَ الجُرحَ جُرحَكمُ؟ فمَن

يُداوي بلا جُرحٍ كأنَّهُ في عَدَمْ!

فيا أمّةَ التوحيدِ هُبّوا لِعِزَّةٍ

تُعيدُ لنا الأقصى وتَمحُو ما اِنهدَمْ

ولا تَخشَوا طُولَ اللّيلِ، إنَّ صباحَهُ

قريبٌ... ووعدُ اللهِ أصدقُ مَن حَكَمْ

اللّهمَّ، إنَّا قد بَذَلنا دُموعَنا

فَثبِّتْ خُطانا في المَسالِكِ والقِدَمْ

وأَنجِزْ لنا وعدًا كريمًا خَطَّهُ الـ

كتابُ، فنَحيا في سَنا الوَعدِ والنِّعَمْ

عُرُوبَةٌ

بقلم:أحمد بياض-المغرب

أومأت إليّ،

في صدر الضُّحى،

اِكتشفت

نخب الشّمس:

ذكرى

تكسّر الحروف؛

ليل سرمديّ،

تسابيح فراشة

على محراب ظلّ؛

زغردة بحر؛

فتنة الأعراس،

وقميص مدينة!

تسأل عنّي؟

على كتمان الغروب؛

شوق يحضنني:

شغف قصيدة...

جسر

على نواة الدُّروب

وشهاب الأزقّة.

ما

اِكتشفت

برحلة

دمي

على أغصان العروبة!

أيُّها

النّشيد

في عزوف الإِتّجاه

جفّت خمرة الوادي...

في غياب

قطر الأشياء،

أسأل

ماء عينيك

هل

كنت هناك

أجاور البحر؟!

رَحَى الغَيْثِ

هنيهة...........زرقة ماء

في بحر الصّمت

تنتشل الغيوم همسها

عن أديم التّراب٠

هنيهة................ستعود

حاملة جثامين الأقمصة

وجسدها المنفيّ

يبدع نشيد الأغصان.

شابتِ الكلمات وحروفها

على كفِّ الحكاية٠

هنيهة................ستعود

برغيف الضُّحى

والياسمين

على أجنحة السّراب,

تُلبِس كفن العُودِ

أوتار الملاجئ

وحنين الخيام٠

/ليس للوصول نهاية/

تحاكي خدَّ اللَّوز

عند الإِنشقاق٠

ونور الطّفولة

الَّذي لم تره عيناها

أَسيرُ القضبان٠

تُكسِّر ضلع الموج

على طلْحِ الظّمأ٠

تغازل مدن الورد

الَّتي باعت حشمتها

للوشم اللَّقيط

وتغذِّية الرِّماح٠

على الأبواب ريحها

ورحى النّواقيس

في ليل الصّمت.....

وعرق الدُّجى

على مزهريَّة الخريف

يرافق حلم الأوراق

المؤهَّلة للسُّقوط........

الأبطال

بقلم: أحمد فروك-السودان

إلى أُولئك الأبطال أصحاب القضية الذين تحدوا العالم من أجل قضيتهم وقدسهم، وإلى المجاهدين في الأنفاق والمرابطين في المسجد الأقصى، وإلى الأمهات الصابرات الثابتات، وإلى أبناء الشهداء... أنتم قدوة للأمة وحصنها الحصين... أنتم رمز المقاومة والصمود والثبات...

نكتب لكم هذه الكلمات على اِستحياءٍ منكم؛ لأننا خذلناكم وتركناكم وحدكم في محنتكم... وليشهد الله أننا تعلّمنا منكم المقاومة وسرنا على خطاكم في المقاومة والصبر...

تقطعت قلوبنا ألمًا حين بدأ العدوان على غزة، ولكن الظروف حالت دون أن ندري ما جرى لكم بعدها ولا أن نعرف من أخباركم شيئًا...

كان خبر اِستشهاد السِّنوار مثلَ الصاعقة لنا، ولكن هيهات لنا أنْ نعلم ما دار بعدها من أحداث...

مر شهر على اِستشهاد السِّنوار. وأصبح الباب مفتوحًا لنا لنرى العالم، ولنرى ما تعيشون...

وحينها فقط، أدركنا كم هي سخيفة حربنا مقارنة بكم...

أدركنا، أنّ حصارنا لا يقارن بحصاركم...

وجوعنا، لا يقارن بجوعكم...

ولكن، الفقد كان واحدًا...

وما تعلّمناه من هذه الحرب...

"أنّه كلما اِشتد العدوان، وأُغلقت كل الطرق، وفُقد الأمل، وضاقت الأرض حتى يئس الناس من الحياة... يأتي النصر".

يأتي كأبهى ما يكون، سيستغرق الأمر أيامًا وربّما شهورًا... لتستوعبوا النصر، ولتستوعبوا أنّه لن يكون هنالك قصف ولا حصار، ولا جوع ولا خوف بعد الآن...

ولكن، سيبقى الفقد غصّة عالقة...

"ثقوا بالله وتوكلوا عليه... فحاشاه أنْ يضيعكم".

طوفان الأقصى

بقلم: أدهم بصول-الأردن

دع الأحزان في أعماق ذاتك

دع الأوجاع لملم جراحاتك

دع الدموع دعها في مآقيها

تحلّى بالغضب فالغضب مفتاحٌ

لمنجاتك

فلولا الغضب ما تحرّرت أوطانا

ولا فاض طوفان أقصانا

تمرّدْ ثُرْ على السجّان كالبركان أغرقهم بنيرانك

دع الطوفان يجرفهم

لمستنقع خطاياهم

تجلّد واِصطبر أخي

فإنَّ النصر قادمٌ

وربّ العرش يرعاكم

دع البكاء كفكف دموعك

واِحمل السلاح في كفّك

أعِد حقّك

أعِد أرضك

أعد حقّك المسلوب بالقوة

فإن الحقّ لا يعود والسّيف في الغمدِ

ولا السلام ولا الخضوع يوماً سينصفك

فثُرْ أيّها الصامد بأوطانك

على سجّانك

من الأعراب لا تنتظر نصرك

ودعهم في سباتهم

دع الأعراب نائمةً

على سرير جلّادك

كبائعة الهوى تشرى

لليلةٍ بلا خجلِ

هم العراة من شرفٍ

يخبّئون عهرهم بغربالٍ من الجبنِ

تناديهم ومن يسمع نداءاتك

فهم صمٌّ وعُميٌ عنك كالأصنام كالدمى

يحرّكها بضرب السوط سيّدها

وإنْ نطقوا رصاصٌ يخترق صدرك

لإسكاتك

نعم أُصمتْ

فصوتك عورةٌ أمام سيّدهم

فلا تنتظر من عبدٍ يحرّرك

لقد ماتت ضمائرهم

وصوتك صار عورةً

سيزعجهم سيوقظهم

فلا تبكِ ولا تصرخ

فلن يسمعك من كان في اللَّحدِ

فحكّامنا سيوفهم صَدِئَتْ

على جدران ذلِّهم

وسفِكَ ماء وجههم

على بلاط قيصرهم

لقد ماتت شهامتهم

وما مِنْ أحد يحييهم

على أنغام الرصاص سيّدي أطرب

فصوت العرب لن تسمع

ولن تسمع

فمن ذلّه الكرسيّ

محالٌ أنْ يداوي جراحاتك

فطبّب جرحك الدامي

بصبرك واِصطبر على معاناتك

فلا سواك في الخندق

يدافع عن حمى أرضك

فمَنْ غيرك

يدافع عن الأقصى

حمى الرّحمن من بعدك

حماة الأرض يا أشراف أمّتي

أيا صفوة الله

على أرضه

لقد ربحت تجارتكم

وخَسِئَ الغاشم المحتل

أَنَا لَاجِئٌ

بوطني، أنا لاجئ

أجوب بين أروقته

بعتمة ليله الدّامس

أفتّش عن ملاذٍ لي وأطفالي

يقيني برده القارص

مواطنٌ أنا؛ لكن بلا وطن

محرّمةٌ عليّ أرض أجدادي

سماؤها وماؤها

بأنْ أحيا

بلا خوفٍ مِنَ الآتي

بوطني، أنا لاجئ

أسير فوق أرصفته

بلا أملٍ

بلا عملٍ

بوطني

أنا جائع

أنا ضائع

فوطني، مشرعةٌ نوافذه

خزائنه

وأبوابه بلا حارس

بوطني، أنا لاجئ

أنا المفقود تحت أنقاضه

وتحت سيف جلّاده

إذا أراد شرَّدني

إذا أراد قتلني

بحدِّ سيفه الباتر

أنا لاجئ

بعقر بيتي المسلوب لاجئ

على الجبين مطبوعٌ

أنا لاجئ

سُلبت العمر والوطن

وقُتلت فيّ أحلامي

أسير في دجى ليلي

أصبّرني على صبري

لعلّ الخير يأتينا

كما قالوا

وكم قالوا

بلا فعلٍ

فكتب في هويّتي

أنا لاجئ

غَزَّةُ العِزَّةُ

قفا نبك على أنفسنا

على أطلال عزّتنا

عروبتنا

على آخر معقلٍ للشّرف والعزّة

على غزّة

على كلِّ ذرةٍ فيها

على الأطفال والنساء والموتى

قفا نبك

فنحن لا نحسن

سوى البكاء والشّجبْ

سوى الإنكار والغضب

قفا نبك حالنا المتعبْ

إلى متى سيبقى الدمع يخنقنا

متى نكفّ عن صمتٍ

طوال العمر لازمنا

متى نستلّ سيفنا

من الأغماد والصدأ

وننفض الغبار عن أمجاد أمّتنا

متى نعود أحرارًا

كما كنّا

فماذا بعد ننتظرْ

أ ننتظر صلاح الدّين أنْ يأتي

يحرّرها

يحرّرنا

مِنَ القيود مِنْ جُبنٍ يغلغلنا

صلاح الدِّين لنْ يأتيَ

يعيد مجد أمّتنا

ولنْ يعود مجدنا

إذا ما نحن عدنا

نحن الصوت الذي لا ينطفئ

بقلم: إسراء محمد أحمد-الأردن

نحن الصوت الأنين الداخلي، نحن الأطفال النبلاء نحلم بالحرية. نسألكم يا أمة محمد، ويا بشر أين حقوقنا بوجودنا على الأرض؟ على الذل بقينا وعلى البقاء والصمود بقينا، نتشبث ببلادنا رغم كل جرائم الإحتلال ووحشيته وقذارته، تمسكنا بالتراب والحجر والزيتون، ولدنا على وجع طويل، ورضعنا طعم الذل ولم نغادر أرضنا، وماذا عنكم يا عرب؟ يا أمة سيد الخلق، متى ماتت قلوبكم؟ أ يعقل أن يعتاد العالم صور دمائنا كأنها مشهد عابر؟ أ يعقل أنْ تتحول صرخات أمهاتنا إلى ضجيج لا يسمع؟ نحن لسنا أرقاما في نشرات الأخبار ولسنا مجرد وجوه عابرة خلف الشاشات، نحن قلوب صغيرة خلقت لتلعب ولتضحك ولتكتب أحلامها على جدران المدارس، لم نرتكب ذنوبا عصية لنحمل الكفن بدل الحقيبة والحجر، وبدل اللعبة، يا أمة العرب، يا إخوتنا في الدين والإسلام، أ لسنا منكم؟! أ لسنا أبناء القدس التي باركها الله فوق سبع سماوات؟ أ لسنا أبناء الزيتون الذي غرسه أجدادكم؟ أرضنا تأبى أنْ تكون مسرحا لكل هذا القتل وتلطيخ الدماء. لقد مات الكثير من الشهداء وسجن الأبطال وتركت الأمهات ثكالى، والأطفال بلا طفولة، والمآذن بلا أذان، ومع ذلك بقينا، نحن نخاطب ونسأل كل قلب حي: ماذا فعلت من أجلها؟ هل اِكتفيت بالصمت؟ هل رضيت بالخذلان؟ التاريخ سيعيد نفسه ويسألكم أين كنتم حين كانت القدس تستغيث؟ لكن، نحن جيل بعد جيل نحمل الوصية أنْ نحرس المفاتيح المعلقة على جدران البيوت المقدسة والمهجّرة، نحن نعلِّم أطفالنا أنّ العودة حقٌّ وليس حلما. نحن هنا باقون وللحلم بقية، يكفي إنْ أردتم أن تعرفوا معنى الكرامة أُنظروا في أعينِ أطفال غزة، والتضحية في أكف أمهات الشهداء الملطخة بالدماء، والإيمان في مآذن القدس تحت دويّ القصف، نحن فلسطين الجرح والبلسم، والألم والأمل،

والموت والحياة، ونحن حكاية الأرض التي تأبى أنْ تركع. سنبقى نصرخ لو أغلقت كل الأبواب على هذه الارض ما يستحق أنْ نموت وقوفا.

فِلسْطِينُ... الحُلْمُ الَّذِي لَا يَمُوتُ

بقلم: آسيا بولبير-الجزائر

فلسطين، يا أرض المحشر والمنشر،

يا أرضًا، رُسمت على القلوب والعقول قبل الورق.

فلسطين، أيّتها الأرض الأبيّة،

قضيّتك، ليست أيّ قضيّة، بل هي قضيّة الأمّة العربيّة.

لنْ يستطيعَ العربيُّ أنْ يتخلّى عن أرضه وعِرضه.

وأنا، بصفتي عربيّة جزائريّةً، لنْ أتخلّى عن قضيّتي الفلسطينيّة،

قضيّة تسري في دمي بين العروق والشّرايين.

فيا وردتي... فلسطين:

الفاء: فداء.

اللّام: لواء الحرّيّة.

السّين: صمود.

الطّاء: طهارة.

الياء: يقين.

النّون: نور.

ففلسطين...

أرض العزّة، والنّخوة، والكرامة،

يا أرضَ الزّيتون واللّيمون،

يا أرضَ الأنبياء والرّسل،

يا أرضٌ، كتب الله لها أنْ تبقى حيّة فينا.

مهما حاولوا أنْ يُطفئوا نورها...

ستظلّ فلسطينُ تنبض في القلوب،

وتعلّم الدّنيا أنَّ الحرّيّة لا تُمنح، بل تُنتزع.

يا موطني الثّاني، لعلَّ الفرج قريب.

فقاومي كما أقاوم، فأنا أجاهد معك بقلمي وحِبري.

سأبقى أكتب لك، حتّى تعودي إلى أمّتنا العربيّة كما كنتِ دائمًا.

فأنا، آسيا بولبير،

لنْ أتوقّف عنِ الكتابة لك بقلمي الّذي لا يخبو،

فأنتِ نبض قلبي، وأنتِ الحلم الّذي أحلم به، حلم لا يموت.

آهٍ يَا فِلِسْطِينُ، نَبْضُ الأُمَّةِ الضَّائِعُ

قلت: "هل أنتم عرب؟".

قالوا: "نعم".

قلت: "أ متأكِّدون؟".

قالوا: "نعم".

قلت: "أين الكرامةُ؟".

فصمتوا، ولم يجيبوا.

قلت: "أين الإنسانيّةُ؟"

قالوا: "هنا".

قلت: "أين؟ لا أراها".

فقلت: "هل أنتم أحياء؟"

أجابوا: "نعم".

قلت: "أين ضمائركم؟"

قالوا: "لِمَ السُّؤال؟"

فحاولت أنْ أُجيبَ بقلمي، فبكى القلم قبل القلوب والأعْيُن.

آهٍ يا فلسطينُ، يا نبضَ قلبِ كلِّ حرٍّ أصيل...

العروبة اليومَ، أصبحت عارًا علينا وعليكم.

غزَّةُ في الحصار، والعدوُّ يرقص على جثث الأبرياء.

يا دين الإسلام... أصبحتِ الأمَّة العربيَّةُ عليك عارًا،

دينُنا دين عزّ، فمِنْ أين جاء الذُّلّ؟

فلسطين تُهان، والعرب يحملون شعار الخذلان.

آهٍ يا فلسطينُ، يا موطنَ الأوجاع والأحلامِ...

لا تملكين إلَّا الدُّعاء للواحد القهّار.

آهٍ على ألمِ الخسارة...

يا خسارة يا فلسطين، حلّت عليك لعنة الصّهاينة،

ونحن لا نملك إلَّا الجهاد بالقلم.

ألوف الشّهداء... أ لا يكفي هذا الألمُ؟

فيا عربُ، اِستيقظوا مِنْ سُباتكم،

اليومَ، فلسطينُ... وغدًا، مَنْ يدري؟

فيا غزَّةُ، خذي بيدي، فقد بكت عيني وجفّ حبر قلمي.

ويا قدسُ، يا مدينةَ الأحزان والأوجاعِ،

يا مدينةَ الشُّهداء والمسلمين،

يا مَسرى نبيِّ الله الأمين،

يا جنَّةَ الله في أرضه،

ويا أجملَ الأوطانِ،

فيا مَنْ كرّمكِ اللهُ في كتابه الحكيم...

إنّها فلسطينُ، عنوانُ العزّةِ والفخامةِ.

النَّصْرُ قَريبًا

بقلم: إشراق فرطة-المغرب

مَرْرت بأقسى الأيّام

حُرِمت الماءَ والطعام

خُرِّبت أراضيك الكريمة

هُدِمت أحلامك البسيطة

حُوِّلت آمالك آلامًا

هجرت عيناك الأنام

أصبت بشتّى الأسقام

حفرت في ديارك المعاناة

نزع منك الدِّفء والطّمأنينة

فأقامت عندك الحرب والضَّغينة

أتعبت روحك البريئة

فدفنت أمواتك الشّهيدة

تبًّا لمن أذاك

سُحقا لمن أبكاك

عقابا لمن ظلمك

اِنْهزاما لمن تمرَّد عليك

تكريما لك على جهادك

تقديرا لك على مقاومتك

وقوفا لك على صبرك

تصفيقا لك على ثباتك

إلَى العَالَمِ كُلِّهِ

بقلم:السراب الواعي-الجزائر

إلى العالَم كلِّه،

نحن نكتب لا بحبر ولا على ورق، بل بملح الدُّموع وبغبار الحُطام.

يُقال إنّ الأرض تعرف كيف تُرسل رسائلها، لا بالخطابات الرّسميّة، بل بجذور الشّجر الّتي تعاند الصّخر، وبأسماءٍ محفورة على جدران البيوت الّتي هُدِّمت وظلّت واقفة في الذّاكرة.

نحن، لسنا خبرًا عابرًا في نشرةٍ مسائيّة، ولسنا رقمًا في جداول الإحصاء؛ نحن الحكاية الّتي لم تُكتمل، والقصيدة الّتي مُنعتْ مِنَ الوصول إلى آخر بيت فيها.

رسالتنا إليكم، ليستْ صرخة فقط، بل صمتٌ محمّلٌ بكلِّ ما لم تُنصِتوا إليه.

رسالتنا تُقال في عين طفلٍ يرى السّماء أقربَ مِنَ الأمان، وفي يد أمٍّ تزرع قمحًا كيلا يتيتّم الخبز.

نحن الرّسالة الّتي تتكرّر كلَّ يوم، والّتي لا تحتاج إلى ختمٍ أو توقيع؛ لأنّها مختومة بدم القلب.

فإذا سألتمونا: "ما ردّكم؟".

سنقول: "إنّنا، لا نملك إلَّا أنْ نبقى".

فِلِسْطِينُ...

اِسمك لا يُقال، بل يُتنفَّس.

أنتِ الوعد الّذي لم يذبل رغم أنفاس القرون، والجرح الّذي لا ينزِف دما بل ينزف ذاكرة.

كأنّك نجمة سقطت في القلب ولم تخطئ طريقها أو قصيدة لم يكتمل بيتها، فحفظها كلُّ لسان جزائريّ كأغنية غامضة لا يقْدِر على نسيانها.

لسنا نراك فقط على الخرائط، بل نراكِ في المآذن حين تنادي، وفي الزّغاريد حين تعلو بلا سبب، وفي دمعةٍ تتردّد كلَّما ذُكر اِسمك بيننا.

مرّةً تجيئين كصدى مِنْ بحر بعيدٍ، ومرّةً كأرضٍ تتنفّس مِنْ تحت الرُّكام، وأحيانًا كظلٍّ لا يقبل أنْ يُمحى مهما حاولتِ الرِّيّاح.

أنتِ لستِ بعيدة، فأنتِ في حنجرة كلِّ طفل يتعلّم أنَّ الحرف الأوّل مِنَ الحرّيّة هو إِسمك، وفي قلوب أمّهاتنا اللّواتي يعْرِفن أنَّ النصر يبدأ بالدّعاء.

كلّما اِقتربنا من جرحك، اِكتشفنا أنّه جرحنا أيضا، وأنَّ حدود الرُّوح لا يرسمها الاِستعمار ولا الجغرافيا.

يا فلسطينُ، لسنا نحمل لك رسالة، بل نحن الرّسالة نفسها.

نحن الهمس الّذي يجيء مِنَ الجزائر ليقول: "لن ننسى".

فأنت فينا كما اللّيل في السّماء لا يغادر، ولا يحتاج أنْ يُنادى، يكفي أنْ يُطلَّ ليملأ القلب كلّه فرحا وبهجةً.

صرخة أمل في زمن الحرب

بقلم الشاعرة: إلهام أحيون-المغرب

صرخة أمل في زمن الحرب.

صفاء السماء، ونقاوة الجو، وهدوء الرياح وبياض السحاب، وخضرة الطبيعة وأشعة الشمس الذهبية... كل شيء حولي يبدو مثاليًا، لا يتناسب مع ما في داخلي؛ ذلك السواد الذي بداخلي، وتلك الظلمة التي تحجب كل شيء. أين الصفاء واللمعان؟

أين الهدوء الذي رأيته حولي؟

لم أجده بداخلي.

فقط عاصفة سوداوية هائجة داخل روحي.

أبحث عن شيء بداخلي قد فقدته، ولا أجده.

كل يوم يتغير منظوري للحياة؛ لم أعد تلك الطفلة البريئة، ولا تلك الفتاة التي تعانق الحياة بالأمل رغم الألم.

أصبحت أفقد كل شيء؛ حتى كلماتي الطيبة أصبحت تختفي شيئًا فشيئًا، وتصبح جرحًا ينزف بداخل كل شخص.

أين لساني الذي كان كلامه وكأنه عسل؟

لقد أصبح سمًا قاتلًا في قلوب من أحب.

قلبي يتألم... جعلت الكتابة ملجأي، مِثلما جعلوها من قبلي. أكتب ولا أدري ما أكتبه؛ أغوص في الكتابة والموسيقى، وأخرج شيئًا كان مكبوتًا في قلبي... كتلك البئر العميقة التي لا نعلم ما بداخلها.

الزمن مؤلم، والواقع قاسٍ، واليأس لا يزول. الأمل نبتة تحيا في داخل قلوبنا؛ لكنها تذبل شيئًا فشيئًا.

كيف نستطيع النوم في هناء، وغزة تتألم وتعيش في عذاب؟

كيف لقلوبكم أن تسمح لكم؟

أين ضميركم؟

أين الأخوة التي تجمعنا يا مسلمين؟

نعيش في هواء نقي وداخل منازلنا، بينما إخواننا داخل جو مليء برائحة الأموات والدم والأرواح.

كل طفل يحتاج العيش في سلام؛ فكيف له أن يتحمّل ذلك القصف المستمر؟

كل يوم، وفي كل ثانية، لا يتوقف القصف عليهم. دائمًا خائفون، مهددون، خسروا كل ما يملكون، فقدوا كل سعادة تغمر قلوبهم. الجوع، والعطش، وكل شيء حُرِمُوهُ.

يا عالم، أين أصواتكم وتدخلاتكم؟

كيف لنا أن نعيش في سلام وإخواننا في دمار؟

أرى العالم أصمَّ وأعمى؛ يرى ولا يتدخل، يسمع ولا يواجه. القليل، نعم القليل، من بداخلهم روح الأخوة.

الإسلام، ديننا يا جماعة؛ لنتدخل.

لا أريد السلام ولا الهناء، ومن في عمري في عناء. أريد الحق؛ أريد الدفاع بقلب يستطيع الموت في سبيل إخوتي في غزة. قلبي يبكي... ودمعتي في عيني... ليت الجميع يتدخل؛ ليتني أستطيع إيقاف الحرب عنكم، أنا وبعض المسلمين.

إن عجزتم عن الكلام ......، فلا تعجزوا عن الدعاء.

فهم يحتاجون لنا بلا حدود.

يموتون شهداء في سبيل موطنهم، وهذا شرف لهم. مسكنهم الجنة... فالله معهم دائمًا.

أَقْلَامُ الأَمَلِ: الدِّفَاعُ عَنْ غَزَّةَ بِلَا مَلَلٍ

فلسطين، حرّة وستبقى.

حرّة.

ربما يعجز العالم عن المساندة؛ لكنّنا نحن الكُتّاب والشّعراء لن نتوقّف عنِ الدِّفاع.

سنكتب ألف قصيدة لأجلها، ولأجل كلِّ دمعة ذرفت مِنْ عيْنِ طفل لا يريد مِنَ الحياة سوى قطعة خبز صغيرة.

مِنْ حقِّ كلِّ طفل العيش في سلام، والتّمسّك بالحياة تهديد مستمرّ، لا هناء ولا أمان في كل لحظة تزداد نبضات قلوبهم، منازلهم تتهدّم وأحلامهم تتبعثر.

نعيش كما نريد وفي أفضل الأحوال، وهم عكسنا تماما؛ لكنّهم لا يتوقّفون عنْ ذكر الله وعنِ التّشبُّث ببلادهم ووطنهم.

نحن، لنْ نتوقَّفَ عنْ ذكر غزَّةَ حتّى آخرِ يوم تتحرَّر فيه.

سندعو بقلوب لا تريد لإخوانها إلّا التَّحرُّر مِنَ الحرب والعيش في سلام وهناء.

نكتب بأقلام الأمل والدِّفاع عَنِ الحقِّ دوما.

كلُّ كاتب، سلاحه القلم يدافع به حتى النّهاية.

أُكتبْ يا قلمُ، غزّة في ألم، ونحن لنا أمل أنْ تعودَ محرَّرةً وتعيش في سلام.

أرواح صامدة

بقلم: أمل الحسين-سوريا

يا ليل فاض بك دمعي

وأسرت عتمتك حزني

وضاقت النفس في صدري

حزن عليك يا وطني

طفل يموت من الألم

وشجر يسقط ورقه من الغدر

يا سماء الرحمة

هلي علينا وأكثري

رحمة عطفا

هلي نفوس باتت

من جحور الظلام تشتكي

ولدموع

على خد أمهات الشهداء لم تنشف

يا رايات النصر سيري

وفي سماء الوطن

علي و رفرفي

كل يوم فرحة

ونصر جديد أعلني

سيأتي يوم

والحق سيعود إلى أهله

مهما طال الزمن عليه

هذه أرض أبي وأجدادي.. لا تقتربي..

يا سيوف الحق

مزقي أجساد كل مندس

يعبث في وطني

يا أعداء وطني

اِنتظروا وتهيؤوا

جاء اليوم وفي صدوركم

الروح ستنطفئ

وإلى السماء أرواح ألوف الأبرياء تتواجد

ما ذنب هذه النفوس حتى تقتلي

طالبوا حقوقهم

وحقوقهم خلف قضبانكم تأسر

من اليوم وكل يوم

نصر جديد ستشهد

وإن لم تبق نقطة دم تسري في جسدي

من اليوم شعاع النور في كل بيت لن ينطفئ

يا أعداء الحق وأعداء الشمس

اِشهدوا على قولي..

تحت الأقدام ستركعون

وسيأتي يوم فيه لن ترحموا

اشهدوا كلمة النصر

على الرايات سترفرف

فلسطين

يا نبض روحي سنقاوم حتى آخر نفس سنقاوم.

فِلِسْطينُ أرْضُ الصُّمودِ

بقلم: آمنة خداوي-الجزائر

إنّ القضيّة الفلسطينيّة، قضيّة إنسانيّة وعالميّة لا تخص المسلمين فحسب، فكل فرد تتحرك مشاعره سيرفض رفضا قاطعا ما يحدث من جرائم بشعة على هذه الأرض الطّاهرة الَّتي تحمل أجلّ المقدسات الإسلاميّة. إنّها روح تسري في كلّ مسلم، فجروحك يا فلسطين تؤلمنا ودماؤك تمزق أفئدتنا يا أيّتها الأرض المقدسة المباركة. نشتمُّ فيك رائحة النّضال المتواصل دون هوادة، وقلوبنا تنبض حبا فيك، وكلّ شرٍّ من أرضك يحكي قّصة أرواح زهقت ظلما وطغيانا. أنت شامخة، وصامدة بالرّغم من تكالب العدى. من يغوص في صفحات التاريخ، سيرى جرأة قوية لا تستسلم، تقاوم بكلّ شجاعة وعنفوان، أسميتها فلسطين "الأبية"؛ لكنّ الخذلان والتّطبيع مع الكيّان الصهيوني جعل من قضيتك يا بعيدة عن الأعين، وصمة عار ستبقى على جبينكم لعنة. خنتم الأمانة، ففلسطين أمانة في أعناقنا إلى يوم البعث، كيف لا تتحرّك ضمائركم، فإبنتكم تعيش عارية، يمارس عليها سياسة التّجويع والتّشريع وأنتم في سبات عميق؛ إنّها قضية شرف، فكيف تغتصب على مرأى أعيُنِكمْ؟ وأين النّخوة العربيّة؟ هل صرنا نتغنى بالعروبة ونمجدها وندّعي أنّنا من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ أين أخلاق المسلم الذي لا يرضى الذل والإستكانة والذي يساند أخاه ويرفع عنه الغبن قلبا وقالبا؟ كل قطرة دم سفكت من أبنائك، سنسأل عنها ولا بدَّ. لَا يرتاح لي بال يا حبيبتي إلَى أنْ أراك حرّة طليقة تعيشين في سلم وأمان، يا أرض السّلام ومنك السّلام. تمنيت أنْ أرى فيك هدوء الأيام، فحبيبتي الغالية لم تعرف معنى الليالي الهادئة، والسماء الصافية التّي تلونت بدخان الإنفجارات المتتالية. سماؤك يا أرض الكفاح، صارت سوداء. وحتى أحلامي تجسد في صورة فلسطين الجريح، والبراءة تقتل بكلّ وحشية. فأين المنظمات الإنسانية؟

إنّ الجماد لوكان يملك روحا لنطق بصوت عال: فلسطين "أرض الحرّية"، فلسطين تستغيث، وتقاوم بكل شجاعة؛ لكنّها تريد يدا عربية توصلها إلى برّ الأمان. في كلّ ليلة، تقرع طبول الموت وتصعد أرواحٌ إلى بارئها، ليس صعودا عاديا وإنّما صعود فيه لوم وعتاب. يا أرض الصمود، نصرك آتٍ لا محالةَ، وعدمن الله -عزّ وجلّ- أنْ ينصر المظلومَ ولو بعد حين؛ إنّ بعد العسر يسرا. شربت من كأس الألم وواجهت

العدو الغاشم المستبدَّ وحدك لسنوات طوال بل لما يتجاوز القرن من الزّمن. زرعت في أبنائك حب الوطن، لا يا حبيبتي حب الوطن فطري فيهم؛ فأبطال المقاومة -أطفال الحجارة- لم يرضوا أن تغتصب أراضيهم، إنهم كالأم التي تقدم روحها وتقاوم بكلّ شراسة فداء لأطفالها.

الطفل الفلسطيني الذي كتبت له الحياة لكي يصير كتابا نافعا، لم يعرف حلاوة أيّام الصّبا. فمنذ نشأته كان مختلفا عن أترابه، كبر وبدأ يعي ما حوله تدريجيا كل الأحداث والوقائع، وكان يسمع صوت دويِّ الإنفجار وهو برعم في طَوْرٍ. النّمو بأيّ نفسية ستكبر يا بن الأبية، البراءة عانت الويلات والصّدمات النفسية، والطفل الفلسطينيُّ هو البطل الصغير المحارب الذي وجد نفسه مجبرا لا مخيرا على أنْ يكون قائدا فيحمل همًّا لو ألقي على جبل لإنهار وتصدَّع من شّدة البليّة... لكنّهم جبلوا على هذا وكانوا في قلب المعركة أبطالا لا أطفالا رسمت على محياهم سمة الشجاعة والتّضحية. فهنيئا لك بهم يا أرض العزّة والحرّية، هم كالزهور تنمو وتسقى لتصير ثمارا تعطي أكلها في أرض هادئة غير مقيدة تريد أنْ تتنفس هواء الرّاحة والطمأنينة.

إنّ الطبيعة على أرضك تنشد أغاني من آهات كبيرة سمعت في ضفاف الأنهار وعلى سفوح الجبال، وأشجارك يا حبيبتي أحرقت فلم تثمر إلّا رمادًا. أُحرق كلّ جميل ونهب كل ثمين بغير وجه حق. آه يا فلسطين الجريح، رايات الحداد عاليا، هي من أبشع الصور التّي نراها في غزة، منبع القصف المتوالي عليها... آه ثم آه من قلب يرى طفلا يجمع بقايا الطعام، بل ويموت جوعا. أ يصل الشر المستفحل إلى هذه الدّرجة؟ قد غابت الإنسانية وطغت الأنانية والمصالح الشخصية، وأثرياء من عرب وعجم يعيشون حياة الرّفاهية، وغناء ورقص وحفلات تقام صباحَ مساءَ دون أنْ يحرّك فيهم ذلك الوضع الأليم ساكنًا... عقلي يا حبيبتي، لم يستوعب هل أنا في خيال أم حقيقة، وأنا أتصفح الجرائد ومواقع التّواصل الإجتماعي؟ أستغرب من عالم لم يعدل على كفتي الميزان رغم إدعائه أنّه أول المدافعين عن حقوق الإنسان. أ ليس الشعب الفلسطيني شعبا يستحق العيش بكرامة؟ لماذا جعلناه فريسة، وقضية عالمية، وقضية جسد فصلت عن روحه؟

تحت سماء وطنك يا أرض الصمود، تؤلف قصص وروايات عالمية، وأرضك تتنفس رغبة في فكِّ قيودها وانتشار الحرّية... وهذا قلمي يجسد لكم قصة من نسج الواقع المرير والأليم تدور أحداثها بِشَأْنِ عائلة هجرت من بلادها عنوة؛ فأعين تلك

العائلة لا تشبه أعين النّاس، إنّها تحمل الكثير من الكلام الذي لم ينطقه اللّسان. ففي الكتمان، وجع داخلي وصراخ حبسته الأنفاس لم يستطع الخروج؛ لأنّه بركان ثائر كالهدوء الذي يسبق العاصفة، يفزع من حواليه وكأنّه يعلن غضبا وتراكم شدّة التّحمّل، وما أصعبه من تحمّلٍ!

في السادس من شهر أوت، قرّرت عائلة فلسطينية أنْ تهاجر إلى إحدى البلدان العربيّة، والمكونة من ستة أفراد، هم: هنادي، وأماني، وتميم بالإضافة إلى الأب والأمِّ.

كانت هنادي طفلة في بداية العقد الثّاني من عمرها، بدأت تتأقلم والمكان الجديد (بلد من بلاد المشرق العربيّ)؛ لكنّها فتاة اِستثنائية وكأنّها طبعت على جبينها فلسطين الجريح؛ فكلّ حديثها يروي معاناة شعب ووطن لم يذق طعم الرّاحة النّفسية. بدأت تتبادل أطراف الحديث بين فينة وأخرى؛ كلمات متقاطعة كلّها رموز وألغاز عن ليال دامية وقاسية قساوة الشتاء البارد. وعندما تعلن الطّبيعة عن غضبها، هنادي روح فلسطين موجودة في كل زاوية، هنادي عبق التاريخ، كانت تحتاج من يأخذ بيدها ومن يواسيها في محنتها... لم أر فيها مجرد فتاة غادرت أرض الوطن بل إصرار وتحدٍّ قلب رغم أحزانه، إلّا أنّه لم يستسلم. نظراتها الحادة كشفت العديد من الأمور: أنت عربيّ، وروحك وكل ما تملك لهذه الأرض المستعمرة، لا تسكت، ولا تصمت، واِفتح أبواب الأمل... هنادي، فتاة تشبّعت بروح الوطنية، فقد قرأت من كتب التّاريخ ورأت أنّ الحق يرجع إلى أصحابه ولو بعد حين، إيمانها قويّ جدا بأنّ المقاومة الفلسطينية لن تتوقف؛ فدونت حينها وهمست في أذنيها فلسطين في القلب نحن نساندها ظالمة أو مظلومة، لن نستسلم لما فرض علينا، سنفديك بآخر ما تملك النّفس البشرية، ولن نتوانى عنِ الدّفاع عنك فمهما طغى الش، فلا بدَّ أن يرفع الخير رايته ولا يكسره. أنت قطعة من وطننا العربيّ فكيف لنا أنْ نتركها تقتل وتتوجع، فشعوبنا العربيّة وإن تخلّت فستحدث تغييرا وهذه حقيقة، سيعود المجد. فمسألة فلسطين هي قضية شرف، والعربيّ الأصيل لا يترك شرفه منتهكا ومغتصبا وهو ينظر.

أنا عربيّ، إذن فلسطين روحي وأنا الجسد الذي يكون حيّا يرزق إلّا بروح في داخله تبعث فيه الحياة. فالحياة في فلسطين الحبيبة منعدمة، أموات وجثث ملقاة في كلِّ مكان، وصراخ أمهات لم يغادر مسمعي، أم تبكي على فقدان اِبنها الذي يمثّل شمعة

تضيء أرضك الغالية. إنّ ألوف الأبرياء من أطفال ونساء... تحوم أرواحهم حولنا أو بعبارة أخرى حول كلّ إنسان يحمل ضميرًا حيّا وفي جوفة أنفة لا تتشكل إلّا من عرف قدر التّضحيات، فلا بدَّ لشمس الحرّية أن تعرف طريقا إلى السماء يا أرض الصمود.

جَحيمُ النَّعيمِ ونَعيمُ الجَحيمِ

بسملة اعمرستي - الجزائر

الآن، وبينما تستيقظ كلّ يوم على شمس صباح هادئ، يمرُّ يومك بكل سلاسة، تحتمي بسقف بيتك الآمن، وتستمتع بنسمات المكيف الباردة، وتشاهد التلفاز، وأصناف الطعام المختلفة تزيّن مائدتك، تتبادل الضّحكات والحكايات مع أحبائك، وتنعم بليل تغشاه الطمأنينة والسّكون.

في الطّرف الآخر مِنَ العالَم وعلى بعد ألوف الأميال، تستيقظ غزَّةُ على أصوات القذائف وتنام على صدى الإنفجارات والصّواريخ؛ هناك حيث يصارع الإنسان وحشية هذا العالَمِ ونفاقَهُ في سبيل لقمة عيش، هناك حيث تتحول مقوِّمات الحياة البسيطة إلى رفاهية لا تُقدَّر بثمن.

إنها غزَّةُ أين يُطارد شبح الموت أرواحًا حالمة.

- الماء الذي نشرَبه ونُسرف في تبذيره دون تفكير، رشفة صغيرة منه هي حلم كلِّ طفل في غزَّةَ يسعى جاهدا للبحث في كلِّ زاوية عن قطرة منه تروي ظمأه.

- قطعة الخبز الّتي قد نتركها على المائدة دون إكتراث، هي أمنية كلِّ عائلة غزّاوية مزَّق الجوع أمعاءهم.

- الضّجيج المزعج الّذي نتذمَّر منه في مدننا، لا يُقارن بأصوات القذائف والطّائرات الّتي تخترق هدوء لياليهم وتحوِّل سكونها للحظات رُعْب وخوف.

صراخ الأطفال، ورائحة الدّماء، والأشلاء المتناثرة ... مشاهد يعيشونها يوميا، بينما نمرُّ عليها في شاشاتنا مرور الكرام.

تتألم قلوبنا، وتتجمّد أطرافنا، وتتوقّف أنفاسنا حين نتابع آخر المستجدّات. ينقبض القلب حزنًا، وتتحسَّر الجوارحُ على الأوضاع، ولربَّما نَذرِف بعض الدموع. ثمَّ ماذا؟

نعود لحياتنا الطّبيّعة كأنَّ شيْئًا لم يحدث. نترك أحزانهم لتطويَها الأيام، نعتاد ونتناسى حقيقة أنَّ أمَّةً بكاملها تُباد على مرأى ومسمع العالَم أجمع، ونكتفي بالمشاهدة ونقف عاجزين بينما ضمير الإنسانيّة ينتحب ويبكي في صمت.

لقد مررنا بمواقفَ مشابهة في التاريخ، وكنتُ أقرأ عنها وأنا صغيرة وأتساءل: كيف لم يتحرَّكِ المسلمون لنصرة إخوانهم؟ لماذا لم يفعلوا شيئًا؟ هل اِكتفوا بالمشاهدة فقط؟ وأين حُماة السّلام؟ كيف شعور القاعدين منهم وأناس مثلهم يُقتلون ظلما؟ اليوم، أعيش الموقف نفسَهُ، وأعيش الذلَّ نفسَهُ، والعجزَ نفسَهُ، والقهرَ نفسهُ. أنْ تشهد مأساة أمَّة دون أن تتمكَّن مِن فعل شيء، هو أمر مُرهق للنَّفس، والأدهى مِنْ ذلك أنّنا قد نكون نَحن مَنْ نعوق النّصر.

نحن حجر العثرة أمام النَّصر.

نعم، قد نكون نحن الحاجز الذي يمنع هذا النَّصرَ. كيف؟

بفتورنا وذنوبنا، بزلاتنا وهفواتنا، بتقصيرنا في إصلاح أنفسنا، وباِبتعادنا عن منهج الله تعالى.

نتكاسل، ونتغافل، ونتثاقل عن أداء واجباتنا. نكرر الأخطاء نفسَهَا، ونقع في المعاصي نفسِهَا، ونهمل المهمَّ في حياتنا، ونعيش في فوضى عارمة. نلهث خلف التّفاهات، ونعيش بلا هدف، ونتابع بلا عمل، ونتمنى دون سعي. تمرُّ علينا الدّقائق والسّاعات والأيام ونحن على الحالِ نفسِهَا نحيا وسط جحيم نعيم هذا العصر. هذه الحالة مِنَ الضّعف الروحي والتقصير الذاتيّ هي التي تعرقل نصر الأمّة. النّصر لا يأتي إلَّا مِنَ الله تعالى، والله -عزَّ وجَلَّ- لا ينصر أمة إلَّا إذا نصرت نفسها. إنَّ التغيير يبدأ مِنَ الداخل، وإذا أردنا أنْ نرى النّصر في الخارج، فعلينا أنْ نبدأ بإصلاح أنفسنا في الداخل.

عندما نتحدّث عن النصرة، غالبا ما نفكر في التّبرّعات المادية التي تساعد إخواننا على البقاء والإستمرار، وهناك المقاطعة الإقتصادية التي تضغط على العدوِّ، وهناك الدُّعاء الذي هو سلاح المؤمن. هذه كلُّها أشكال مهمّة وضرورية؛ لكنّها تظلُّ كالأغصان الّتي لا تُثمر إلَّا إذا كانت جذور الشَّجرة قوية. وجذورُ النّصرِ الحقيقيّةُ تَكمُن في مجاهدة النَّفْس.

المجاهدة، هي الأساس الذي تُبنى عليه كلُّ أشكال النصرة الأخرى. ثباتك هنا نصرة لهم هناك. عندما تجاهد نفسك وتثبت على الحق، وتعمل على إصلاح ذاتك، فأنت بذلك تُسهم في نصرة قضيتهم. عندما تُرتّب فوضاك الداخلية، وتعمل على غرس الإيمان في قلبك، فأنت بذلك تُثبتهم وتُقوي شوكتهم.

لا يمكن أنْ تكون نصرتنا كاملة، ودعواتنا صادقة، وتبرُّعاتنا خالصة، ونحن غارقون في شهواتنا وملذاتنا، ونتخبط بين ذنب وآخر. ما فائدة التّبرُّعات والمقاطعة والدُّعاء، إنْ كان ما بينك وبين الله خرابًا؟

إذن، ما الحلُّ؟ الحلُّ أنت، فأنت البداية، ومنك المنطلق.

اِبدأ:

* بترتيب فوضاك الدّاخلية: إنَّ عالَمَنا اليوم مليء بالمشتتات التي تُحدث فوضى في حياتنا. مِنْ وسائل التّواصل الإجتماعي التي تستنزف وقتنا، إلى المعاصي الّتي تُضعف إرادتنا، إلى الأهداف المتضاربة التي تشتت تركيزنا. هذه الفوضى ليست مجرد مشكلة شخصية، بل هي جزء من فوضى أمة. عندما تجاهد نفسك لترتيب هذه الفوضى، وتُحدد أولوياتك، وتُركّز على ما يُرضي الله، فأنت بذلك تُسهم في بناء لبنة قوية في جدار الأمة. ترتيب فوضاك هنا هو خطوة نحو ترتيب فوضى الأمة هناك.

* ثباتك هنا نصرة لهم هناك: أهل غزَّةَ اليوم يُعلِّموننا معنى الثبات. يواجهون القذائف والدمار وهم ثابتون على إيمانهم وقضيتهم. ونحن، في المقابل، قد لا نواجه قذائف؛ لكنَّنا نواجه تحديات أخرى: شهواتنا، وكثرة المعاصي، وفتور الهمة. عندما تجاهد نفسك وتثبت على الصلاة في وقتها، وتقاوم المعصية التي تستهويك، وتُداوم على ذكر الله، فأنت تُعزِّز بذلك قيمة الثبات في قلبك، وتُقوِّي إيمانك. هذا الثبات الرُّوحيُّ ينعكس قوةً وعزيمةً، ويُسهم في إيجاد بيئة إيمانية صالحة تستحق النصر. ثباتك على طاعتك هو صدى لثباتهم على أرضهم.

* ترك المعاصي: إزالة الحواجز أمام النصر: الذنوب والمعاصي هي حواجز تمنع نصر الله. الله سبحانه وتعالى وعد بالنصر للمؤمنين الصادقين، وشرط هذا النصر هو التوبة والاِستقامة. إنَّ مجاهدة نفسك لترك معصية ما، والإبتعاد عن ذنب يُحبّبك فيه الشيطان، هو بمنزلة إزالة حجر من طريق النصر. كل ذنب تتركه، هو خطوة

نحو النصر، وكل معصية تُقاومها، هي قوة تُضاف إلى قوة الأمة. عندما نُصلح ما بيننا وبين الله، يُصلح الله أحوالنا، ويُهيّئ لنا أسباب النصر.

قد نظنّ أننا بذلك ننصر أهل غزَّةَ؛ لكن الحقيقة أنهم ينصروننا. هم يُلهموننا المجاهدة، ويُعلِّموننا معنى الصبر والثبات، ويُظهرون لنا هشاشة ضعفنا الرُّوحي. غزَّةُ، مدرسة لنا جميعا، ونحن الّذين نعيش في هدوء نسبيٍّ، نحن المصابون حقًا بفقر الرُّوح. فهم بقلوبهم العامرة بالإيمان والصبر، هم المنتصرون.

نحَرْتُ مَبْدَأً لَا إنْسَانًا

بنت الوشــاح – الجزائر

أُقتادُ إلى غُرفة المحاكمة كأنّني بهيمةٌ مكبّل بأغلالٍ تلتفُّ حولَ سائر جسدي، أشعرُ بهذه الأغلال تعتصرني كأفعى الأناكوندا، أترنّحُ بسبب حالةِ الضّحك الهيستيريّة التّي أصابتني قبل قليل عندما أخبرني الحارس بأسنانه الصّفراء ورائحته العفنة أنّني رُبّما أنالُ إعدامًا وإنْ رُفِقَ بحالي سأكون في أحضانِ السّجن القذر للأبدِ مع الأشغال الشّاقّة حتّى ألقى حتْفي كأنّني حشرة سيقتلها بشريٌّ أبلهُ في أيّ لحظةٍ بسبب خوفهِ، نظرتُ إلى الرّواق الذّي خالَ إليّ واسعاً كزوبعةٍ كأنّني أمشي في اللّانهاية، اِبتسمتُ!

عندما أدركت أنَّ هناك شيئًا حالهُ يُرثى له أكثر مِنْ شَعري المبعثر ومنظري الهزيل فمع تلكَ التّشقّقات وتسريب المياه بسبب الرّطوبة، تداركت أنّني سأصبحُ هكذا سأطلقُ رائحةَ جثّةٍ في غضون أيّامٍ فإن الأمل سيتسرّبُ منّي مثْلَ غربالِ العدس الذّي يطهونهُ كلَّ يوم، كأنّني أمتزج بالمكان حتّى أصبح مثله وينتهي بإيّاي المطاف كنكرةٍ مرميّةٍ في زاوية الغرفة. دخلتُ إلى القاعة وكُّل الأعيُن مصوّبَة بِاتّجاهي. لا أنكر جنون العظمة الّذي اِجتاحني كأنّني غدوت وأخيراً مركز الإهتمام أو كأنّني البطل الذّي سيحرِّرُ العالم أو حتّى الشّرير بعد أنْ أفسدَ البطلُ المزعومُ كُلَّ مخطّطاتهُ

وبسقَ بوجهِ كلّ تعبهِ، سحبوني بأصفادي بينما تصدرُ نشازا يثيرُ أعصابي أكثر مِنْ موضوع إعدامي، حتّى وقفت أمام القاضي، كان المكان غاصًّا بالنّاس مع نظرات الإتّهام وكأنّني فعلت خطيئةً تستحقُّ الرّجم حتّى الموت. الجميع ينتظر ظهور المحامي؛ لكنّني بالأساس لم أجد أحدًا، فالجميع نفرَ مِنْ قضيّتي وكأنّني مصابٌ بالطّاعون، وقفت وحيدًا مثْلَ اليتيم في طابور الحياة، وأنا أسمع الإتّهامات المُلقاة عليَّ ثمَّ اِختتمَ القاضي بحكم الإعدام!

لم أهتزَّ أو حتّى أرتعش أو أجثو في لحظة دراميّة أو طلبت العفو، فقط نظرت إليه بجمود بينما أقول:

"أنا لم أقتلْ إنسانًا ولا حتَّى سَرقتُ مَصرفًا أو قُمتُ بإختلاسِ شيءٍ مِن مُديري الثَّريِّ، أنا فقط قتلتُ مبدأً!"

نحرتُ فكرةً خطأً، مشيتم فيها مثْلَ البهائم، وبسبب شعوركم بالنّقص أحضرتموني إلى هنا هكذا؛ لكن هذا لا ينكرُ حقيقةَ أنّكم مجرّد كبشٍ يصدر أصواتَ الأوامر العليا كالببغّاء أو حتّى الببغّاء يحتوي ألوانًا عكسَ وجوهكم الذّميمة، فإنَّ كلمة الحقِّ تغدو خنجرًا في بطونكم الشّرهة للمال، لا أهتمُّ للإعدام، فالقتلُ راحةٌ مِنْ هذا السّجن العفن ورائحتك الّتي قتلت خلايا الشّمِّ لدي، لا أريد أنْ أعيش في عالم أكونُ فيه إنسانًا ضمن حيوانات!

يا للسّخريّة، حُكِم عليَّ بالإعدام ضمن ألوف بنود للدّيمقراطيّة وحرّيّة الرّأي؛ لأنّني فقط واجهتُ عقولكم المريضة... فصدّقني مَقتلي هذا، دلالةٌ على صحّةِ قولي، فإنَّ خوفكم أيّتها الفئران من فضحِ الجبنِ النّتن الذّي تسرقوه، جعلكم تكتبونَ أخرَ أنفاسي.

خائن لعروبة

لا يَستحقُّ أنْ يُلقَّب بعربيّ

بل إنَّ اللَّفظَ نفسه يأنف أنْ يُقرَن باِسمه.

لا أريد الضَّحك...

لكنّنا، صرنا نضحك على العروبة كأنّها نكتة باهتة

ضحكٌ، يُشبه البكاء،

ضحكٌ، مِنْ وجعٍ مات حتّى صار عاجزًا عَنِ الصُّراخ.

تخيَّلْ نفسك هناك...

على يمينك أمٌّ سقطت برصاصةٍ لم تمنحها وقتًا لتودِّع أطفالها،

وعلى يسارك أخٌ وأختٌ يجرّهما جنديّ غريبٌ كأنّه يسحب أكياسًا مِنَ الرّمل،

ومِنْ خلفك والدك يصرخ: **"**أُهرُبْ يا بنيّ... لا تلتفتْ**!"**.

وأمامك، عالَمٌ مِنْ لونيْن:

رماديّ، مِنْ مبانٍ اِنهارتْ كأوراقٍ بلَّلها المطر،

وأحمر، مِنْ دماءٍ سالتْ حتّى رسمَتْ مجرًى جديدًا بين الأزقَّة.

رائحة البارود، تخنق صدرك،

وغبار الرُّكام، يدخل عينيْك،

وصوت الطّائراتِ، لا يغيب،

كلّ هديرها، وعدٌ جديد بالموت.

رأيتُ أمّهاتٍ أُسْتُشهدن،

منهنَّ مَنْ كانت تنتظر مولودها في الشّهر السّادس،

لكنِ القصفُ، أوقف قلبها وقلب جنينها معًا.

ورأيت أمًّا أخرى تحاول أنْ تُسكت رضيعَها الجائع،

بينما أصوات الإنفجاراتِ، تقترب،

وفجأةً...

لم يبقَ إلَّا بطّانيّةٌ تغطِّي جثَّتيْهما.

في المخيّمات،

تصير الخيمة بيتًا لعشر عائلات،

ويختفي معنى الخصوصيّة،

تتقاسم النساء لقمة الخبز اليابس،

وتَقاسَمَ الأطفالُ كرةً مِنَ القماش ليلعبوا خمس دقائق قبل أنْ يهربوا مِنْ هدير الصّواريخ.

العدوّ هناك لا يأتيك فقط بسلاحه،

بل بوجهه المبتسم الكاذب

يقتل الطِّفل في الصّباح،

ويأتي في المساء ليعزّيَ أهله أمام الكاميرات.

يعلن: "لا نقتل النّساء"،

ثمَّ يتسلَّل في اللَّيل ليغتال أمًّا؛ لأنّها قالت له: "أنت قاتل غاصب".*

يقول: "لا نقتل الشّيوخ"،

ثمَّ يُطلق النّار على شيخٍ وهو ساجد،

لأنّه رفع يديْه ودعا عليه.

يدّعي أنّه يؤمن بحرّيّة الصِّحافة،

لكنْ أوّل ما يفعله، هو قنص الصّحفي الّذي يوثّق جرائمه،

ثمَّ يبرِّر فعلته:

"لقد كان مع العدوِّ**!**"

ويقدِّم الصُّور والأدلَّة المصطنعةَ ليظهر بملامح الحَمَل الوديعِ.

رأيتُ الجنود والمصلِّين والمُصلّيات يدعون الله بالنّصر،

ورأيت إخوتهم في المشرق والمغرب

على الكراسي الوثيرة...

تارةً يجتمعون،

تارةً يتحدّثون،

تارةً يُدينون،

تارةً يُطالبون،

لكنْ، كلّ ما يفعلونه لا يتجاوز *تصريحًا على قناة إخباريّة،*

أو مقطعًا لا يتعدّى العشرين ثانية.

ثمَّ يرفعون أصواتهم بعبارة: "نحن مع فلسطين... إخوتنا".

لكنْ، حين تطلب منهم إدخال المساعدات،

يقولون: "لم يُسمح لنا"،

وحين يَطلبُ منهمُ المستعمر الأجنبيُّ شيئًا،

مالاً أو دعمًا أو صفقةً،

ينفِّذون بلا تردُّد.

في العصور الإسلاميّة،

كانت الدّيّة تُدفع منهم لنا،

واليوم صارت تُدفع منّا لهم.

ومَنْ قَلَبَ هذه الموازينَ؟

نحن...

مِنْ أيّام المماليك والعبّاسيِّين،

حين ركضنا وراء المناصب،

لهاثًا خلف الألقاب،

واِستبدلنا سيوفنا بالجواري،

ومصاحفنا بالمغنِّين،

ومجالس العلماء بمجالس اللّهو،

حتّى صرنا نخجل مِنْ كلمة عروبة.

أمّا كلمة مسلمين،

فقد صارت يُهمس بِها على اِستحياء بين شفاه الشّيوخ الكبار،

كأنّها جريمة،

كأنّها وصمة.

والآن...

بين أنقاض غزّةَ،

وبين جدران نابلس المثقوبة بالرّصاص،

وبين حجارة جنين المبتلّة بالدّم،

يتعلّم الأطفال كيف يحفرون بأيديهمُ الصَّغيرةِ ليُخرجوا إخوتهم مِنْ تحت الرُّكام.

تجلس الجَدَّة قرب باب بيتٍ هُدم،

تُمسك مسبحتها،

وتنظر إلى السّماء...

تبتسم رغم الدّموع،

كأنّها تعرف أنَّ النّصر سيأتي،

لكنّها، تعلم أيضًا أنَّ خيانة العروبة ستؤخِّره.

نَبضُ لا يَموتُ

بنت مجاهد - الجزائر

فلسطين... ليست مجرد اسم على الخارطة.

هي دمعة تلمع في أعيننا كلما رأينا طفلًا يرفع حجرًا أكبر من يده الصغيرة.

هي رجفة في قلوبنا حين نسمع الأذان يرتفع من مآذن القدس، رغم قيد الإِحتلال.

هي ذاك الجرح الذي لا يندمل؛ لكنه جرح يعلّمنا معنى الإيمان، ومعنى الصمود، ومعنى أنْ نحيا بالأمل حتى في أقسى اللحظات.

نحن لا نحب فلسطين لأنها بعيدة عنا، بل لأنها قريبة من أرواحنا. هي التي تجعلنا نتذكر أننا أمة واحدة، مهما حاولت الحدود أن تفرق بيننا. هي التي تجعلنا نعود إلى الله كلما تعبنا من الظلم والبؤس في هذا العالم.

فلسطين... الجرح الذي يذكّرنا بأننا أحياء.

كل صباح، تشرق الشمس على فلسطين، لكنَّ ضوءها يختلط بالدخان.

كل مساء، يسدل الليل ستاره، لكن قلوب الأمهات لا تنام؛ لأنَّ بين ذراعيهن طفل يستيقظ على صوت القصف.

في فلسطين، البيت قد يهدم؛ لكن الحب لا يُهدم.

في فلسطين، الطريق قد يُغلق؛ لكن الدعاء لا يغلق.

في فلسطين، الطفل قد يفقد لعبته؛ لكنه لا يفقد اِبتسامته.

نحن نرى في كل مشهد هناك مرآة لقلوبنا. حين تبكي أم فلسطينية وهي تحتضن صورة اِبنها الشهيد، نستعيد دموع أمهاتنا في الجزائر زمن الإستعمار. حين يقف شاب أعزل أمام جندي مدجَّج بالسلاح، نتذكَّر أنَّ الحرية لا تحتاج إلى سلاح بقدر ما تحتاج إلى قلب مؤمن لا يعرف الإستسلام.

فلسطين... صرخة الإيمان.

فلسطين ليست مجرد قضية سياسية، هي قضية إيمانية.

هي اِبتلاء يختبر صدقنا: هل نغضب للظلم؟ وهل ننصر المظلوم؟ وهل نحمل همّ المسجد الأقصى في دعائنا؟

كلٌّ قطرة دم تسقط على أرضها تقول لنا: "ألا إنَّ نصر الله قريب".

كلٌّ تكبيرة من مآذنها تقول: "هي لله، هي لله".

كلٌّ جنازة شهيد هناك، ليست نهاية حياة، بل بداية قصة جديدة من الصمود.

فلسطين... مدرسة الصمود.

كثيرًا ما درست معنى المرونة؛ لكني حين أنظر إلى فلسطين، أدرك أنَّ المرونة ليست مصطلحًا في كتاب، بل واقعًا حيًا.

الطفل الفلسطيني الذي يذهب إلى مدرسته بين الركام... هذا هو المعنى الحقيقي للمرونة.

المرأة الّتي تزرع شجرة زيتون على أطلال بيتها المهدّم... هذه هي المرونة.

الرجل الذي يُسجن سنوات، ويخرج ليقول: "لم أضعف، ما زلت أقوى"... هذه هي المرونة.

في فلسطين، الناس لا يعيشون الحياة كما نعيشها نحن. هم يعيشون التحدي في كل نفس يتنفّسونه. ومع ذلك، يبتسمون. ومع ذلك، يضحكون. ومع ذلك، يؤمنون أنَّ الغد أفضل.

فلسطين... الأمل الذي لا يموت.

رغم الدماء، هناك فرح.

رغم القصف، هناك عرس.

رغم الجراح، هناك أناشيد وزغاريد.

فلسطين لا تعرف اليأس؛ لأنها تعلم أنَّ الله وَعَد بالفرج.

فلسطين لا تموت؛ لأنها تسكن في قلب كلِّ مؤمن، وفي دعاء كلِّ طفل، وفي صلاة كلِّ أمٍّ، وفي دمعة كلِّ رجل يعرف معنى الكرامة.

حين نرى شابًا يبتسم وهو يودّع أصدقاءه إلى الجنة، نفهم أنَّ الأمل أقوى مِنَ الموت. وحين نسمع صوت المؤذِّن في المسجد الأقصى، ندرك أنَّ هذا الصوت لن يُطفأ أبدًا.

فلسطين... مِنَ القلب إلى الفعل.

حبُّ فلسطين لا يكفي أنْ يبقى في القلوب، بل يجب أنْ يصير فعلًا.

قد لا نستطيع أنْ نحملَ السلاح؛ لكنَّنا نستطيع أنْ نحملَ الكلمة.

قد لا نستطيع أنْ نكون هناك؛ لكنَّنا نستطيع أنْ ندعوَ بصدق.

قد لا نستطيع أنْ نزرعَ زيتونة على أرضها؛ لكنَّنا نستطيع أنْ نزرعَ حبَّها في قلوب أبنائنا.

في بيوتنا، يجب أنْ تظل فلسطين حاضرة. في قصصنا لأطفالنا، وفي أحاديثنا مع أصدقائنا، وفي منشوراتنا على صفحاتنا، وفي اِختياراتنا اليومية. أنْ نُعلّم أبناءنا أنَّ القدس ليست مدينة بعيدة، بل قلب الأمَّة. أنْ نحكيَ لهم عَنِ الزيتون الذي يعاند الجفاف، وعن المسجد الأقصى الَّذي لا ينحني، وعَنِ الشعب الذي لا يعرف الاِستسلام.

فلسطين... مرآة أرواحنا.

فلسطين تكشفنا.

مَنْ يقف معها، يكشف عَنْ نقاء قلبه.

ومَنْ يتخلَّى عنها، يكشف عَنْ خواء ضميره.

الله شاء أنْ تبقى فلسطين جرحًا حيًّا في الأمَّة، حتّى لا ننام نوم الغافلين. شاء أنْ يذكّرنا كلَّ يوم أنَّ هناك مظلومًا ينتظر نصرتنا، وأنَّ هناك عهدًا بيننا وبين الأقصى لن نخونَه.

فلسطين... بين خذلان القريب وأمل الله.

فلسطين لم تخذل يومًا، بل نحن الذين خذلناها.

جيوش كثيرة مرّت، وبيانات كثيرة كُتبت، وقمم كثيرة عُقدت... لكنِ القدسُ ما زالت أسيرةً، وغزَّةُ ما زالت تنزف.

كم مرة اِنتظرَ الفلسطينيُّ أنْ تأتيَه النجدة من إخوانه العرب، فلم يجد إلَّا الصمت أو كلمات لا تشبع جائعًا ولا تحمي طفلًا؟

فلسطين لم تسقط لأنها ضعيفة، بل لأنَّ مَنْ حولها تركها وحدها في وجه الطغيان.

ومع ذلك، بقيت شامخة، كأنَّها تقول لنا جميعًا: "إنْ خذلني البشر، فلن يخذلني ربِّي".

وهنا يكمن سرّها... أنَّ قوَّتها ليست في وعد الحكومات ولا في بيانات المؤتمرات، بل في وعد الله الحق:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

"فلسطين في القلب"، ليست جملة نكتبها، بل وعدًا نعيشه، وعدًا ألَّا ننسى، ألَّا نستسلمَ، وأن نربّيَ أبناءَنا على حبها، وأن نذكُرها في كلِّ سجدة، وأنْ نكتبَ اِسمَها في قلوبنا بحروف مِنْ نور.

اللَّهُمَّ، يا جبارُ، قوِّ قلوب أهل فلسطين كما قوّيت قلوب أصحاب الأخدود.

اللَّهُمَّ، اِجعل دماء الشهداء نورًا يضيء دربَنا نحو النصر.

اللَّهُمَّ، أُرزقنا صلاةً في المسجد الأقصى محرّرًا، ومطهّرًا، ومرفوعًا فيه الأذان عاليًا.

فكرة، وجرح، وذاكرة

تجا كمال الدين - سوريا

فلسطين ليست مجرد جغرافيا، ولا خطوط على خريطة، ولا أسماء مدن وقرى متفرقة. فلسطين هي حالة وجدانية، حضور يراود القلب منذ أول همسة للهواء، منذ أول شعاع ضوء يلامس ترابها. هي الجرح الذي لم يلتئم، والذاكرة التي لم تُمحَ، والهوية التي تشعّ في تفاصيل كل يوم، وفي كل صمت، وفي كل ابتسامة تحمل صبر الأجيال. كل حجر فيها يحكي قصة، وكل نبع يهمس بالحياة التي رفضت الاستسلام، وكل شارع ينطق بصوت الأطفال الذين يشهدون على زمنٍ ثقيل؛ لكنه لا يثنيهم عن الحلم.

الجرح الفلسطيني، ليس فقط جرح الأرض، بل جرح الروح؛ كل اقتلاع وكل فقدان ترك أثرًا في وجدان الإنسان، حتى صار الوطن رمزًا لكل غياب، ولكل انتظار، ولكل حلم مؤجل. الذاكرة الفلسطينية ليست مجرد تاريخ مسطر على صفحات الكتب، بل هي قصائد مكتوبة بالدم، وحكايات تُروى بصوتٍ خافت، ورثتها الأجيال لتكون حاضرة في كل لحظة، وفي كل نفس. فلسطين هي صدى الماضي والحاضر، المتجذر في كل قلب فلسطيني، يحمله في صمت عميق مثل حبل يربطه بالأرض مهما ابتعد المكان، ومهما طال الزمن.

الزمن الفلسطيني: الانتظار والصبر.

الزمن في فلسطين له نسق خاص، ليس كالزمن الذي نعرفه في بقية بقاع الأرض. هنا، كل يوم يمر يحمل طعم الانتظار والثبات، وكل ساعة تُقاس بالحنين والحذر، وكل لحظة تصبح تحديًا. الأطفال الذين يلعبون في الأزقة، والنساء اللواتي يمشين بين البيوت، والشيوخ الذين يروون الحكايات القديمة... جميعهم، يعيشون زمنًا مشبعًا بوعي الوجع؛ لكنه أيضًا مفعم بالأمل.

في فلسطين، الانتظار ليس سلبية، بل هو فعل وجودي؛ انتظار للعودة، وانتظار للحياة التي تستحق أن تُعاش، وانتظار لكل لحظة يمكن فيها أن تشرق الشمس على وجه بلا خوف. اليوم العادي يحمل في طياته صمودًا لا يُقاس بالأرقام، بل بقدرة الإنسان على أنْ يظل يقاوم الخوف واليأس، وأنْ يحافظ على هويته وكرامته. الزمن الفلسطيني علّم الأجيال الصبر، وحوّل كل ساعة إلى قصيدة مقاومة، وكل يوم إلى شهادة على قدرة الإنسان على الصمود رغم كل الجراح.

الأرض، بصفتها روحًا حيّةً.

الأرض في فلسطين، ليست مجرد تربة تُزرع أو تُسكن، بل هي كائن حي يتنفس ويشعر. هي تحمل ذاكرة الناس، تخزن دماء الشهداء، وتحتضن دموع الأمهات، وتحتفظ بأصوات الأطفال الذين لم يكبروا بعد. كل شجرة زيتون، وكل حقل صغير، وكل حجر في الأزقة القديمة، ينطق بالحياة، وبالصمود، وبالوجدان. الأرض تحاور أهلها بصمت، تذكرهم بأصولهم، وتحثهم على البقاء، وعلى الصبر، وعلى حماية هذا الكيان الذي هو أكثر من مجرد مكان، إنه روح متجددة في كل قلب فلسطيني.

الأرض الفلسطينية، تعلّم أنّ الصمود ليس فقط فعل مقاومة، بل هو فعل حب. حب كل زاوية، وحب كل ذكرى، وحب كل صوت، وحب كل نفس. الأرض تعطي بلا مقابل، وتظل حاضرة مهما حاول الزمن أو الظروف أنْ تهزها. وهي تزرع في الإنسان الفلسطيني شعورًا بالانتماء العميق، وشعورًا بأنّ هذا المكان جزء من كيانه، وأنّ الصمود فيه واجب وجداني قبل أن يكون سياسيًا أو تاريخيًا.

الإنسان الفلسطيني: وجدان وصمود.

الإنسان الفلسطيني، هو قلب فلسطين النابض. هو الأم التي تهدهد طفلها في الزقاق، والطفل الذي يحلم بالمدرسة والحياة، والشيخ الذي يسرد قصص الماضي ويفتح نوافذ الذاكرة للأجيال القادمة. الإنسان الفلسطيني، هو الأسير الذي يكتب حروف الحرية على جدران زنزانته، والشهيد الذي ترك جسده؛ لكن بقي صوته حيًا في القصص والذكريات.

في هذا الإنسان، تلتقي وجدانياً جميع الجراح مع كل لمسة أمل. في عينيه ترى القدرة على التحمل، وفي صمته قوة، وفي ابتسامته رغم الألم حضور الحياة المستمرة. الإنسان الفلسطيني، يحمل فلسطين في قلبه وروحه، يجعل من صموده رسالة لكل العالم: أنّ الحرية ليست كلمة فقط، وأنّ الكرامة ليست مجرد فكرة، بل فعل دائم، وحضور مستمر في كل لحظة من الحياة.

المقاومة، بِإعتبارها صمودًا وجدانيًّا.

المقاومة الفلسطينية، ليست مجرد سياسة أو أحزاب، بل هي فعل شعب مستمر، وصمود يومي. هي الكتابة، وهي الحكاية، وهي التمسك بالأرض، وهي التعليم، وهي الصلاة، وهي الذاكرة التي تنتقل من جيل إلى جيل. المقاومة هنا، تعني أنْ يعيش الإنسان الفلسطيني بكرامة، وأنْ يحافظ على هويته وروحه، وأنْ يقاوم اليأس والخوف بالوجود نفسه، وبحياته اليومية، وبمشيه بين الشوارع، وبابتسامته، وبصموده.

كل فعل مقاومة، هو رسالة وجودية: أننا باقون، وأننا هنا، وأنّ فلسطين ليست مجرد مكان على الخريطة، بل هي روح لا تموت، وهي صدى كل قلب فلسطيني يحلم بالحرية والعودة. كل يوم يمر على الزقاق، وكل صلاة تُقام في الظل، وكل درس يُدرّس للأطفال، هو جزء من المقاومة، وجزء من الصمود الذي يثبت أنّ الشعب الفلسطيني حاضر رغم كل الجراح والظروف.

الذاكرة والهوية

أنْ تكون فلسطينيًا، يعني أنْ تحمل التاريخ في عينيك، وفي صوتك، وفي خطواتك. الهوية الفلسطينية، ليست مجرد أسماء أو جغرافيا، بل هي شعور، وهي وجدان، وهي ذاكرة حية تتفاعل مع كل لحظة. الذاكرة الفلسطينية، تحمل الماضي بكل ألمه؛ لكنها تمنح الحاضر قدرة على الصمود، وتزرع في المستقبل أمل العودة والحياة الحرة.

كل قصة، وكل ذكرى، وكل صورة محفوظة في القلب، تشكل فسيفساء الهوية الفلسطينية. في هذه الذاكرة نجد القوة، ونجد الصمود، ونجد فلسطين الحية التي لا يمكن لأحد أن يسلبها.

القدس: مدينة المآذن والروح.

القدس، ليست مجرد مدينة، بل قلب فلسطين النابض وروحها المقدسة. هي المآذن التي تنادي بالسلام، وهي الأزقة التي تحمل صدى الدعاء منذ قرون، وهي المكان الذي تجمع بين الأرض والسماء، وبين التاريخ والروح. في القدس، تتلاقى الأديان لكنها أيضًا تعرف معنى الصمود: كل حجر فيها يحكي عن صلاة لم تُكسر، وعن أمل لم يُطفأ، وعن قلب فلسطيني لا يلين. هي مرآة الإيمان، وعنوان التمسك بالحق، ودليل على أنّ فلسطين ليست مجرد جغرافيا، بل رسالة وجودية وروحية لكل من يعرف قيمة الأرض المقدسة.

صرخة الذاكرة:

فلسطين، ليست مجرد أرض تُحتل أو جرح يُنسى، بل هي حق لا يموت، ووجدان لا يُقهَر، وهوية لا تُسلَّم. لكل قلب فلسطيني، ولكل روح تثبت على الحق: كفى صمتًا، وكفى انتظارًا، وكفى تهاونًا! لا بد أن نرفع صوتنا، وأنْ نكون الحاضر في كل لحظة، وأنْ نزرع الصمود في كل شارع، وفي كل بيت، وفي كل عين.

لن نرضى بأقل من الحرية، ولن نساوم على كرامتنا. فلسطين في دمنا، وفي حروفنا، وفي صرخاتنا المكتومة، وفي كل خطوة نخطوها رغم القيود. هي جرحنا،

نعم؛ لكنها أيضًا قوتنا وعزمنا، وعدنا الذي لا يُنكَس. لا مكان للخوف بعد اليوم، ولا مساحة للصمت أمام الجور، ولا فرصة لمن يسعى لمحو وجودنا.

مهما راهنتم، ومهما حاولتم أنْ تمحوا التاريخ من حجرها وأزقتها، فإنّ فلسطين باقية في الذاكرة، وباقية في القلوب، وباقية في كل نبضة روح فلسطينية. كل جرح فُرض عليها، وكل دم سُفك، وكل بيت هُدم... لم يطفئ نورها، ولم يزح جذورها العميقة في وجدان أبنائها.

مهما حاولتم طمس التاريخ من حجارة القدس وأزقة نابلس وغزة وبيت لحم، فإنّ فلسطين باقية.

تظنون أنّ الأرض تنسى أو أنّ التاريخ ينسى أو أنّ الشعوب تنسى... فلسطين لا تُمحى، ولن تُمحى. هي الجرح الذي يعلّم، وهي الصمود الذي يربط الأجيال، وهي الحلم الذي يظل حاضرًا رغم كل ظلام، ورغم كل عدوان.

فلتكن فلسطين حية في كل نبضة قلب، وفي كل كلمة نكتبها، وفي كل فعل صمود. لن نستكين، ولن نتراجع، ولن ننسى، ولن نغفر لمن يراهن على محو ذاكرتنا. كل ما نملكه هو الحق، وكل ما نملكه هو إرادتنا، وكل ما نملكه هو صمودنا الذي لا يلين. فلسطين ستبقى، وحريتها قادمة، مهما طال الليل.

جَوْهَرَةُ المَدائِنِ

تركية طيغة - الجزائر

كلّنا عشّاق

لكن العشق في حضرتك له مذاق

كتبت عن الحب والوطن وعن الرّفاق

ما جفَّ حبري وصوت واسع النّطاق

أنت سيّدتي وملهمتي يا صاحبة الوثاق

يا مسقط الأنبياء ويا روضة الإشراق

سيموت الحزن يوما ويلفُّنا العناق

مادام الحب فيك نهرًا يولد مِنْ وفاق

أنت فلسطين

تذوّقت طعم الهوى والوطن

كما تذَوّقت طعم العنب

والتّفّاح والرّمان

وعزفت لحن الحروف والكلمات

وشبعني الإيمان

وقرأت للشّعراء أذواقًا وألوانًا

للمارِّين والقادمين على أرضك

فلم أجد سوى غصن شوق واِحتراق

لأنَّ العشق في حضرتك له مذاق

أنت يا فلسطين

تحملني روحي إليك

وأفتِّش بين حروف اِسمك

عن كلِّ الوجوه والأسماء

ليس سواك والروح والبقاء

أحمل مِنَ الصبر عنوانًا

لكلِّ الأقدار

ويذوب في هواك كلُّ الكبرياء

فأستيقظ على وقع أقدامي

إنّها تقبّل ترابك

وتستنشق نسيمك

وتنطق أنت يا كلَّ الإنتماء

عربيّة أنا لك العشق والإحتواء

أنت يا فلسطين

تسكن فيك كلُّ معاني الشعور

تعانق أبطالك كباقات مِنْ زهور

أنت يا واحة العطر والسُّرور

فرشت لديك لقاءات الإنعتاق

ها قد اِقتربت شمسك مِنَ الإشراق

وستنبت حبّات التّراب والأحجار

برحيق الزّهور

ويوم النّصر تغنّي كلُّ الطُّيور

يا سيّدة الأرض ويا ملكة القصور

لأنَّ العشق في حضرتك

له كلُّ الحضور

غزة الصبر

جنان فريد - العراق

ذُرِفَتْ دموعُ الأمهات

ليست دموعاً بل جروحاً موجعات

ذُرِفَتْ دموع عابدات

لله شكراً ساجدات

ذُرفت دموع سائلات

ما بال عُرب صامتين وهم أُباة

قلبي على شعبٍ تَهاوى مثل النجوم

فوق رمضاءِ الفلاة

قلبي على أبٍ وأمٍ وأخ

شد الحيازيم وأحنى ظهره

يدفن جزءًا من بقايا روحه عَشِقَ الحياة

غزةَ كيف أُكفكفُ مدمعًا

يجري على قوم أبانوا المعجزات
صبرٌ وإيمانٌ وأقوى عزيمةً
لم يشهد التاريخ عُرسًا مثلها
حتى الممات
خجلٌ وصمتٌ لَفَّ أبناءَ يعرب
فلحكم للجبناء أبناء الطغاة
باتوا أسارى عند أول محنةٍ
دَعَوا البطولة حيث مثوى الزائفات
ما حيلةٌ عندي سوى دعوةِ مؤمنٍ
تسحقُ أعداءً وتَصنعُ أُمنيات
لله دَرُّ أمةٍ قد زانها ألقٌ ووجهٌ
مشرقٌ
رغم الجروح الغائرات المُثخَنات
أنا آهة سكنت بقلبٍ مُوجَع
يرجو اِنتصارًا حيث تصفو الأمنيات
اِستودعتكم ربي خيرًا حافظاّ
ما ضاعت الدمعات يومًا ناصرات

لا تبحثوا

جهاد عوض - مصر

لا تبحثوا عن براءة الأطفال في عينيّ.

لقد احترقت. تحولت إلى زجاج أسود يعكس صور الجحيم الذي صنعتموه.

لا تحاولوا أن تربتوا على شعري المغطى بغبار الإسمنت والدم الجاف.

لمسة الشفقة منكم تحرق جلدي أكثر من الفوسفور الأبيض.

أنا لست قصة حزينة تُبكيكم للحظات ثم تنسونها.

أنا لست رقمًا في إحصاءاتكم اليومية.

أنا الشاهدة التي لن تموت ذاكرتها، أنا الصرخة التي ستخترق جدران صمتكم إلى الأبد.

اسمي كان له رنين الموسيقى يومًا ما.

الآن، هو مجرد همس يضيع في عويل الريح بين الأنقاض.

عمري كان يُحسب بالسنوات وأعياد الميلاد والشموع. الآن، يُحسب بعدد الجثث التي تعثرت بها، وبعدد الانفجارات التي هزت روحي، وبعدد الأحباء الذين تحولوا إلى أجزاء متناثرة.

هل تريدون أن تعرفوا الحقيقة؟ ليس حقيقة نشرات الأخبار المفلترة، بل حقيقة اللحم والدم والعظام المكسورة.

سأمنحكم تذكرة مجانية إلى الصف الأمامي في مسرح الرعب الذي أعيشه كل يوم. استعدوا؛ لأنني لن أرحم مشاعركم الهشة.

كنا نختبئ في قبو بناية قديمة، ظنًا منا أنه المكان الأكثر أمانًا.

كنا عشرين شخصًا، عشرين نفسًا يرتجف، يتشاركون أنفاسًا متقطعة ورغيف خبز متعفن.

كنت في حضن جدي.

كان يروي لي قصة عن شجرة زيتون صمدت ألف عام. قال إن جذورنا مثلها، لا يمكن اقتلاعها.

كانت يده الكبيرة المجعدة تمسح على شعري، وصوته الهادئ كان درعي الوحيد ضد أصوات الموت في الخارج.

ثم جاء الصوت.

لم يكن صوتًا عاديًا.

لم يكن قصفًا سمعناه من قبل.

كان صوتًا يبتلع كل الأصوات الأخرى.

شعور بأن الهواء نفسه قد تمزق، وأن الأرض فُتحت لتبتلعنا.

لم يكن هناك وقت للصراخ. في جزء من الثانية، تحول قبو الأمان إلى مقبرة جماعية مضغوطة.

الظلام كان مطلقًا. لم يكن ظلام الليل، بل ظلام القبر. شعرت بثقل هائل يسحقني. كان جسد جدي فوقي.

لكنه لم يعد دافئًا.

كان ثقيلًا، صامتًا، بلا حياة. حاولت أن أدفعه، لكنني كنت مثبتة.

ذراعي اليمنى كانت محشورة تحت جسده، واليسرى تحت كتلة من الحجارة.

لم أكن أشعر بألم، فقط بضغط رهيب، وشعور بأنني أتنفس غبار الموت.

مر الوقت.

لا أعرف كم.

ساعات؟ يوما؟

في الظلام، الزمن يفقد معناه.

بدأت أسمع أصواتًا.

ليست أصوات نجاة. كانت أصوات احتضار. أنين خافت من امرأة تنادي على طفلها. سعال دموي من رجل عجوز. ثم، شيئًا فشيئًا، خفتت الأصوات.

واحدًا تلو الآخر.

حتى لم يتبق سوى صمت الموتى...

وأنا.

كنت محاصرة مع تسع عشرة جثة في قبرنا المشترك.

بدأ الهواء يفسد.

رائحة الغبار والدم بدأت تفسح المجال لرائحة أخرى، حلوة ومقززة في آن واحد. رائحة تحلل اللحم البشري. رائحة أصدقائي وجيراني وجدي.

كنت أتنفسهم.

كنت أتنفس موتهم. بدأ الجوع ينهش أحشائي كوحش مسعور.

ثم العطش. يا إلهي، العطش.

كان حلقي جافًا كورق الصنفرة.

كنت ألعق الغبار الممزوج بالدم المتجمد على شفتي فقط لأشعر بأي رطوبة. بدأت أهذي.

كنت أرى وجه أمي، تبتسم لي وتقدم لي كوب ماء بارد. كنت أمد يدي، فلا أجد سوى الفراغ البارد.

في اليوم الثالث، أو ربما الرابع، بدأت أفقد عقلي. كنت أتحدث مع جدي.

"لماذا لا تنهض يا جدي؟ قصتك لم تكتمل.

ماذا حدث لشجرة الزيتون؟"

كنت أصرخ عليه، أغضب منه لأنه تركني وحيدة مع هذه الرائحة وهذا الصمت.

ثم حدث ما كسر آخر قطعة سليمة في روحي.

شعرت بحركة تحت ركام قريب. ليس حركة إنسان. كانت حركة جرذان.

كبيرة، وجائعة.

سمعت أصوات قضمها الخافتة.

كانت تأكل جثث جيراني. رأيت عيونها الحمراء الصغيرة تلمع في الظلام. اقترب أحدها مني، شمّ وجهي بأنفه المرتعش. صرخت صرخة لم أكن أعرف أن حنجرتي قادرة عليها.

صرخة حيوان محاصر، مزيج من الرعب المطلق والغضب البدائي.

لا أعرف كيف، لكن تلك الصرخة حررت شيئًا فيّ. طاقة مجنونة من اليأس. بدأت أهز ذراعي المحشورة بجنون، ذهابًا وإيابًا، غير مبالية بالألم الذي بدأ يخترق الضباب في عقلي.

سمعت صوت طقطقة مروعا.

لم يكن صوت الحجارة.

كان صوت عظامي.

تحررت ذراعي اليسرى، لكنها كانت تتدلى بزاوية غريبة، مكسورة ومهشمة.

استخدمت ذراعي السليمة وذراعي المكسورة كرافعة، وبدأت أحفر.

حفرت بأظفاري حتى تمزقت وسال منها الدم.

حفرت كحيوان يحاول الخروج من جحره.

كنت أدفع قطع اللحم الباردة، وأزيح الأطراف المتصلبة.

كل لمسة كانت كابوسًا. لمسة شعر امرأة، ملمس وجه طفل بارد، يد رجل متخشبة.

لم أعد أرى فيهم بشرًا.

كانوا مجرد عوائق بيني وبين الهواء.

بعد ساعات لا تنتهي من الحفر، رأيت خيطًا رفيعًا من الضوء.

كان أجمل وأقسى شيء رأيته في حياتي.

وسّعت الفتحة، وزحفت خارجًا إلى عالم مدمر. كنت حرة.

لكن حرة في ماذا؟

في جحيم أكبر.

الشمس كانت تؤلم عينيّ. المدينة التي عرفتها لم تعد موجودة.

كانت مجرد هياكل عظمية سوداء لأبنية تمتد نحو سماء رمادية ملآى بالدخان. الشوارع كانت مغطاة بالركام والزجاج وأشياء أخرى لم أجرؤ على التحديق فيها. كانت هناك رائحة واحدة تسيطر على كل شيء:

رائحة الموت المشوي.

بدأت أمشي.

إلى أين؟ لا أعرف.

كنت مجرد شبح صغير بذراع متدلية، وجسد مغطى بالتراب والدم، وعينين رأتا ما لا يمكن وصفه.

رأيت مشاهد لن تمحوها كل مياه العالم من ذاكرتي.

رأيت كلبًا ضالًا يجر ذراع طفل صغير.

رأيت قطة تأكل من وجه جثة منتفخة.

رأيت رجلًا يجلس في وسط الشارع، يهز حزمة من القماش بين ذراعيه ويدندن لها تهويدة. عندما اقتربت، رأيت أن الحزمة لم تكن طفلًا، بل مجرد كومة من الخرق الملطخة بالدم.

كان قد فقد عقله.

رأيت مجموعة من الأطفال، أكبر مني بقليل، يتشاجرون بعنف على علبة بسكويت فارغة، يلعقون الغبار المتبقي في داخلها.

رأيت امرأة تصرخ وتضرب رأسها بحائط متبقٍ، بينما جثة زوجها معلقة على أسلاك الكهرباء فوقها.

هذا هو عالمكم.

هذه هي "الأضرار الجانبية" التي تتحدثون عنها ببرود. نحن لسنا أضرارًا جانبية.

كنا حيوات. كنا قصصًا. كنا ضحكات وأحلامًا.

وأنتم محوتمونا.

غضبي ليس غضبًا عاديًا. إنه ليس شعورًا عابرًا.

إنه كيان حي ينمو في داخلي. يتغذى على كل مشهد رعب أراه.

يتغذى على صمتكم.

يا قادة العالم، يا من تجتمعون

غزّة... الإنسان الأسمى عبر العصور

حاتم الرهاوي - اليمن

مُقدّمة وجدانية

قضيّةٌ ثلاثيّة الأحرف؛ لكنّها تحملُ من الثِقل والتعقيد ما لو حُمّل كلّ حرفٍ منها بحكايةٍ، لعزّ على الثقلين الهمسُ به.

غزّة، ليست محضَ مساحةٍ على خارطة، بل هي خاصرةُ الكرامة العربيّة والإسلاميّة، بل والإنسانيّة على حدٍّ سواء.

من حجارتها الطاهرة يولد الفجرُ، ويولد بطلٌ إضافيّ كلّ يوم، ويستشهدُ الاثنان جنبًا إلى جنب على راحتي المساء.

من تربتها الأبيّة، تنطلق موشّحات الصمود على هيئة وصايا، أوكلوها بها من أمسوا تحتها، فتراها مهلِّلة ومكبِّرة آناء الليل وأطراف النهار على ألسنٍ عديدة مجهولة، تقرّع مسامع الباقين: "أَنْ هذه الأرض عرضُكم، فحيّ على الجهاد".

غزّة... التي كم أطفأوها فباغتتهم بلهيبٍ جديد.

غزّة التي يثمر رمادها جمرًا يوقد للثأر على مهل.

غزّة، هي الجوهر الذي ليس لفناءٍ دنيويّ أن يطاله.

غزّة التي علّمت النجوم اجتياز الامتحانات المتجدّدة لليالي السوداء، وعلّمتها كيف تضيء نفسها وما حولها دون الحاجة إلى الضياء.

وعلّمتنا مدرسة غزّة، كيف نشكر كسرة الخبز، وكيف نُثني على الأرض التي تحملنا ليومٍ آخر.

من هي غزّة؟

غزّة، ليست اسمًا مجرّدًا. غزّة، هي الإنسان الأسمى عبر العصور.

غزّة تُجرِّد ولا تتجرّد. فمن إناء غزّة يغرف من اغترف إنسانيته، ويعرض من أعرض عنها متجرّدًا من أيّ انتماءٍ لهذه القيمة الجليلة إلى الأبد.

غزّة، هي تلك الدمعة التي تأبى السقوط على حساب الكبرياء.

غزّة، بطفلها المشرد وبدفاترها المهترئة... لكن، الشامخة كشموخ أملها، بقططها الجائعة وبكلابها النحيلة وبمنازلها العتيقة التي تأخذ بعضها البعض بالأحضان كحنان أمٍّ ووفاء صديقٍ في أرض المعركة...

غزّة بترابها، وبسمائها، وبشوارعها، وبزيتونها، وبدمائها، وبكل بساطتها... هي غزّة العظيمة، والرفيعة رفعةً لا تخفى على ابن أنثى.

غزّة قصيدةٌ درويشيّة: دراويشها فقراؤها، وقافيتها أرواح شهدائها، وحبرها دماء الآباء والأبناء والبنات والأمّهات والإخوة والأخوات وكلّ من تلاهم.

انتحار التاريخ أهون على همّته من محو قصيدةٍ عُمِّد حبرها بـ"لا إله إلا الله" قبل أن يُخطّ بها حرف واحد.

أيّ قوّة على الأرض، تكفي لسلب أرضٍ ليس فيها شبرٌ إلا سُقي يومًا بقطرة دم موحّد أو موحّدة؟

أيّ طاغوت على الأرض، قادر أن يمنع نبتةً وُكّلت حتى قيام الساعة أن تنعى كلّ ليلةٍ فقيدًا أو تدعو لشهيد؟

غزّة أمّ مباركة، تمخّضت في ليلةٍ باردة فأنجبت شعاعًا ساخنًا اسمه الأمل، ودرّبه الآباء على أن يبتسم ابتسامةً عريضة في وجه الموت ما دام هنالك بضع خطواتٍ منه إليه.

غزّة، في ذاكرة العروبة:

من يبحث عن تاريخ غزّة، سيجده كثيرًا في أماكن مألوفة: في الأغاني، وفي نشرات الأخبار، وفي خطب الساسة، وفي أناشيد الطفولة أو الأخبار العاجلة... لكنّه، لن يجد الحقيقة قطّ في ذلك الكثير المألوف.

فليبحث عنها إذنْ في قليلها المجهول المأسور المقتول: خلف جوعة طفلٍ دامعة، وفي جبين كهلٍ دامٍ، وفي وجعٍ قديمٍ حديثٍ في أعماق أمٍّ ثكلى للمرة الأولى والألف معًا.

واسعٌ تاريخ غزّة من المحيط إلى الخليج، يلوح للناس اسمها كما تلوح لهم أسماء مدنهم الأولى، ليس بصفتها بقعةَ أثرٍ على الساحل، بل بصفتها ناصية الهويّة ورأس سهم الكينونة. وفي هذا يهمس هامسٌ في وجدان كلّ حرّ:

"من أنا لو لم أكن ما ينبغي أن أكون؟".

إنّه الواقع الدموي الذي يفتك بأرواح محدودي النظرة منطفئيّ البصيرة من الغزاة المعتدين على مرّ العصور.

من يسيل لعابهم لالتهام تلك القطعة، ظنًّا منهم أنّها كلّ ما على الطاولة، غير أنّ الواقع متجذّرٌ تجذرًا أعمق من المساحات المجرّدة؛ له جغرافيا ذرّية موزَّعة في كل كروموسومات الجينوم العربي، فيؤكل الآكل على حين غفلة وحمق.

ألسنتنا ما فتئت تلهج بذكر غزّة ما حيينا:

هنا عجوزٌ، تحمل همّتها على عكّازها باحثة عن أنباء حرب غزّة لدى الجيران،

وهنا، مقهى يعجّ بشبابٍ تتطاير من حواراتهم شراراتٌ هائجة تكاد تفجّر نيران الغيرة والحمية،

وهناك، أطفالٌ يرضعون الهويّة على مهلٍ في المدارس، ويحفر اسم غزّة في أدمغتهم كما يحفر النهر بصمته على مجراه.

فهي، الحكاية التي لن يسطر ختامها إلا ناسجوها، مهما تغنّى الغاصبون بأشباه النهايات.

وهي، الروح التي قُدّر لها أن تحيا رغم أنف القتلة المجرمين.

غزّة أيها التاريخ، هي عرضُ العربي:

هي أخته التي تحظى بغيرته،

وأمّه التي تحظى ببرّه،

وابنته التي يعزّ عليه دمعها،

وزوجه التي هي موضع ضعفه وقوّته،

وأخيرًا، صوت كيانه الذي يعلو ولا يُعلى عليه.

غزّة، مغروسة فينا، وكلّ محاولة لاجتثاثها تُيقظ جذورها يومًا بعد يوم.

وقد آن الأوان ليستجمع هذا الكيان أجزاءَه من كل دم، وحينها يبهت من كفر.

لمحة عن الوجع:

تتسلّل شمس السابع من أكتوبر بحذرٍ موجس، تجوس أشعتها بصمتٍ خلال الديار.... توتّر عجيب يكتنف الأزقّة.

ضحكات أطفالٍ في الجوار، ونداءُ أمٍّ للمرّة العاشرة للابن الأصغر الذي نسي أمرها وأمر الخبز الذي ذهب لجلبه منذ زمن... ها هو ذا يركض ضاحكًا ملءَ شدقيه، خاطفًا الكرة المباركة بتربة الأرض الطاهرة، يلحقه آخرون مثله، ضحكاتهم لا تقلّ نقاءً وإخلاصًا للحياة.

ومن أصدق إخلاصًا من البسطاء؟ ومن أقدر منهم على احتواء الوجود؟

تنضح الأجواء بروائح النصر ممزوجةً بموتٍ وشيك.

لكنّ الموت هنا مجرّد حلوى تلوكها قلوب مؤمنة أنّ المزيد من دقائق الذلّ، عار.

وعند العاشرة صباحًا، تأفل شمس الوطن مطالبةً بإعفائها من البقاء؛ فما سيجري بعدها لا قلب في الوجود يحتمل التفرّج عليه إلا البشر.

تنزف الجدران غبارها، وتحصد الأرواح بلا تمييز.

النوافذ التي كانت تُفتح منذ قليلٍ لتمرّ منها الشمس، تُفتح الآن للنجاة.

والحظّ صار بقاء قليلٍ من الهواء على قيد الوجود أو دقيقة صمودٍ أخرى يهبها السقف لمن تحته.

يحلّ الظلام على بقايا الأمس المنهك بالرعب وصراخ المستغيثين.

ما تبقّى من بطاريات الهواتف لا يسع إلّا لرسالةٍ واحدةٍ للعالم الخارجي، ولأنّه لم يبق شيء ليُقال فيها تُنسى كفكرةٍ بها من الجنون ما يفوق بؤس الحال.

وبلا مؤقّت عدٍّ تنازلي، ينتظر كلّ إنسان ساعة صفره الخاصّة به، والتي قد تحلّ في أيِّ لحظة.

يقسّم الماء نفسه قطرةً قطرةً على الأكباد المتهالكة، مع أنّ تلك القطرة لا تزيد سوى العطش.

تتناوب النساء على حمل الدلاء.

يتشاجر الأطفال على الأدوار أمام صهريجٍ يشكو عطشه هو أيضًا.

رجالٌ يستحثّون الركام ليُلقي ما في بطنه من بقايا صالحة للحياة.

وذكر الله على كلّ لسان.

أما ذلك الرعد الذي يسبق سقوط الموت، فيقع على الأرواح وقعةً ضارية، ولا يغادرها لما تبقى من حياة.

أحجار متطايرة، وأوراق، وأصوات، وربما أشلاء أشخاص...

والنظرة المشخصة للسماء، صار أهون عليها أن تنشد الخلاص من أن تنشد النجدة.

يهدأ هيجان الموت لسويعات، يبحث فيها الأطفال عن كراتهم الصغيرة وألعابهم التالفة.

ويوجّهون للعالم كلمة طفوليّة حانقة:

"نحن نريد اللعب أيضًا".

لكن هيهات أن تكتمل لعبة الطفل الغزّاوي قبل أن يبعثرها صاروخ أو تنسفها قذيفة، وربّما فقدت اللعبة أحد أفرادها أيضًا.

هذه غزّة... ليست حدثًا عابرًا ولا أزمةً مؤقّتة وتمضي.

بل حكاية متجدّدة، فارسها الموت وضحاياها الأبرياء.

وما هذه الكلمات إلّا لمحة من ملامح شتّى؛ فليس من سمع كمن عاش ورأى.

كيف تعيش غزّة؟

رغم الخيبة التي تعتلي منظر رماد هذا الوطن حتى يكاد يكون كلّ ما تبقّى، إلّا أنّ في النفس توقًا وسط الرماد، وأملًا في فسحة لون: فوهة صغيرة للشمس أو نافذة يطلّ منها بصيص أمل.

قد لا تجد هذا كلّه؛ لكنّك ستجد طفلًا قادرًا على الضحك بينما تطبق المآسي على الأعناق.

صدّقني، قد تجده يرسم شمس الطفولة الصفراء على جدران منزله المهدوم ويبتسم.

أيّ هزيمة هُزمنا، وأيّ إيمانٍ سبقونا إليه!

في المساء، لا تزال الأمّ الفلسطينيّة تلقي تهويداتها الدافئة على أذن وليدها كي ينام، في اللحظة نفسها التي تصفّر فيها طائرات العدوّ فوق رؤوس الناجين لتقرّر مَن التالي.

لكنّ صوت الأم لطالما علا على صوت الحرب في كل زمانٍ ومكان.

دموع الأم الفلسطينيّة لا تجفّ، بل تُحفظ في صُرّتها حتى يكبر الأطفال ليبنوا بها عزّهم المنشود.

يفرش الركام نفسه لأطفال غزّة ليلعبوا عليه، وتشكّل أحجاره المتفرّقة كزهور يانعة حدود ملعبهم.

ومن بقايا الحديد، يبتكرون حياة مصغّرة يُلهون بها وحش الموت لقليلٍ من الوقت.

الحجر الفلسطيني ليس مِثل باقي الأحجار؛ الحجر الفلسطيني حجرٌ ينبض بالحياة والكرامة.

أمّا الشباب فيبتسمون، ويحبّون، ويتزوّجون، ويتأملون البحر كثيرًا، وهو كذلك.

لسان حالهم يقول:

"حتى لو غادرنا غزّة، فغزّة لن تغادرنا، لأنّنا نحن غزّة وليست الأرض".

وتلك الأسرة التي فقدت منزلها، أقامت مكانه خيمةً على بابها زهرة بلاستيكية تصرخ:

"أنا هنا، أنا الحياة الباقية".

تحاصرهم كلّ "لا" في الحياة، فيجيبونها بكل "نعم" ممكنة.

غزّة، تقاوم كل شرّ يفتك بالحياة: من موت، ويأس، ونسيان، وخذلان.

ثم يسأل سائل:

"كيف تعيش غزّة؟".

رسالة:

إليك أيّها القارئ:

ما الذي تبحث عنه داخل هذه الصفحات:

ألم؟ عذاب؟ أمل؟ خذلان؟ إيمان؟ صبر؟ خيبة؟ صمود؟ اِضمحلال؟ قيم إنسانية؟ دروس قاسية؟

غزّة كلّ هذا وأكثر.

تبحث عن نفسك؟

أنت هنا في قلب الحاشية وفي هامة العنوان.

أنت إنسان! إذنْ لك حتمًا مكانك الخاص وسط هذه الأحرف.

ولك في مكانك، دور ستحاسب عليه.

أيقظ الإنسان القاطن فيك. وأيقظ إسلامك، وعروبتك، وغيرتك، وإنسانيّتك.

ماذا أفعل؟

أنت حيّ تُرزق؟

إذنْ، أنت قادر على أن تفعل مهما كان حجم فعلك صغيرًا.

تذكّر أنّك لن تُحاسب على النتائج، بل على ما بذلت من جهدٍ في سبيل النجاة.

علينا أن ننجو جميعًا بأرواحنا من الهلاك، وأنا أوّلكم.

لا هلاك الدنيا العابر، بل هلاك الآخرة الذي لا سبيل لتداركه ولا هو يحتمل.

صدّقني: مئات الأطفال في هذه اللحظة يموتون جوعًا، وعطشًا، ومرضًا، وبردًا، وإبادةً.

ومليون مسلم ومسلمة يتعرّضون للفناء في قلب مَسرى رسول الأمّة.

فقط اجعل القضيّة نصب عينيك، وسترى الخيارات الممكنة....

اِفعلها دون تأجيل.

أُنصر هذه الأمّة ولو بحرف.

نداءٌ أخير:

يا سادَتي**!**

وَقَعَ الذُبابُ على بقايا الأمسِ،

وَغَدَا الزمانُ مُشرَّدًا،

وبلا قضيَّةٍ... مثلُنَا أضحى،

بدونِ بقيَّةٍ... وبلا حميَّةٍ...

سَلَبَت عراقته الحداثةُ،

نَهَشَت ملامِحه العصورُ.

ولنا ملامحٌ مثلُها...

ذهبتْ سُدًى وحياتُنا،

قسماتُها تُبكي الطيورَ،

تالله**!** ما مُتنا**...** تالله ما مُتنا**!**

ولا مات الزمانُ...

لكنّنا صِرْنا نهابُ...

على الحياةِ من الحياة،

الموتُ لا شيءٌ وقد عشناه،

الموتُ لا شيءٌ وقد عشناه؛

الموتُ ذا شيءٌ وجرَّبناه،

لا خوفَ من شرٍّ إذا هو قد وقع،

الوقعُ يكسرُ هيبةَ الأشياء...

يا سادةَ التاريخ!

أطفالُنا في أرضِ غزة يُصلَبون،

من نحنُ كي نبكي على الأطلالِ؟

من نحنُ كي ننعى دمَ الأبطالِ؟

هل تُرثى أطلالٌ بها باقي دموع؟

أمْ تُبكى أشلاءٌ كما بُكي اليسوع؟

هل نحتسي الصلوات كي نشفي الخنوع؟

لا عاش باكينا على طفلٍ يجوع.

الموت، لا ينسى وجوه الثائرين

والظلم، لا يثني جنون الحالمين

الثورة اِبنتنا....

والحلم من أبناء جلدتنا

وجنوننا أبشر به....

كم مرة أمسى الأسود بلا عرين

فكفى كفى...

هيا لنصقل سؤدد الأعراب

ونضيّق الدنيا على الأغراب

وكفى كفى بذلًا بها الأسباب

الظلم، لا يُزجى على خجلٍ

والحق، لا يُهدى لمن يرتاب

عِ

حميد بركي - المغرب

عِ ما عَلَيْكَ وَدَعْ رَعْ عَنْكَ واِبتَعِدِ

فَكُلُّ ما لَكَ لي وَالنّارُ بين يَدِي

غَدًا سَتُشْرِقُ شَمْسُ الحَقِّ يا وَلَدِي

وَلَمْ يَعُدْ لِكِلابِ الحَيِّ مِن أَمَدِ

غَدًا سَتَزْدَهِرُ الأَيّامُ يا وَلَدِي

وَيَزْهَقُ الباطِلُ الأَعْمَى مِنَ البَلَدِ

كَخَيْمَةٍ هذِهِ الدُّنْيا مُغامَرَةٌ

بِغَيْرِ أَعْمِدَةٍ تُبْنَى وَلا وَتِدِ

مِنْ أَيِّ ما شِئْتَ فادْخُلْها بِعِزَّتِهِ

لا يَسْتَوِي الكَلْبُ مَهْما كانَ بِالأَسَدِ

اِسْمَعْ

اِسْمَعْ،
حَيَاتُكَ اِمْرَأَةٌ، فَارِسُ أَحْلَامِهَا
بُنْدُقِيَّةٌ وَمدْفَعْ...

جَوْهَرَةٌ طَمِعَ الطَّمَّاعُ فِي أَخْذِهَا،
فَلْقُ الْحِجَارَةِ لَا تَنْفَعْ،
فَإِنَّهَا تَأْكُلُ الصَّخْرَ وَلَا تَشْبَعْ.

اِسْمَعْ،
أَخُوكَ بين الشَّوارعِ
مُشَرَّدٌ يَتَسَكَّعْ،
يَمْسَحُ أَحْذِيَةً لِأَمْرَدَ أَصْلَعْ.

اِسْمَعْ،
إِنْ أَنْتَ صَلَّيْتَ لَا تَرْكَعْ،
فَفِي السَّجَّادَةِ قُنْبُلَةٌ،
وَعِندَ بَابِ الْمَدِينَةِ رَشَّاشٌ وَمدْفَعْ.

لقاء...

د. حياة بربوش - تونس

سرت الهوينا على ركام الذّكريات...

رعشة سرت فيّ أسالت الدّمع من عينيّ، تحاملت على نفسي والزّجاج المكسور يعبث برجليّ... حافية كنت، تمزّق نعلي من فرط المشي.. مات الإحساس بالألم، الكلّ صار خرابا: البيوت والمباني والحدائق...كلّ الجمال تشوّه في غزّة. هل تعرفون غزّة يا سادة؟

عانق أطراف سمعي صوت هناك هناك...إنّه أنين بل هو مواء قطّة ...واصلت المسير نحو الصّوت، منذ يومين وأنا أبحث عنها، هدّني الجوع ولا يمكنني الرّجوع... أثوابي صارت رثّة وشعري مشعثّ وعينان غائرتان بالكاد أبصر بهما من فرط البكاء لفقدها، كسرة خبز يابسة كالحطب جادت بها عليّ صديقتي قبل أن تلفظ أنفاسها وتمرة مجفّفة.. تحسّستها في جيبيَ البالي المطرّز ثقوبا... كنت أقترب من صوت المواء، وكلّما اقتربت ازداد خفقان قلبي ، أ تراها قطّة علقت تحت الأنقاض، أم قطة تقطّعها آلام الولادة، أم قطّة أمّ تبحث عن صغير تاه منها؟ لست بعيدة عن الصّوت لم يعد ما أسمعه مواءً بل نداءً مبحوحا أنهكه العطش والجوع...

أجلت النّظر في الخراب الذّي يطوّقني.. كلّ شيء اغتصبوه، وكلّ الجمال شوّهوه، وكلّ شمل شتّتوه، آه بحرقة صرخت تذكرت ابنتي التّي أضعت تحت الرّكام منذ يومين...طال البحث عنها وطال النّحيب، لا أمل توقّف التّنقيب...

وقدّم لي الحضور العزاء، وتوسلّت أن يتقبّلها شهيدة، ربّ السّماء...

استفقت على غصّة في حلقي، وعلى ذاك الصّوت الذّي يشتدّ، أزحت الحجر وشبه باب مال على حجر صوّان.. أزحته رغم ثقله، كتلة تتحرّك سوداء، تناغي نفسها، بعد أن أعياها الصّراخ...لمستها حذرة خوف أن تكون حيّة، دافئة كانت عارية.. أ هي إنسيّة أم جنيّة؟ لا بل هي صبيّة، اسودّ لونها من البكاء، ومن الجوع، ومن التّيه والضّياع.. حملتها بلهفة، احتضنتها، أزلت التّراب عن وجهها الملائكيّ، إنّها...إنّها رضيعتي.. حلوتي...فلذة كبدي.. مسكت بقايا ثوبي بأناملها.. حيّة هي...

وهبتها حلمة الثّدي، فدرّ حليبا، رفعت عينين دامعتين إلى ما وراء الورى.. وتمتمت "ورددناه إلى أمّه كي تقرّ عينها" أجل قرّت عيني...لثمت الخدّ منها، شكرت ربّي وركعت ركعتين...ما عاد المكان في عيوني خرابا بل دربا من دروب الفرح والانتشاء...

غَفْلَةٌ

خديجة قندوز - الجزائر

السّنوات تمرّ بسرعة البرق، في حين النّاس في غفلة كلّ لحظة وكلّ ثانية ستكون محاسبة عليها. لكنْ، يبدو أنَّ هناك مَنْ لا يستجيب لنداء الحياة، أحوال الدُّنيا لم تعد على ما يرام... نفتح التِّلفاز على واقع إخواننا في غزَّةَ، مناظر تبكي لها العين ويدمى لها القلب مِنْ قصف، وركام، وصرخات أمَّهات، وصدى الأسلحة، وحملة تجويع وشهداء... غزّةُ تباد، في حين يبذل إخواننا جهودا كبيرةً لإسترجاع ما هو لهم حقّهم الأبديّ: القدس. تخاذل شامل للعالَم مفعِّلا خاصيّة "لا أسمع، ولا أرى"... منغمسين في الدُّنيا ومتاعها دون أيّ فائدة حقيقيّة. هذا، يطرح الكَثِيرَ مِنَ التّساؤلات حول أولويّاتنا وقِيَمِنا، وهل نحن حقًّا نعطي الأولويّةَ القضايا الإنسانيّةَ؟

رأينا صور الضّحايا المستشهدين في غزّةَ تملأ الأخبار والقنوات كلَّ دقيقة؛ لكنِ الغدُ قد يكون مجهولًا، وقد نكون نحن الضّحايا التّاليين. الموتُ، لا يمهل أحدًا، ولا يعطي فرصةَ التّحضير أوِ الوداع. يا صاحبَ الرِّسالة، هل أنت راضٍ عَنِ النُّسخة التي آلت إليها نفسك؟

هل أنت راضٍ عَنْ تخاذلك مكتوف الأيدي؟ أسهِمْ ولو بدينار، وأبرز دعوتك للمقاومة، واِسْعَ جاهدا لتوعية النّاس حول القضيّة الفلسطينيّة، قضيّتنا الأولى. وإنْ لمْ تستطعْ ذلك، فلتغيّرْه بقلبك بالدُّعاء والتَّمنّي بالنَّصر... وذلك، أضعف الإيمان.

لنْ أكرِّمَ الظّالمين بالذِّكر، بل سأكتفي بتسْخِيرِ كتابتي لذكرى الشُّهداء والأحرار الّذين وقفوا في وجه العدوان الغاشم.

لِيَشْهدِ التّاريخ، أنَّ مَنْ لا تاريخَ لهم، وسفكوا وفسدوا في الأرض... أنَّ الله سينتقم منهم لا محالةَ "ولا تحسبنَّ الله غافلا عمّا يعمل الظّالمون".

أَنَا الإرْهَـابِيُّ

دكـار مجدولين -الجزائر

أنــــا إرهــابـــيٌّ، وأنـــــا مـــــنَ الإرهـــــاب،
نـشـرتُ الـرّهـابَ، وأغـرقـتُ قـلبـي بـالـغيـاب،
سفكتُ الـدّمـاءَ، ومـــا كـنـتُ أخـشـى العتـاب،
وأنـــا الـسّـوطُ، والـنـتّارُ، والـذّنـبُ، والإغـتـصـاب.

أصـبـتُ الجـمـيعَ بـدائـي، ولـــم أنـــسَ بــــابا،
ســجـونٌ بــــلا قـيـدِ نُـــورٍ، ولا مـــنْ شـهــاب،
كــفـرتُ بــإلـهِ الـسّـمـا، وقـلـبـي مـــا تـــاب،
ولا أخـشـــى نـــارَ الـحـساب، ولا أهـلَ الـيـبـاب.

أنــــا مــن تــرى فـــي الأعـــرابِ قـبحَ الـخـراب،
وأُهـــــدي لـعـقـلِ الـعـبـيدِ ســــوادَ الـعُـقـاب،
ومــَنْ يـرفـعِ الـــرّأسَ أمسحـه مـثـلَ ســـراب،
وأبـــنـــي لـــــهُ فــــي جـحـيمـي ألـــــفَ بــــاب.

أنـا لا أُهـابُ شـبابًا، ولا شيبًا إذا ما طرقوا الأبواب،
ولا أرتــجـــي مـــــنْ رجــــالِ الـنـّفـاقِ إيـــّـابا،
فــهل فـيكمُ نـخـوةٌ؟! هــل لـكم مـــن جـنـاب؟

سأحرق أوطانَكم فإنّي لا أهاب.

أنا مَنْ غرزتُ الخرابَ، وسقيتُ العذاب،
وقصفتُ أطفالَكم، ما خشيتُ قيدًا ولا عتاب،
واغتصبتُ الأسيراتِ، أعشقُ الاغتصاب،
وفي التُّهمِ الجوفاءِ لبّيتُ مطلبَ غاب.

أنا مَنْ جلبتُ الشؤمَ مثلَ الغراب،
لبلادِ الأنبياءِ... صارت مقبرةَ السّحاب،
فهل منكمُ مَنْ يُنكرُ الآنَ أسبابَ العذاب؟
أم أنّكمُ مثلي... تحبّونَ لونَ الخراب؟

والّذين تحدّوني الآن، لا يخشَونَ صوتَ العذاب،
سأُشبعهم ضربًا، وأرديهم تحت التّراب،
سأدفنهم أحياءَ، وأبني على أشلائهم ألفَ كتاب،
فأنا مَنْ عبدتُ الشّيطانَ، أنا مَنْ يستحقّ العقاب.

ولكنّني لا أُعاقب، فما خُلق "صلاح" ليقوّض اللّعب،
أنا الإرهابيُّ، لا أُبالي بصَرخاتِ الشّباب،
لا أركبُ الموجَ، ولا يَجْرُحني الاضطراب،

فطالما أُشبعُ ساديتي، فلمَ الغياب؟

سأُمارسُ ساديتي، وأُطلقُ جُنديَ الكلاب،
على كلّ مَنْ عاب سلطتي وقال إني للعقاب،
فيا أعرابُ، اِركعوا، ليسهل ركوبُ الأذناب،
فأنتم لي خَدَمٌ، وأنا الذِّئبُ، صفوةُ الذِّئاب،
سأفترسكم... لا تقولوا: ما أعجبَ هذا العُجاب!

أرهب شيوخَكمُ، وأرهب صفةَ الشّباب،
فالسِّجنُ لي، وبأمري تُفتَحُ الأبواب،
فاِستمتعوا... فالعرضُ قادم، بعدَ الحساب،
وما رأيتمْ منّي سوى مقدّمةِ العذاب!
هذا أنا صهيونيٌّ، فتقدّموا يا أحلى أحباب،
ودفّعوني الثمنَ، إن كنتمُ مثلَ الشّهاب،
أو فاِدعوا عليّ، فذا دَأبُ الجبانِ المُرْتاب،
أنا لا أموتُ بدعوةٍ... بل أُشعلُ الأبواب!

غَزَّةُ، مَاذَا أَقُولُ عَنْكِ؟

د. دليل سوامي - الجزائر

سألتني غزّة، ماذا تقول عنّي؟

أ تكتبني دمعا يسيل على الورق أم تصوّرني شمسا تكابر غيوم الحصار؟ أ تصفني جرحا ينزف ولا يلين أم أغنية تولد مِنْ بين الرُّكام؟

أ لست الوجع الأليم، والصّبر الجميل الّذي يعلّم الدّنيا معنى الكبرياء؟ أ لست الشّمعة الّتي تحترق كي تضيءَ للأعمى والسّفيه والسّقيم؟

ألا أكون طفلًا يحلم بلعبة تحت سماء آمنة، ووردةً لا تذبل في حقولٍ زاهرة، وطيفًا يرحل مع ريحٍ غادرة، ونغمةً تُغنّى على أوتارٍ حالمة؟

ألا أكون ذكرى عابرة في ليالٍ حالكة، لا بل صرخة تضيع بصمت العاصفة وشمعةً تُضيء دروب أرواحٍ تائهة، وقلوب حائرة؟

هل أنا قصيدة لم يكتبها شاعر وكتبها الشّهداء بأرواحهم، وحفظها الأحياء في قلوبهم كي تبقى حيّة لا تموت؟ أ لست قصيدة الألم الجميل؟

ورمز الصّبر الجليل، ووطنًا يولد كلَّ يوم مِنْ رحم النّار لتبقى العدالة والحرّيّة قضيّة كلِّ حرٍ على مدار الأعمار؟

أ لست فجر حرّيّة اِخترق الظّلام، ونجمةً لا تنطفئ رغم الغمام؟ أ لم يولد منّي مَنْ يزلزل الطّغاة ويزرعُ في قلب الشُّعوبِ عزمًا وهياما؟

أ لم أكن وردةً نبتت في صحراء الدّماء ووعدًا خالدًا، وأملًا لا يعرف الفناء كتبه التّاريخ في علياء السّماء؟

مازالت غزّة تسألني ولمْ أجدْ لها جوابا؟

"أ لم أكن قافلةً تمشي على دروب الفداء تحملُ أرواحًا طاهرةً تصعدُ نحو السّماء؟ أ لم أكن جوعًا يبيت على الأجساد، ويستيقظُ صبرًا لا ينحني للأوغاد؟ أ لم أكن صخرًا في وجه العاصفة، وسورًا يحمي الأرضَ مِنْ كلِّ مخطَط وخديعة؟ أ لم أكن أمًّا تزفّ أبناءها للخلود، وتغرسُ في القبور بذورَ الحياة مِنْ جديد؟ أ لم أكن صوتًا يعلو فوق الرُّكام، ليقول للعالم: "ها هنا يولدُ الكرام؟".

أ لم أكن دمعةً في عين اليتامى، وطعنةً في ظهر الأيامى تحملُ معها عهدًا ألَّا يضيعَ الدّمُ هباء؟ أ لست الألمَ الّذي لا يموت، والأملَ الّذي لا يزول؟ أ لست مدرسةُ الكبرياء، وقصيدةُ الشّهداء، وصبرَ الجياع، وثباتَ الرُّكّعِ السّجود، وفجرَ الحرّيّةِ الموعود؟".

أخبرني هل سأموت أم أنا الحياة؟

غزّة... تسألين: ماذا أقول عنها؟ وهل تكفي الكلمات لبحر لا ساحل له؟

غزّة، سأقول عنك:

"إنّك أنت الدّمع والحبر والورق... بل وأنت الشّمس والغيوم والأرق... إنّك جرح ينزف ولا يندمل وأغنيّة تولد ولا تكتمل. نعم، غزّة إنّك الوجع الأليم الّذي لا يلتئم، والشّمعة تحترق لتضيء لمَنْ لا يلتفت. لا، أنت حكاية طفل يحلم بلعبة تنفجر.

غزّة لنْ أقولَ عنك.

إنّك قصيدة كتبها الزّمان التّليد أو ملحمة صنعتها الدّماء بلا تمهيد، بل إنّك قضيّة أقوى وأصلب مِنَ الحديد، ومشعلٌ لا ينطفئ في دروب الجهاد العنيد. أنتِ صرخةُ شعبٍ يواجهُ الظّلْمَ الشّديد، وأنتِ عهدُ الأحرارِ ألَّا ينكسرَ الوعدُ أو يُبيد".

غزّة، إنّي قائل عنك

إنك صنعت مرآة الشرفاء، وإنك كشفت وجوه الخبثاء، وألّا مكان عندك للجبناء، وأنّ الطفل فيك يقارع العظماء. إنك الوعد المشرق مهما اِشتدَّ البلاء. غزّة، إنك فجر

لا ينطفئ، وصوت يعلو ولا ينخنق، وبحر طوفان يموج ولا يغرق، وأرض تبني أجيالًا ولا ترهق. أنت ريح لا ترحم ولا تشفق. أنت العزم حين يتهاوى الورق. غزَّة، إنّك النبضُ الذي لا يفترق، وأنتِ الجدارُ الذي لا يُخترق، وأنتِ وعدُ الشّهداء بالعهد الوثيق، وأنتِ الجسرُ بين الدماء والنصر العريق"

غزّة، سأظلّ أقول عنك

إنك مدرسة الأوفياء، وميدان العزّة في زمن النّفاق والإدّعاء. أنت الدمعة الطاهرة على وجنات الأبرياء، وأنت صرخة أمٍّ لا تخشى سيوف الأعداء. غزّة، فيك يُولد الأمل من رحِمِ العناء وتكتبين تاريخًا لا يُمحى مهما غطّاه غبار الشتاء.

غزّة، سأخبرك أنَّ ما دونك مات، وأنت الحياة،

خَاطِرَةٌ عَنْ فِلِسْطِينَ

رشيد داودي - الجزائر

يا فلسطين، يا اِسمًا يشبه النّدى حين يقطر على غصن الزيتون مع فجرٍ طاهر، ويا وجعًا يشبه نزيف الأرض حين تُغرس فيها الحراب...

أكتبكِ لا كموضوعٍ أدبيٍّ عابر، بل كسرٍّ يسكن القلب منذ أنْ عرف معنى النبض، وكحكايةٍ لا تنتهي مهما اِمتدّ في العمر التّعب.

فلسطين... الأرض الّتي لا تُشبه سواها

فلسطين، ليست مجرّد جغرافيا تُحدّدها خرائط، ولا وطنًا تُرسم حدوده على الورق. فلسطين وِجهة الرّوح حين تضيع، وهي القِبْلة الثانية، والقدس فيها تُشبه النّجم الذي يهدي التّائهين في ليلٍ طويل.

في حجارتها القديمة، يختبئ تاريخ الأنبياء، وعلى ثراها وُلدتِ الرِّسالات الّتي علّمت العالم معنى السّماء. هنا، سار المسيح بين ناسه ينشر المحبّة. وهنا، صعدت روح محمَّدٍ في رحلة المعراج تبارك الأكوان. أيُّ أرضٍ هذه الّتي جمعت بين السّماوات كلّها إلَّا فلسطين؟

وجعٌ منذ النّكبة.

لكن، ما أقسى أنْ تُغتالَ الأوطان.

منذ عام 1948، حين فُرضتِ النّكبة، اِنطفأت في كلِّ بيتٍ شمعة، واِمتلأتِ الطُّرقات بأرتالٍ مِنَ اللّاجئين، يحملون على أكتافهم أطفالًا لم يعرفوا أنَّ لعبة الطّفولة ستُستبدل بمفتاحٍ صدِئ وصورة بيتٍ مهدوم.

لم تكُنِ النكبة لحظةً عابرة، بل جرحًا مفتوحًا ما زال ينزف حتّى الآن. جرحٌ حمله الجدّ إلى حفيده، وأصبح الحنين إلى القرية، وإلى البيت، وإلى شجرة التّين، وصوت البئر... جزءًا من هويّة الفلسطينيّ، يورّثه كما يورّث اِسمه.

الزّيتون... شاهد على الصّمود.

في فلسطينَ، لا يوجد شيء عاديّ. حتّى شجرة الزّيتون لها ذاكرة. تلك الأشجار الّتي تعود إلى مئات السّنين، لا تزال شامخة رغم محاولات الإقتلاع.

كأنّها تقول للعالم: "هنا شعبٌ، لا يُقتلع".

كم مرّة، جاء الجنود ليهدموا البيوت، لكنِ الجذور مغروسة لا تنقلع.

الأرض الطّاهرة

روان سيف داوود - العراق

أبدأ كلامي معك بالسلام...

سيدتي غزّة، أرسل لك أشلاء قلبي بدل تحياتي؛ لأنّ ما يحدث معك كسر روحي مِنَ الأعماق.

سلام على أرضك الطاهرة، وسلام على أبنائك أبناء العز والكرامة، وسلام على كل مدنك، وسلام على بيت المقدس الشريف، وسلام على أرضك التي تدافع عن شرف كل العرب والمسلمين.

بركة على أبنائك الذين يجاهدون بأنفسهم، وبأبنائهم، وببيوتهم وبأحلامهم من أجل إيمانهم.

رحمة الله على كل خالد في جنات النعيم... ورحمة الله على كل أم فقدت ابنا لها... ورحمة الله على كل أب عاجز عنْ أنْ ينقذ أبناءه... ورحمة الله على كل شيخ يُدَمَّر بيتُه... ورحمة الله على كل طفل يَنْسى طفولتَه... ورحمة الله على كل مَنْ واسى نفسه بعدل الله... ورحمة الله على كل شبر وقطعة في فلسطين التي تقول يا الله.

أنا المشتاقة لأرض الزيتون...

أنا التي قلبي مُعَلَّق بك... أنا التي ليس بيديها سوى الدعاء لك، لا أملك سلاحا لأدافع عنك سوى دعائي، ولا أملك قوة إلَّا إيماني، وليس لي سوى ربي.

أنا أشبهك -ومالي ومالك غير الله - أبعث لك بكلمات مبعثرة لعلِّي أقلل من عجزي. أرسل لك بعض الكلمات لعلَّها تعين قلبي على وجع لا يُتَحمّل؛ فأنت الحب الأسمى والأجمل، ليس له مثيل. أنت معجزة الله في الأرض وحبك دين، فكيف لا تريدين أنْ أحبك؟ أحبت أرضك، وأحببت شعبك، وأحبت كل شيء فيك.

ماذا أقول يا سيدتي، فالوجع أسيري...

أسمع وأرى دون حراك... إنِ اِعترفتِ أو لا، فالذنب ذنبي، وذنب كل من يحمي أولئك الوحوش.

نحن مَنْ يجعلون لهم مأوى وطعاما وشرابا ولم يكفنا هذا، بل أصبحنا خدما لديهم. أ تعلمين أنهم دنسوا أراضينا؛ لأنهم سكنوها وكل هذا بحجة السلام... وأيّ سلام!

نهبوا ثروتنا... وأيّ سلام!

ضلّلوا عقول أولادنا... وأيّ سلام!

غيروا هُوِيَّتنا، ولم تعدِ العروبة تسري في عروقنا، ولم تعدِ المروءة أصل معيشتنا.

أصبحنا ألعابا يحركوننا كيفما يشاؤون، ولم يتبقّ سوى أنت طاهرة بيننا... لهذا يريدون تدنيسك؛ ولكن أنت مثل الشوكة في حلوقهم.

يا سيدتي، فلسطين، قلبي يعتصر...

ليس هناك ما يقال لكي أخفف عنك، وليس هناك ما يواسي ألمك وقهرك وحزنك...

قلبي يعتصر، وروحي تزهق مع كل قطرة دم تسال... ومع كل دمع يفيض، وأنا أرى كل أرجائك الحبيبة يملأها الحزن والقهر والألم، وما من كلمات تصف ما تمرّين به.

كل قطعة فيك تقاوم والثمن غال؛ دماء طهارة تسيل على أرضك، وأرواح حرة تتقاتل من أجلك ومن أجل السلام.

سماؤك تحارب، وأرضك تقاتل، وشعبك يقاتل ويحارب...

تتناثر الجثث على أرضك بعد أنْ كانت حبّات الزيتون تتناثر عليها، وتتنشر رائحة البارود والقنابل بعدما كانت تنتشر رائحة الخبز العطر، وحتى صوت المآذن الذي يصدر عنه صوت التكبير في الجوامع دمروه، وحتى الضحكات بدلوها بصوت النحيب والصراخ... ظنا منهم أنّ إيمانك سيضعف، وأنّ أحلامك سوف تختفي، وألَّا أمل لك.

هم لا يعلمون أنك وعد صادق، مع وعد الله. وأنّ وعد الله حق؛ لا يعلمون أنّ كل هذا الألم سوف يرحل.

ونحن مع وعد الله. قال الله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا. إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) الإسْرَاء 7.*

غريبٌ، يا سيّدتي غزَّة

غريب يا سيدتي غزَّة...

اِنعكست المعادلة، فالجميع اليوم يقف مع الظالم... حتى دعاة الإنسانية والدمقراطية والحرية يقفون معه... هل كل ما يؤمنون به كذبة؟ وهل مبادئهم أيضاً مجرد كذبة؟ نعم، إنها مجرد كذبة كبيرة... كل هذا الوقت كنا مغمضيّالعيون، أ ليسوا هؤلاء أنفسهم من يدَّعون حقوق الإنسان وحماية الأطفال، بل ويندِّدون بما فعلته النازية بهم؟ هم أنفسهم مَنْ يدمِّرون غزَّة.

أين هم عندما يروا الأطفال يقتلون، وتهدم البيوت فوق رؤوسهم، ويصارعون الموت تحت الركام... وإنْ أُخرِجوا من تحت الأنقاض، يجدون واقعا أكثر مرارة يحرمهم طفولتهم البريئة.

أين هم هؤلاء الذين يقولون إنَّ الطفل يجب أنْ يعيش حياة كريمة، وهم يصفقون للَّذي يسلب حرية الأطفال ويضعهم في السجون، حيث يخسر الأطفال أحلامهم وحياتهم ويبعدون عن أحبائهم... من أجل حجر رموه، مجرد حجر ليدافعوا به عن أنفسهم، وعن أرضهم، وعن عِرْضهم.

أيّ عدل هذا؟ وأيّ إنسانية؟ وأيّ حرية؟

أين هم مَنْ يدافعون عن حقوق المرأة، ويقولون إنَّ المرأة نصف المجتمع... وهم يرون النساء في فلسطين يغتصبن ويقتلن ويفجعن فِيْ أولادهنّ... وبيوتهنَّ تهدم فوق رؤوسهم، وأحبّتهن يموتون كل يوم أمام أعينهنَّ...

أيّ إنسانيّة هذه؟ وأيّ عدل... وهم يسلبون البيوت من أصحابها، وينسبونها الى الغزاة، ويخرجونهم من بيوتهم ويهجِّرونهم ويخوِّفنهم ويجوِّعنهم؟ وأيّ ديمقراطية هذه؟ أ ليسوا هم أنفسهم الَّذينَ قالوا إنَّ النازية مجرمة في حقِّ الإنسانية وهم يفعلون الشّيء نفسه... يحرقون البشر وهم أحياء، ويسلبون البيوت والأراضي من أصحابها، ويقتلون الأبرياء...؟

أ ليسوا هم أنفسهم مَنْ قالوا إنَّ كل إنسان حرٍّ في اِختيار طريقة عيشه... ولكنّهمُ اِختاروا طريقة عيش فلسطين، فجعلوها تحيا بالألم والحزن والوجع... هؤلاء للأسف، هم دعاة الإنسانيّة والدمقراطيّة والحرّيّة.

والغريب يا سيدتي، أنَّ الكل أصبح يصدِّق كذبهم، ويقولون نحن أصحاب الأرض... كيف أنتم أصاحبها وأهل فلسطين عاشوا فيها واِمتدت جذورهم في أرضها... التاريخ يثبت كل شيء، وأنهم مجرد غزاة يريدون أن يقتلعوا تلك الجذور... ولكن، لا يستطيعون فهي ثابتة بالإيمان والأمل بالله سبحانه وتعالى.

يقولون نحن ندافع عن أنفسنا، كذبة أخرى لتبرير قصف الأبرياء مِنَ النساء والأطفال والعاجزين الذين لا يقوون على الحراك، وحرقهم وهم أحياء، وتشريدهم وتجويعهم، وسلب أرضهم... أ ليس هذا إجرامًا مبينًا.

يقولون إنَّ أهل فلسطين خطيرون، بل وهم إرهابيّون... فهل مَنْ يدافع عن دينه إرهابيّ؟ وهل مَنْ يدافع عن أرضه إرهابيٌّ؟ وهل مَنْ يدافع عن عِرْضه إرهابيٌّ؟ بل هم شجعان، بل وهم أسود.

يا سيدتي، إنَّ هذا العالم غريب...

ما كنت أظنُّ أنَّ ما أراه صحيح، ولا أحد يقف مع الخير، ولا حتّى القليل... الجميع يقف مع الشر، من أجل القوة والسلطة.

ليس هناك مبادئ أو أخلاق، هي مجرد قناع للقناع... أصبحت الحقيقة زيفًا، والزيف هو الحقيقة، والوهم سيِّد الموقف.

تكرار سماع الكذب، يجعل منه أشبه بالحقيقة، وهم يردِّدون الكذبة نفسها منذ أعوام... لهذا أصبح الجميع موهومين، ليس لديهم أي حجّة ولا حتى دليل واحد يثبت أنَّ لهم نصيبًا في الأرض... تاريخ مزيَّف وأفكار مغلوطة ليس لها أساس من الصحة، يحشون بها رؤوس البشر.

يا سيدتي، الخوف ما يجعل البعض يتبعهم، حتى وإنْ لم يصدِّقوهم. هي مصالح مشتركة جمعتهم مع الوحوش حتى أصبحوا مثلهم... البعض الآخر في العلن يندِّد، وفي الخفاء يسدِّد ضد الأبرياء...

وبعد هذا الحديث الطويل، نرجو الغفران على الخذلان.

قَلْبٌ مَأْسُورٌ

زينب سويسي - الجزائر

سمعت صرخة مرتعشة من أهل فلسطين وهم يقولون: "سلب منا الدهر أثمن ما لدينا بيد ظالمة...".

صرخة، تهزّ الأركان والأرض من تحت أقدامنا.

ولكن، لم تضرب طبول أذان العرب...

صرخة، اِرتعشت أوراق الأشجار لسماعها

ولكن، لم تتحرك شعرة من إنسان قطّ...

صرخة، كاد الرّعد أنْ يشقّ السماء من أجلها

ونحن، لم نشقّ ولا جسدا كافرا قطع رؤوس أكرم قومنا...

صرخة، بكتِ السّحب دما من أجلها

ونحن، لم تنزل ولا دمعة من ينابيع أعيننا...

صرخة، غادر سرب مِنَ الطيور إلى غزّةَ ليؤنسها

ونحن، لم نمدّ لها يدا تغيثها...

يا أهل العرب، هل مِنْ روح تفديها؟

أم في صدوركم صخور لا قلوب

أم كلّ إنسان منكم بلا إنسانيّة

أم كلّ مسلم منكم بالإسم...

أ لم تروا تلك الأرواح البريئة الّتي قبضتها الوحوش

وتلك البطون الجائعة الّتي باتت تحلم بقطرة ماء

وتلك القلوب الدّامية الّتي لم تجد جحرا يأويها...

أ لم تروا تلك الأرض المقدّسة الّتي اِرتوت من شرب دماء شهدائها

ومنذ سنين وقِبْلة المسلمين الأولى تبكي في الزاوية...

أ لم تروا أعداء الإسلام وهم يمزّقون حجاب القدس ويزرعون الخراب في فؤاده ...

بل دائما ما كان الحجاب على أعينكم لذلك لم تروا...

فاِصبري يا فلسطينُ، فلا حياة لمن تنادين...

في عيون الزيتون تبكي الحكاية

د. سمية سالمي - الجزائر

منذ نعومة أظْفَارِيْ، علمت أنّ فلسطين ليست مجرّد أرض تحتضن الزيتون والليل المجهول ولا خريطة مرسومة على الورق، ولا مجرّد خبر يتردّد في نشرات الأخبار، ولا حتى نزاعا سياسيا تتداوله الطاولات. بل قلب ينبض في قلبي، وروح تلمع في داخلي، وعطر يفوح في وجداني. إنّها الأرض التي بكت فوقها السّماء، واحتضنتها القلوب قبل أن تحتضنها الجغرافيا. هي النّغمة الأولى التي سُرّبت إلى كياني، واللّحن الذي يرافق خطواتي منذ أوّل نفس. ولأنّ القلب لا يطلب مقاسا معتبرا، فقد صارت فلسطين بحجم العالم كلّه، وبحجم أصغر الذّكرى التي لا تُمس.

حين تُذكر فلسطين، لا يُذكر التراب فقط، بل يُستدعى التاريخ بكلّ أثقاله، وتُفتح أبواب الماضي على مصراعيها، ليتدفق وجع مئات السنين من النكبة حتى اليوم. إنّها أرض الحكايات المكسورة، والحنين المتكرر، والقصائد التي كُتبت بدم الشهداء، لا بالحبر.

أرى في الخصلات المتلاحمة من تراب، وفي رائحة الأرض بعد المطر. تتجلى فلسطين في حجارة القدس القديمة، التي تحدّثنا بصمت عن ألوف السّنين، وعن

السّلام القديم وعن النداءات. في القدس كلّ شيء ينطق: الصّخر الخامس حيث يقف البكاء المتجذّر، والجدران التي تشعّ بصلوات قديمة، والهيكل الشّريف حيث يتلاقى الماضي بالحاضر. صوت المؤذّن هناك بليغ، يشدو بكلمات لا تقلّ عن نبرة الخلود.

فلسطين ... يا وجع القلب السّاكن فينا، يا وجها نحبّه ولو شُوّه بالحرب والرّماد. أنت الأرض التي تُنبت الزعتر والمقاومة، وتُزهر في عزّ الرّماد عنفوانا لا يذبل. فيك يشيخ الحنين ولا يموت، وتكبر فينا الطّفولة كلّما ضاقت بنا الأزقّة وغاب عن السّماء ضوء الفجر. يا وطنا يصلّي على جراحه، ويُوقظ الشّمس من خلف الجدار، كيف لا نحبّك وأنت من علّمتنا أن نرفع راية الصّبر فوق الأطلال؟

كيف لا نهتف باسمك والرّصاص يُكتب على الجدران: "هنا كانت الحياة، وهنا ستعود". كيف لي أن أصف شعبا لا يُكسر؟ شعبي الذي يحمل في قلبه الحجارة ويقابل السجن بابتسامة، ويرسم الأمل على الرّمل عندما تهبّ رياح الألم. في وجه الجراح، ترقص فلسطين بريق الأمل، وفي طريق الرصاص تنبت زهرة البطولة. أمتلك صورة للكبار الذين علّموني أنّ المقاومة ليست بالأسلحة فقط، بل بحفظ القصص والصّور، وبإطعام أجيال العلم والإيمان.

من يزرع الكتب في القلب، ويغرس الألوان والأحلام في النّفوس المجروحة، يفعل أكثر ممّا تفعله البنادق. ذلك هو الشّعب الفلسطيني الذي يبسط يده بالحب ويبني الأحلام من العدم. لا يذوب تحت الطّرد، ولا يتلاشى مع الغربة؛ بل يبقى شامخا مثل الزيتون الذي ينبت من الجُرح ويتسلّق نحو السّماء.

أحيانا، لا أحتاج إلى كلمات لأحسّ بفلسطين. أُغلق عيني، وأتخيّل الريح تدغدغ الياسمين المعطّر حولي، وأسمع في ذلك الهمس نداء العودة. أرى في الأفق قطرة ضوء، وفي عيني طفل لم ير البيت يوما، يقول: "هنا نحن". هنا، في تلك اللحظة، تتزحزح الحدود، ويتحرّر القلب ليذوب في همس الأرض.

فلسطين ليست مجرّد مساحة مرسومة على الخريطة؛ هي جرح مفتوح وحنين لا يزول. في كلّ زقاق، وكل شارع وبيت، تُكتب الحكاية. في غزة، حيث تدمدم الأمواج فوق الشطآن، وفي رام الله حيث القصب يقاوم. في الخليل حيث ينازع الحجر، وفي جنين حيث تنبت الدنيا من رحم الألوف.

كم من أمّ في فلسطين تحتفظ بصورة شهيد على جدارها، تخاطبه كلّ صباح وكأنّه لا يزال يمرّ ليشرب قهوتها. وكم من أب دفن ابنه في الأرض التي زرعها، فأصبحت التربة تحمل روحين: روح الابن، وروح الزيتون. هناك لا تُدفن الأحلام، بل تتحوّل إلى جذور تتشبّث بالبقاء، وتُصرّ على أن تُزهر يوما ما.

في فلسطين، لا يكون الزمن عاديا. كل لحظة محمّلة بالانتظار، كلّ ساعة تعني فقدا جديدا، وكلّ يوم يحمل عنوانا لبطولة أو مأساة. تصبح الحياة هناك درسا في الصّبر، وميدانا للمقاومة، ومدرسة للعزّة. هناك، يتعلّم النّاس أنّ الجدار ليس نهاية، وأنّ السّجن ليس قيدا، وأنّ المخيّم ليس منفى، بل هو ذاكرة مصنوعة من الخيام والإصرار.

عندما ننظر إلى فلسطين، فإنّنا لا ننظر فقط إلى بلد محتل، بل ننظر إلى مرآة تعكس ضمير العالم. فيها تُختبر العدالة، وتُفضح الازدواجية، وتُسقط الأقنعة. من كان لديه قلب سمع وجعها، ومن كان لديه ضمير انتصر لها حتى ولو بكلمة.

لكن فلسطين، رغم كلّ ما تمرّ به، لم تُكسر، نعم تعثّرت، نزفت، بكت، لكنّها لم تستسلم. كانت وما زالت تقف، تتحدّى، تعلّم العالم أنّ الشّعوب لا تموت، وأنّ الأوطان لا تُباع، وأنّ الحلم الذي يُولد من رحم الألم، لا يمكن لأحد أن يغتاله.

في شوارع القدس، تسير الأرواح مع المارّة، تتنفّس من عبق التّاريخ، وتكتب على الجدران "سنعود". في غزة رغم الحصار والدمار، يُصرّ الأطفال على اللعب، تضيء الطائرات سماءهم بالقصف، لكنّهم يرسمون على جدران بيوتهم المهدّمة أقواس قزح، ويكتبون: "نحب الحياة". في الخليل ونابلس وجنين، يتحوّل الحجر إلى لغة، والرصاصة إلى قصيدة، والشّهيد إلى قصّة لا تنتهي عند القبر، بل تبدأ منه.

نعم، في كل زاوية من هذا الوطن المسروق، تنبت الحكاية من حجارة الطريق، وتبكي الأرواح على نوافذ الذاكرة. فلسطين ليست مجرّد اسم في نشرة الأخبار، ولا جرحا عابرا في خاصرة الأمّة. فلسطين روح تنبض بالعزّة، رغم ثقل القيود، ورغم ليل طويل ما زال يُصرّ أن يُقيم.

وغزّة ليست مدينة، إنّها جدار الصّبر الأخير، وسيف الإرادة المرفوع رغم الحصار. مدينة محاصرة بالحب والوجع، تتنفّس من شقوق الألم وتبتسم في وجه

القذائف، في غزة يمشي الأطفال إلى مدارسهم تحت سماء متوترة، ويحملون حقائب مليئة بالكرامة أكثر من الكتب.

في كلّ بيت هناك قصّة شهيد، وفي كلّ زقاق دعاء أمّ، وفي كلّ ضوء شمعة تصرّ ألا تنطفئ. غزة، رغم الخراب مازالت تصنع المعجزات من بقايا الطّين، وتزرع الورد على شظايا الصّواريخ.

وفي المخيّم، حيث لا عنوان واضح للبيوت، ولا جدران تفصل الأحلام عن الحنين، يسكن الوطن في كلّ زقاق. المخيّم ليس مكانا، إنّه ذاكرة تمشي على قدمين، جرح مفتوح منذ النّكبة، لكنّه يرفض أن يتحوّل إلى موت، هناك، يتعلّم الأطفال كيف يصنعون طائرات الورق من رغيف الخبز، وكيف يكتبون اسم فلسطين على الحيطان بدل أن يقرؤونه في الكتب فقط. والمخيّمات هي الحلم المؤجّل بالعودة، هي الخيمة التي تحوّلت إلى بيت، ثمّ إلى قلب نابض بالقضية. ورغم كل شيء، ما زال ساكنوها يحلمون بالمفتاح، ويحتفظون به كمن يحتفظ بوصيّة الحياة.

ولا أحد يستطيع أن يروي الحكاية كما ترويها فلسطين. فهي لا تحتاج إلى متحدّثين باسمها؛ لأنّها تتكلّم وحدها. تتكلم بلغة القدس حين تصرخ في وجه التّهويد، بلغة الأقصى حين يُمنع الأذان، بلغة اللاجئين الذين لا تزال مفاتيح بيوتهم القديمة تتدلّى من أعناقهم. تتكلّم بلهجة الأمل الذي لا ينطفئ، رغم كلّ العتمة.

قد يسألك البعض: "لماذا فلسطين؟"، فتقول: لأنّها البداية، ولأنّها النهاية. لأنّها القلب والمبدأ والمحك. لأنّها ليست فقط وطنا يُحتل، بل لأنّها ميزان الأخلاق في هذا العالم. من خذلها خذل كل القيم ومن ناصرها ناصر العدالة والإنسانية والحق.

ليست فلسطين محتاجة إلى عطف، بل إلى وعي. وليست بحاجة إلى دموع بل إلى مواقف. إنّها قضية لا تُحل بالشعارات بل بالفعل وبالإيمان وبالحب العميق الذي لا يعرف الخذلان. هي الأمانة التي نحملها والثّأر الذي يسيل دما بل يزرع شرفا.

في القلب فلسطين، في نظرة لطيف، في ضوء شمس شاحب في الغروب، في لحظة أقف أمام لوحة مياه البحر، أسمع فلسطين تعود إليّ هنا في القلب، حيث لا يسكن الزمان ولا يطال العمر، فلسطين هي الغناء الذي لا ينتهي، هي النّبض الذي

لا يُخمد. هي "أنا"، أنا فلسطين، وأنا القلب، ولماذا لا؟ لأنّ فلسطين تستحق أن نكون أوسع وأعمق من جراحنا، أن نكون لها ربى ومعنى ودواما.

وفي قلب كل فلسطيني، مدينة لم يُولد فيها لكنّها تسكنه. بيت لم يره، لكنّه يعرف كلّ تفاصيله. طريق لم يمش عليه، لكنّه يحفظ حجارته عن ظهر قلب. هناك، الوطن ليس مكانا فحسب، بل هو حنين دائم ونبض لا يتوقف وحقّ لا يُنسى.

فلسطين لا تطلب المستحيل. تطلب فقط أن تُعاد لها كرامتها، أن تعود لأحضان أهلها، أن تُرفع رايتها دون خوف، أن تُكتب قصّتها بكلمات حرّة، لا بقرارات دولية باردة. وإن كانت فلسطين اليوم تحت الاحتلال، فإنّها في قلوبنا حرّة. وإن كانت جغرافيتها مقيّدة، فإنّها في ذاكرتنا ممتدة من البحر إلى النّهر. لا شيء يمكنه أن يقتلعها من الوجدان لا القمع ولا التزييف ولا حتى النسيان... لأنّها محفورة في القلب كما يُحفر اسم الأم.

أحلم بفلسطين هادئة، لا يسمع فيها دوي القنابل، ولا يقطفها الحزن من أحضانها. أحلم برائحة الخبز الطّازج، وبضحكات الأطفال في السّاحات تحت شمس صافية. أحلم بأمّ تركض نحو طفلها، وبأجداد يُروون القصص تحت ضوء قنديل يحرّكها الحرير الرملي. فلسطين التي تُبنى، لا تلك التي تُدمّر، فلسطين التي تُزرع، لا تلك التي تُقتلع.

الحاضر فلسطيني مرهف، لكنّه يُصرّ على الحياة. رغم القسوة، يبقى القلب نابضا بالأمل. رغم الجدران، تبقى القصص تنسج طرقها إلى الحرية. وحتى ولو تبخّر الماء في الأنهار، لم يتبخّر العطر. وحتى وإن خلع القلب جلده من الحزن، لا يمكنه أن يتخلّى عن فلسطين؛ لأنّها البذرة التي من خلالها بات قلبي وطنا.

وعندما أكتب هذه الكلمات، أشعر بأنّني أنفخ في حروف لا تنطق سوى بدويّتها. هي الكلمات الوحيدة التي تأتي من أصحابي، أولئك الذين يعزفون على الجراح ويحوّلون الدّموع إلى قصيدة. فسيّدة في الغور حفرت في التراب جرحها، لكنّها لم تنس أن تُطعم الحلم قبل أن تنكفئ. وشاب في صور قلبه للصّمود، ولم يبتعه باليأس. حروف الحزن لا تنتهي، لكن الجرح لا يُضمّد. فكلّ حرف يصير فلسطين، وكلّ

كلمة صامدة. وكلّ مرّة أكتب "فلسطين"، وكلّ رائحة الزيتون المختلطة بدمع الأرض، وكأنّ الكلمة نفسها كفيلة بأن تحاصر قلبي بالجمال والألم.

فليبق الحلم قائما، كنفس يتراءى على ألسنة الزيتون. وليبق القلب فلسطين، مهما تقاسمت الأزمان والأقنعة، ومهما تفتّتت الخريطة. فلسطين في القلب حياة، وهي الجسر الذي يصل بين الضفّة والرّوح، بين الدّموع والأمل، وبين الماضي والمستقبل الذي ينتظر لحظة كلمتينا: العودة والخلود والسّلام.

وفي النهاية، فلسطين لا تحتاج إلى من يبكي عليها بل إلى من يحبّها بصدق. إلى من يصدّق أنّها ستعود. لأنّ الايمان بفلسطين ليس خيالا، بل هو وعد... ووعد الأحرار لا يُخلف. إنّها اختبار للضمير الإنساني، من غزة إلى جنين من نابلس إلى القدس، ومن كل مخيم إلى كلّ حجر، يُولد الأمل من رحم الألم، ويُكتب النّشيد من صوت الأمّهات ودموع الآباء.

نِداءُ أرْضِ الحَبيبِ

سناء بن شراب - الجزائر

يا أرض الحبيب، ويا مهد الأنبياء والرسل، جمعنا أقلامنا لمساندة صرخة أرض الشهداء. نعم، إنها فلسطين تنزف جراحا لا تلتئم، وتكتب بدمائها حكاية وصمودًا لا ينكسر.

فلسطين تنادي أهلها وتنادي الأمّة، لكن لم يجبهت أحد؛ صداها يتلاشى بين جدران الصمت، ودم شهداء يرسم مسارات يرسم حدودا لها كل يوم.

كل يوم أمل جديد، يبحثون عن أمان بسيط حرموا منه. وكل صباح، يفتح طفل عينيه ليسمع القصف في كل الأرجاء بدلا من صوت العصافير. وفي كل صباح ومساء، تجلس الأم تودع أبناءها بين الشهيد والأسير؛ ومع كل هذه المعاناة قلبها مليء بالإيمان بأنَّ النصر قريب. هناك الزيتون لم يعد زيتا فحسب، بل يثمر دما ودموعا وكرامة.

الأدهى من صمت الأعداء وصمت الأقوياء... صمت الأمّة.

صمت الذين صلوا من القبلة نفسها، والذين حملوا اللغة نفسها، ورددوا الشعار نفسه... لكن، في حين صار وقت الفعل وقت القوّة، اِكتفوا بالكلام وتصفيق من بعيد فحسب. فلسطين، لم تطلب الكثير، ولم تطلب سوى الصدق، سوى أنْ تقفوا معها لا تترك وحيدة في وجه العدوِّ.

فلسطين، لا تموت، ولكن تتساءل: كم يلزم من الصمت لكي يعرف العالمِ أنَّ الحق لا يسقط بالنسيان؟ وكم من الخذلان كي يعرف العرب أنَّ القلب لا يشفى إلَّا بصدق.

ستبقى العظيمة حيّة رغم أنهم باعوها في الأسواق، وحتى إنْ أدار القريب ظهره... فالأرض تبقى دائما لأصحابها.

لكن، رغم كل الخذلان التراب المسقيّ بدماء يبقى صامدا وقويا، ويبقى وجدان كل حر، وكل عاشق للكرامة... نحن أبناء العظيمة، نحبها نيابة عن كل الذين باعوها. يا أبناء فلسطين، بالقوة تستطيعون الوقوف أمام العدو. ويا أهل غزّةَ، تذكّروا قول الله تعالى: [ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتمُ الأعلون إن كنتم مؤمنين]. نحن أصحاب الحق، وعلى الحق لن نستسلم للعدو ولا لحكام العرب.

نداء لأهل الأمّة، أنَّ الغالية اِختبار من الله سبحانه ليختبركم على ضمائركم... ولكن، همّكم الوحيد أموالكم ومناصبكم. ليست فلسطين عرب فلسطين وحدهم، إنما هي للعرب كلّهم. إنها تنال بالتصميم والحزم والاِتّحاد والقوة. إنَّ الوحدة العربية، هي أملنا في تحرير فلسطين. سلاما لأرض خلقت للسلام وما رأت يوما سلاما...

فلسطين تعيش في قلوبنا

سهله المدني - السعودية

فلسطين، تعيش في قلوبنا ونبكي معها ونفرح معها، ونراها تموت وكأن قلوبنا تذوب معها، وتفقد شغف الحياة معها. لم نعد نرى جمال الحياة إلا من خلالها، نرى الموت في كل مكان، وندرك بأنّ الحياة لا قيمة لها. فالشعراء والشعوب والعالم بمختلف الديانات والمذاهب والعقول يصرخون معها ويعيشون من أجل أن تبقى هي على قيد الحياة حتى وإن كلفهم ذلك فقدان حياتهم. والشعراء يكتبون ما تعانيه

فلسطين، ويكتبون ما تشعر به من آلام عند فقدان طفلها، وما تشعر به الزوجة عند فقدان زوجها، وما تشعر به الفتاة عند فقدان أسرتها في ظل هذه الحرب القاسية التي لا يربح فيها أيّ طرف وتكون سببًا في الخسارة لا في الربح. الشعراء يكتبون ويخلد التاريخ المعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في ظل هذه الحرب القاسية التي يقع ضحيتها الأطفال والنساء والرجال... عندما نتحدث عن هذه المعاناة القاسية، نجد بأنّ هناك أملا لا ينتهي وشغفا لا يتوقف. نرى في داخلنا وفي ديننا أنّ الله مع الصابرين، وهناك رسالة من الله لهذا الشعب القوي بأنّ الله لا يظلم لديه أحد وأنّ النصر قريب... فتاة من فلسطين كانت في غيبوبة وحلمت بأفضل خلق الله -عليه الصلاة والسلام- محمد رسول الله بأنّ الجنة تنتظرهم، وأن يصبروا وإنّ الفرج قريب بإذن الله. وكانت سعيدة في الحلم، واستعادت وعيها من الغيبوبة وبشرت فلسطين وشعبها بهذه الرسالة التي أرسلها الله لها في هذا الحلم؛ يمكن أن تكون المعاناة كبيرة أمامك، ولكن خلف تلك المعاناة سعادة ونعيم لا يراه غير الذي أعطاه الله أن يكون في هذا المكان، لا يوجد شيء مستمر في الحياة لا ألم ولا قوة ولا حزن وكل شيء له نهاية إلا وجه الله -جل جلاله- هو الباقي، عندما نبحث عمّا يحدث في هذه الحرب، نجد أنّ إسرائيل في تعجب كبير، لماذا تكون رائحة الشهيد الفلسطيني جميلة جدا وهم جنودهم يحدث لهم عكس ذلك عند الموت؟ فهذه، رسالة لهم أنّ الله أنعم عليهم بشهادة وجعل لهم صفات لا يملكها أيّ أحد لا يكون بجانبهم وهذا فضل الله عليهم.

في حضن الأرض المحتلة

سهيل الحجاجي - المغرب

فلسطين... ليست مجرد اسم على خريطة، وليست مجرد تراب نعرفه بأقدامنا، بل هي قلب ينبض في صدورنا منذ أن عرفنا معنى الوطن. هناك حيث الزيتون يصر على الحياة رغم الحروب، وحيث الجبال تراقب الأفق وتحتضن ألوف القصص التي لم ترو بعد. فلسطين هي الألم والكرامة معا، هي دمعة الطفل الذي فقد والديه، وابتسامة الأم التي تزرع الأمل في قلب ابنها رغم كل الخوف.

في كل شارع، وفي كل حجر، وفي كل بابٍ قديم، تتحدث إليك الأرض عن صمودها وعن شعبٍ رفض الاستسلام. هناك، بين أزقة القدس القديمة وحارات رام الله، يختلط عبق التاريخ برائحة الغضب، وتتردد أصوات الأجداد الذين قاوموا النسيان والظلم. فلسطين هي الحلم الذي لم يمت، هي الثورة الصامتة لكل قلب حر، هي القصيدة التي كتبها الزمن على جدران المساجد والبيوت.

وعلى الرغم من كل الجراح، تبقى فلسطين أملا لكل من يبحث عن الحرية، وملاذًا لكل من يحب الأرض والإنسان. هي ليست ملكا للزمن ولا للأحداث، بل ملكًا لكل قلب يعرف معنى الانتماء والوفاء. وفي أعْيُنِ كل طفل، وفي صمود كل شجرة زيتون، وفي كل كلمة حب تقال عن هذه الأرض، نجد أن فلسطين حية ونابضة وشامخة رغم كل الألم.

فلسطين... ستبقى دائما حكاية الأمل التي ترفض أن تنتهي، وستظل فينا، فينا جميعا، شعلة لا تنطفئ، رغم الظلم والحروب والدموع، رغم الغربة والمحن. فهي ليست مجرد أرض، بل هي وطن، هي روح، هي حياة لا تعرف الهزيمة.

غَزَّةُ.. نَزْفٌ لَا يَتَوَقَّفُ

سولاف قبي - الجزائر

غزَّةُ، تستغيث وتنزف،

حرب لم تتوقَّف،

شعب جائع محروم،

جرحى ينتظرون الأطباء،

أطفال تقطّعت أوصالهم أشلاء،

علم يكافح من أجل الفداء،

مُحْتجَبٌ عنه رحمة الله،

حتّى الماء والكهرباء،

والدفء والطّعام والشراب،

يسدّ جوعه بحبّات التّراب.

الموت منتشر في كل مكان وزمان،

مدن متفجّرة، قبور متبعثرة،

اِبتسامة غائبة،

جلود ذائبة،

عيون دامعة،

دماء الشّهداء لامعة.

نساء أرامل،

هزمتهنّ جحافل جنود اليهود،

لا يسمحون في القدس حتّى بالمقابل،

لا يعترفون بإسرائيل.

أطفال أيتام جُوَّع،

شعب مشرّد في المخيّمات،

رغم الألم، لم يتوقّف عنِ الدّعاء وأداء الصّلاة،

وأداء العبادات كافّة.

صوت الرصاص والبندقية يتراقص في كل الأرجاء،

بنو الصّهيون، اِستنزفوا الخيرات،

سرقوا مِنَ الفلسطينيين البسمات،

شتّتوا الأسر والعائلات،

دمّروا الشوارع والبنايات والمستشفيات،

هدموا المدارس والجامعات،

آلام لا نستطيع التعبير عنها بكلمات.

اللَّهُمَّ، كُنْ معهم واُنصرهم،

اللَّهُمَّ، اِهزمِ اليهود وزلزلهم،

اللَّهُمَّ، أرنا عجائب قدرتك،

اللَّهُمَّ، زوّدهم بقوتك وعظمتك،

اللَّهُمَّ، اِشفِ المرضى واِرحمِ الأمواتَ،

وكن عونًا ونصيرًا لعمّال فلسطين في القطاعات جميعها.

فِلِسْطِينُ... عَرْشُ الأَرْضِ وَسِرُّ السَّماءِ

سيرين زخة - الجزائر

فلسطين... ليست مجرّد اِسمٍ على الخارطة، وليست حدودًا تُرسم بالحبر على الورق. فلسطينُ كلمةٌ تتجاوز الجغرافيا، لتصبح في جوهرها رمزًا خالدًا للكرامة الإنسانية، وصرخةً في وجه الظلم، وعنوانًا للمقاومة المتجذّرة في ذاكرة الأرض والإنسان. فلسطينُ ليست أرضًا تُغتصَب فقط، بل هي روحٌ تسكننا، ودمعةٌ تحفر مجراها في أعماقنا، وأملٌ يتجدّد كلّما حاول اليأس أنْ يزحف إلى قلوبنا.

منذ أنْ وُجد الإنسان، كانت فلسطين ملتقى الرّسالات، ومهد الأنبياء، ومسرى النّبيّ الكريم -صلَّى الله عليه وسلَّم- فيها صدى خطوات المسيح، ومنها اِرتفع نورُ الإسلام إلى السّماء في ليلة الإسراء والمعراج. هي الأرض الَّتي باركها الله مِنْ فوق سبع سماوات، وجعلها مسرى للقداسة وموطِئَهَا. كيف لا تكون في القلب، وهي القلب ذاته، والنبض الذي لا يخْفُت مهما أثقلته الجراح؟

فلسطين... قلبٌ ينزف ولا يموت...

حين نتأمل وجه فلسطين، نرى ملامح أمٍّ ثكلى، عيونها غارقة بالدمع؛ لكنّها شامخة وصلبة كجبل. نرى طفلًا يلهو بين الأنقاض، يحمل حجرًا أكبر مِنْ كفِّه الصَّغيرة، فيبدو الحجر سيفًا، ويبدو الطفل قائدًا لا يعرف الإستسلام. نرى شيخًا يجرّ جسده المتهالك إلى الصّلاة في المسجد الأقصى، كأنما يقول للعالم: "لن تُطفئوا نور الله، ولَنْ تُغلقوا أبواب السّماء".

كم مرّ على فلسطينَ مِنْ مُحتلِّين؟ وكم حاول الغزاة أنْ يدفنوا هُويَّتَها في التّراب؟ لكنِ التُّراب نفسه كان يرفضهم. فالأرض تعرف أصحابها، والتّاريخ لا يزوّر مهما حاول الكاذبون. مِنَ الكنعانيِّين الأوائل، إلى العثمانيّين، مرورًا بالمماليك، والصّليبيّين، والإنجليز، وكلّ مَنْ حاول أنْ يمُدَّ يده على هذه الأرض، ظلّت فلسطين عصيّة على الإندثار.

فلسطين... ذاكرة الأنبياء ووصيّة الشهداءِ...

فلسطينُ، ليست مجرّد رقعة تُقدَّر بالكيلومترات، بل ذاكرة ممتدَّة عبر القرون. فيها ولد إبراهيم -عليه السّلام- وفيها بُشِّر عيسى -عليه السّلام- بالسّلام، ومنها عُرج بالنبي محمَّدٍ -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى السّموات العلا. إنّها الأرض الَّتي اِختارها الله لتكون شاهدةً على رسالاته، فلا عجب أنْ تكون شاهدة على معركة الحقِّ والباطل حتَّى آخر الزمان.

كلُّ شهيدٍ يروي أرضها بدمه، ويكتب سطرًا جديدًا في كتاب الخلود. كلُّ أسيرٍ يقضي عمره خلف القضبان، يزرع بذرة حرّيّة في وعي الأجيال. كلّ طفلٍ يُقتل وهو يحمل دفتره المدرسيَّ، يصبح شاهدًا على وحشيَّة العالَم وصمتِه المُخْزي.

فلسطين... بين الألم والأمل...

نعم، فلسطينُ تتألم. جراحها لا تعدّ، ودموعها لا تنتهي. هناك أمّهات يُودِّعْن أبناءهنّ عند أبواب السُّجون، وهناك آباءٌ يدْفِنون أبناءهم شهداءَ، وهناك أطفال يبحثون عن بقايا لعبٍ تحت الرُّكام. لكنّ الأمل لا يموت في فلسطينَ. بلْ لعلَّها الأرض الوحيدة في العالَم الَّتي يجاور فيها الألم الأمل، مْثْلَما يجاور اللَّيلُ الفجرَ.

بِالرّغم مِنَ الحصار، يكتب الشُّعراء، ويغنِّي الفنَّانون، ويرْسُم الأطفال لوْحاتٍ تنبض بالحياة. وَبِالرّغم مِنَ الدمار، تُزهر أشجار الزيتون كلَّ عام، كأنها ترفض الإنكسار. وبِالرّغم مِنَ الموت، يولد كلَّ يوم جيل جديد، أقوى من سابقه، وأكثر تشبّثًا بالأرض، وأشدّ يقينًا بأنَّ الحرّيَّةَ قادمة لا محالة.

فلسطين... قضيّة الإنسان كلّه...

فلسطينُ، ليست قضيَّة الفلسطينيِّين وحدهم، بل هي قضيَّة الإنسانية جمعاءَ؛ لأنَّ ما يجري فيها ليس صراعًا على أرض فحسْبُ، بل اِمتحانٌ لقِيَمِ العالَم: هل يقبل بالعدالة أم يرضى بالظُّلم؟ وهل ينحاز إلى الإنسان أم يقف مع الطُّغيان؟

حين يترك العالم أمًّا تبكي على اِبنها الشّهيد دون أنْ يُحرِّك ساكنًا، فهو يفقد إنسانيته. وحين يُسمح للجلّاد أنْ يقتلَ بلا حساب، فإنّ الصَّمتَ يُصبح شريكًا في

الجريمة. فلسطينُ، تكشف وجهَ العالَم، وتفْضَح زيْفَ الشِّعارات الَّتي تتغنّى بالحرِّيَّة والدِّيمقراطيَّة وحقوقِ الإنسان.

فلسطين... وعْدُ الحرِّيَّةِ...

لكن، بِالرّغم مِنْ كلِّ شيء، فإنَّ فلسطينَ ستبقى. ستبقى؛ لأنَّ فيها شعبًا يرفض الإِستسلام، ويؤمن أنَّ النّصرَ صبْرُ ساعةٍ. ستبقى؛ لأنَّ فيها رجالًا ونساءً يكتبون التّاريخ بدمائهم، لا بأقلامهم فقط. ستبقى؛ لأنَّ الأرضَ لا تخون أصحابها، ولأنّ وعْدَ الله حقٌّ:

"فإذا جاء وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفًا" الإسْرَاءُ 104.

يوماً ما، ستُفتح أبواب القدس، وسيعود الأذان يعلو مِنْ مآذنها بلا قيْدٍ ولا شرطٍ. يومًا ما، سيعود اللّاجئون إلى بيوتهم، يحملون مفاتيحهم القديمةَ وذكرياتِهم، ويغرسون زيتونًا جديدًا في تُرابها. يومًا ما، سيتحرَّر الأسرى، ويعانقون الشَّمسَ بلا قضبانٍ.

خاتمة... فلسطين في القلب دائمًا...

فلسطين، ليست خبرًا في نشرة الأخبار، ولا مشهدًا عابرًا على الشّاشات. فلسطين، هي قلب الأمَّة، وجذرها الضّارب في أعماق التّاريخ. مَنْ يتخلَّ عنها، يتخلَّ عَنْ قلبه. ومَنْ ينسَ فلسطين، ينسَ إنسانيَّتَه.

ستظلُّ فلسطينُ في القلب، ما دام فينا قلبٌ ينبض. وستظلُّ منارةً للأحرارِ، ما دام في الأرض إنسانٌ يرفض الذُّلَّ. فلسطينُ، ليست حلمًا مؤجّلًا، بلْ قدرًا آتِيًا لا محالةَ.

فلسطينُ، يا سيِّدةَ الأرض... سنظلُّ نكتب اِسمك بالدَّمع والحِبْر والدَّمِ، حتّى يعودَ فجْرُ الحرِّيَّة، وتُشرق شمسُك مِنْ جديدٍ.

عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ يُولَدُ الصُّمُودُ

شهرة دهيري - الجزائر

هي رقعة صغيرة جدًّا مِنْ هذا العالَم...

تحكي قصَّة تحدٍّ وقوَّة وصبر وإيمان وجهاد...

يولد فيها أمل وإصرار على البقاء تحت كلِّ رُكام...

ويبتسم الطِّفل رغم دخان الحرب...

هناك، في غزَّةَ أين يعيش شعب لا يعرف معنًى للخضوع والإستسلام ...

شعب، قهر أقوى قوى العالَم... شعب، تمسّك بأرضه وترابه وأبى إلَّا أنْ يُدافع عنها بروحه وماله وبيته...

هناك فقط، سُلبتِ البراءة مِنْ طفل صغير فقد كلَّ عائلته...

وأمّ ثكلى تبكي كلَّ أولادها ...

ورجل عاجز أمام بيته المهدوم مع كلِّ أحلامه ومستقبله...

وشهداء تحفظ السّماء أسماءهم كنجوم لا تغيب...

غزَّةُ الّتي حاربت العالَم وكشفت كلَّ متخاذل مذلول لا زالت صامدة تعطي الأملَ الأرضَ الَّتي أخذت ولا محالةَ، ستعود حتما...

غزَّةُ، قصّة مدينة رفضتِ الموت، وورَّثتْ جبروت الصُّمود مِنْ أعماق التّاريخ...

إِسمها غَزَّة ويمكنك أنْ تكتبَها عِزَّة... فلن يختلَّ المعنى أبدا...

كيف لا؟ وهي جزء مِنْ أرض وطن لا ينحني...

مِنْ أرضٍ مهما حاولوا اِغتيالها، تُبْعث نفسها مِنْ جديد...

فلسطين...

ليست مجرَّد أرضٍ تُروى بدموع السّماء، بل حكاية وجعٍ تولد مع الفجر ولا تموت مع الغروب...

في كلّ زقاقٍ مِنْ أزقَّتها، تختبئ ذاكرةُ طفلٍ حمل الحجر بدل اللُّعبة، وأمٍّ علّمت أبناءها أنَّ الصَّبر صلاة...

على ترابها، تنبت الكرامة. ومِنْ زيتونها، تفوح رائحة التّاريخ...

فلسطين، يا نبضَ العروبة...

يا جرحًا علّم العالَم معنى الصُّمود... ستبقين وإنْ طال ليلك؛ لأنَّ فيك روحًا لا تُقهر، وأرضًا لا تُباع...

وحيدةً، تئنُّ...

شيماء الكرغلي - تونس

طالَ ليلُها

والخفافيشُ تلتهمُ أطفالَها

نيرانٌ تركضُ مستوليةً على ديارِها

تصومُ النهارَ كلَّه ثم يفطرُ عليها الموتُ اللعين

كلُّ الصورِ مشوّهةٌ تتساقط

من يلتقطُ أشلاءَها؟

من يعيدُ ملامحها التي امّحتْ تحتَ أنقاضِ العجزِ والصمت؟

أصابَ الطاعونُ العروبةَ أم أنَّها نزفتْ حتى الموت؟

ظننتُ في الأوطانِ العربيةِ رجالًا يفزعونَ لغزة

لكنهم، ما بين صامتٍ ومتواطئٍ وعاجزٍ يتهامسون!

ماذا؟ أ فقدتِ العروبةَ؟

أم أنهم لم يسمعوا صوتَ القضيةِ

أم تعامَوا عنها حتى صارتْ نسيًا منسيًّا؟

متى أُبيحَ اغتصابُ الشرفِ أمامهم

وهم لا ينهضون؟

أيَّ ذلٍّ اِرتضيتم؟

أيُّ عارٍ حلَّ بالعروبة؟

أين اِختفى الفرسانُ؟

أين السيوفُ؟

أين صوتُ الكرامةِ حين تسحقهُ دباباتُ العدوِّ في الأزقّةِ؟

أين تلكَ الراياتُ التي زعمتم أنَّها لن تُنكَّسَ؟

إلى غزة الجريح...

أيتها الوحيدةُ المكلومةُ

ليس لأنهم لا يملكون بندقية

بل لأنهم باعوا البندقية

وباعوا معها الشرف والقضية...

هم الجاني، وأنتِ الضحية.

هم تناسوا الهوية

هم حتى لم يحاولوا لأجلكِ

هم أغلقوا المعابرَ بوجهكِ

تركوكِ وحيدةً في بحرِ الدمِ والأشلاءِ

ثم رموا اللومَ عليكِ!

كيف لهم أن يحاضروا عن البطولةِ

وهم يبيعونها في سوقِ النخاسةِ؟

كيف لهم أن يتغنّوا بالنضالِ

وهم يسهرونَ في قصورٍ تحرسها جيوشُ الخنوع؟

كيف لهم أن يبكوا شهداءك

وهمُ الذين تواطؤوا على ذبحهم؟

أخبريني يا غزة

كيف تصمدينَ وحدكِ

وكلُّ الأكتافِ التي ادّعت حملكَ خذلتكِ؟

كيف لا يزالُ فيكِ طفلٌ يحملُ حجرًا

بينما تجلسُ الجيوشُ التي زعموا أنها للعروبةِ في انتظارِ الأوامرِ التي لن تأتي؟

أخبريني

هل لا يزالُ هناكَ متّسعٌ للغضب؟

هل بقيَ بينَ أضلعِ العروبةِ نبضٌ؟

أم أنهم ماتوا وصرتِ تبكينَ على جثثٍ تتحرّكُ بلا أرواح؟

هم، لم يُولدوا بلا سلاح

لكنهم، تعلّموا كيف يدفنونَه بأيديهم

هم، لم يُولَدوا بلا كرامة

لكنّهم، تعلّموا كيف يبيعونها

هم، ليسوا عاجزين بل همُ العجزُ نفسُهُ يرتدي وجوهًا عربية

بَلَغَنِي خَبَرُهَا

شيماء بلجازية - الجزائر

نهر الرّافدين فاض بدمها،

والحجر الأسود اِبيضَّ

بشهداء الغارة

في البحر الأبيض أُطفئتِ المنارة

ورائحة المنيّة، عبقت وعبرت

مِنْ رَفَحَ إلى النِّيل

بكى النِّيل

لطفل رضيع جائع

لصرخة اِمرأة حامل

لبكاء مسنٍّ عاجز

لشابٍّ فقد حبيبته

وخسر أهله وبيته

بكى النِّيل

ويا ليته لم يبكِ!

في تونس والجزائر بأقلام حمراء

عادت بهما الذّاكرة للوراء

لعهد الثُّوّار والحرب لأجل الكبرياء

فكتب الشُّعراء

(ليت فلسطين تخطو خطانا وتطوي كما طوينا السّنينا)

اليوم عيون تشاهد

وصمت بلا عنوان

وأبناء سام يقبلون البنان

هل عندنا لزمن العبوديّة؟

زمن فرعون وهامان

فأين أنت يا عمرَ بن الخطّاب

وأين أنت يا صلاحَ الدِّين

وأين أمجادنا

وأين عزائم الأمّة الخافقة

والله أكبر في السّماء يتعالى

أين هل ولت؟

تخطّينا تلك الأزمان

وأخرست الآذان

أمام قصف الطّغيان

وتجويع شعب المليونيْن

وقتها سمعت غزّاويّا يقول:

لا تشفع لهم يا رسول الله

وقتها قلت

قد بلغني خبرها

يا غزّة أُعذري حيلتنا

والله قلوبنا تبكي لأجلك

واللّسان يدعو لنصرك

(ولا يزيد الظّالمين إلَّا خسارا)

يا غزّة الجرح الّذي لم

يشفَ إلَّا بشفائك

يا غزّة لم يبقَ لك

إلَّا باب الله

ووعد الله حقّ.

فلسطين... جرح يسكن القلب

شيماء رغد - الجزائر

يا فلسطين، يا جرحًا يسكن فينا منذ الميلاد، يا قُبلةً نصلّي إليها في كلّ سجود، يا وطنًا ما غاب يومًا عن نبض القلب، وإن حُجبَ عن الأعين.

كيف لنا أن نكتب عنكِ، والقلم يرتجف بين أناملنا؟ كيف لنا أن نختزل وجعك الممتدّ منذ عقود في حروفٍ مهما طالت تبقى عاجزة؟ أنتِ لستِ مجرد أرضٍ مغتصبة، ولا قضيةٍ تُعرض في نشرات الأخبار، أنتِ أمانة السماء في أعناق المؤمنين، وبوابة الجنة التي تفتح أبوابها لكل صادقٍ باكٍ في محرابك.

أكتبكِ يا فلسطين، كأني أكتب نفسي. فأنا منكِ، وإن لم أولد في ترابك. أنا غريبٌ مثلكِ، ومشردٌ مثلكِ، ومصلوبٌ مثلكِ على جدار الصمت والتخاذل. حين أناديك، أسمع صدى دماء الشهداء، وأصوات الأمهات المفجوعات، وابتسامة الأطفال الذين يحلمون بلعبةٍ بلا دخان، وبغدٍ بلا أنين.

يا فلسطين، يا جرحًا قديمًا يرفض أن يندمل، يا ندبةً في جبين التاريخ، ويا وعدًا مؤجَّلًا في ضمير الأمة. نحبكِ لا لأنكِ أرض الزيتون فقط، بل لأنكِ أرض الأنبياء، وبوابة السماء، ومحراب الإسراء والمعراج. نحبكِ لأنكِ حكاية الحق التي لا تموت، ولأنكِ امتحان قلوبنا، وصراطنا المستقيم بين نصرة أو خذلان.

أكتبكِ والدمع يسيل من أعيُنٍ مثقلة بالعجز. فما الذي نملكه سواك يا فلسطين؟ نملك الدعاء، ونملك الكلمة، ونملك العهد ألَّا تُمحى من الذاكرة. نحن أمةٌ قد تخذلها السياسات؛ لكن قلوب المؤمنين لا تخذلكِ، ودموع العابدين في جوف الليل لا تتركَكِ وحيدة.

يا فلسطين، يا حقل دمٍ وزهر، يا أغنيةً حزينة تخرج من حناجرنا منذ الطفولة. نحن نحملكِ في كتبنا، وفي صلواتنا، وفي أغاني أمهاتنا، وفي حكايات جداتنا التي لم تعرف سوى أن تقول: "القدس لنا، وإن طال السفر"

✦ رسالة إلى الشهيد

أيها الشهيد الذي ارتقى فوق تراب فلسطين، سلامٌ عليك يوم خرجتَ من بيتك تحمل حجارةً في يدك، وإيمانًا في قلبك. سلامٌ عليك يوم واجهتَ الرصاص بصدرك العاري، فكنتَ أنتَ الدرع، وأنت السلاح.

نم هانئًا، فدمك لم يُسفك عبثًا. كل قطرةٍ منه سقت زيتونةً، وأيقظت ضميرًا، وأشعلت فينا شعلة لا تنطفئ.

✦ رسالة إلى الأسير

يا أسير الحرية في زنزانةٍ ضيقة، يا من ضاقت بكَ الجدران لكن روحك أوسع من السحاب. نعلم أنّ الليل طويل، وأنّ القيود تنهش معصميك؛ لكنّنا نراك أكبر من كل جدار. أنت شاهدٌ على أنّ فلسطين لا تُكسر، وأنّ الجسد يُحبس؛ لكن الفكرة لا تُسجن.

✦ رسالة إلى الطفل الفلسطيني

أيها الطفل الذي يركض في الأزقة تحت سماءٍ مثقوبة بالصواريخ، وأنتَ تضحك رغم الألم.. أعدك أننا سنحكي عنك للأجيال. سنخبرهم أنك كنتَ تكبر قبل وقتك، وأنك علمتنا أنّ الطفولة يمكن أن تكون سلاحًا حين تُولد في وطنٍ محتل.

✦ رسالة إلى أم الشهيد

أيتها الأم التي زفّت ابنها كما تُزف العروس، يا من وضعت دمعةً على قبره وابتسامةً في السماء، لكِ في قلوبنا دعاءٌ لا ينقطع. أنتِ مدرسة الصبر، وأنتِ نبع التضحية، وأنتِ وجه فلسطين الحقيقي.

يا فلسطين.. كل ما فيكِ يصرخ فينا. صخوركِ تذكرنا بالمرابطين، وأزقتكِ تحفظ أصوات الأذان، ومساجدكِ وأجراس كنائسِك تلتقي في سماءٍ واحدة لتعلن أنّ هذا الوطن لله، لا يُباع، ولا يُشترى، ولا يُقسم.

نكتبكِ، لأنّنا لا نملك سواك. نكتبكِ، لنقول إنكِ لستِ قضيةً عابرة، بل جرحًا في جسد الأمة كلها. نكتبكِ، لنُشهد التاريخ أنّنا لم ننسَ، ولم نتنازل، ولم نرضَ بالظلم.

✦ القدس.. زهرة المدائن

يا قدس، يا زهرة المدائن، يا روح فلسطين وقلبها النابض. فيكِ يجتمع التاريخ كلّه، ومنكِ تبدأ الحكايات. فيكِ عرج النبي إلى السماء، وفيكِ صلى بالأنبياء، فكيف لا نراكِ حياةً لنا كلها؟ أنتِ وعد الله، ووعد الله حق.

يا فلسطين.. سنظل نكتبكِ حتى لو جفّت أقلامنا. سنظل نرسمكِ حتى لو غابت الألوان. سنظل نردد اسمكِ في الأذان، وفي الأناشيد، وفي قلوبنا؛ لأنكِ الإيمان الممتحن، واليقين الموروث، والجرح الذي يصلّي فينا كل يوم.

وسيأتي يوم، لا ريب فيه، نراكِ فيه حرةً عزيزة، يرفرف فوقك علمٌ طاهر، وتُغسل أزقتكِ بدموع الفرح بدل دموع الفقد.

وسنقول يومها: "ها قد عاد الحق لأهله، وها قد صدق وعد الله".

عاشقة فلسطين - الأردن

على هذه الأرض التي تتنفس الحكايات قبل أنْ تتنفس الرياح، تنبت الحروف كما تنبت الزهور البرية بين الصخور، وتولد الكلمات من رحم الألم والرجاء، تحمل رائحة الزعتر والليمون، وتتشابك مع أصوات الأذان في الفجر، وأغنيات الجدّات في المساء. فلسطين ليست مجرد أرض، هي ذاكرة تمشي على قدمين، ودمعة لم تجفَّ منذ قرون، وابتسامة ما زالت تقاوم رغم كل شيء.

هنا، حيث تتعانق السماء مع القباب الذهبية، وحيث يكتب التاريخ سطوره على جدران القدس العتيقة، تنبض القلوب بإيمان لا يشيخ. على حجارة المسجد الأقصى، ترك المصلّون خطواتهم كعهدٍ لا ينكسر، وفي أزقة البلدة القديمة، يختبئ عبق البخور ورائحة الخبز الطازج من أفران الطين، يروي للعابرين أنَّ هنا كان وما زال بيت للحياة.

في قريتنا الصغيرة على سفوح الجبال، كانت أمي تقول: "الأرض مثل الأم، إنْ أهملتها ذبلت، وإنْ رعيتها أزهرت". وكانت جدتي، بيديها المتجعدتين، تحوك لنا الكوفيات السوداء والبيضاء، لتدفئ رقابنا في الشتاء، وتذكّرنا أنَّ هذه الخيوط ليست مجرد قماش، بل عقد من الوفاء لوطن يزهر في القلب مهما قست الرياح.

أذكر طفولتي في الحقل، حين كنت أجري خلف سنابل القمح، أضحك كأني أملك العالم، وأسمع أصوات الطيور وكأنها تغني لفلسطين. كنا نعود من المدرسة لنجد الشاي يغلي على النار، وخبز الطابون ينتظرنا، وكل لقمة كانت تحمل طعم الوطن. لم نكن نعرف وقتها أنَّ تلك اللحظات البسيطة هي كنز سيظل معنا حين يشتدُّ الحنين.

لكن فلسطين ليست فقط ذكريات طفولة، هي أيضًا اِمتحان دائم للصبر. على الحواجز، يقف الناس بالساعات، يحملون أوراقهم كما يحملون صبرهم، ويعبرون بنظراتهم قبل أنْ تعبر أقدامهم. في الليل، قد يوقظك صوت بعيد، ليس أغنية ولا أذانًا، بل طرقًا على الأبواب، أو صفير الرياح وهي تصطدم بجدران البيوت القديمة. ومع ذلك، تجد صباحًا جديدًا يبدأ باِبتسامة بائع القهوة على الرصيف أو بضحكة طفل يلعب بكرة من القماش.

في غزة، البحر هو نافذتهم الوحيدة نحو الأفق. يجلس الصيادون على شاطئه، ينتظرون رزقهم، ويراقبون الشمس وهي تغرق في الموج، كأنها تعدهم بغد أجمل. هناك، كل بيت يحمل قصة، وكل شارع يعرف معنى الفقد ومعنى التمسك بالحياة. ورغم الحصار، تُقام الأعراس، وتُوزع الحلوى في الأعياد؛ لأنّهم يعرفون أنَّ الفرح هنا هو شكل آخر من المقاومة.

أما في الضفة، فالجبال تحرس القرى، وأشجار الزيتون تروي حكايات أقدم من كل الجدران. يُقال إنَّ كل زيتونة تعرف اِسم صاحبها، وتبكي إنْ رحل. وفي كل موسم قطاف، يجتمع الناس من كل الأعمار، يملؤون السلال بالزيتون، ويملؤون القلوب بالأغاني الشعبية التي تقول: "على دلعونا...". هذه الأغاني ليست مجرد تراث، بل جسر بين الماضي والمستقبل، يذكرنا أنّنا لسنا غرباء في هذه الأرض، بل نحن نبضها.

وفي الشتات، بعيدًا عن الوطن، يعيش الفلسطيني على حقائب الذاكرة. يحمل صورًا قديمة لبيت من حجر أو مفتاحًا صدئًا لباب لم يُفتح منذ عقود؛ لكنه يصرُّ عَلَى أنْ يعود. يسكنه الوطن أينما ذهب، في لهجته التي تحفظ نكهة الأرض، وفي طعامه الذي يحمل وصفات الجدّات، وفي قلبه الّذي لا يعرف الاِستسلام.

النكبة... بداية الجرح

عام 1948، لم يكن رقمًا في التقويم، بل كان اِنكسارًا في القلب. ترك الناس بيوتهم على عجل، بعضهم حمل المفتاح في جيبه، وبعضهم أخذ حفنة تراب من الحوش، وبعضهم اِكتفى بحفظ صورة البيت في ذاكرته. قوافل اللاجئين كانت تسير في طرقات الغربة حفاة أو بأقدام متعبة، وبين الأيدي أطفال يبكون ولا يعرفون لماذا تركوا بيتهم.

كانت أمي تروي أنَّ جدها سار لأيام بلا ماء كافٍ، وأنَّ جدتها خبّأت في ثوبها القليل من القمح لتطعم الأطفال في الطريق. وصلوا إلى المخيمات على أمل العودة بعد أيّام أو أشهر؛ لكنِ الشهور صارت عقودًا. هناك، تحت الخيام، بدأ الفلسطيني حياة جديدة؛ لكنّها كانت حياة نصفها اِنتظار ونصفها حنين.

المخيمات... مدن من الصبر

في المخيم، الأزقة ضيقة لكنِ القلوب واسعة. البيوت متلاصقة، والجدران مغطّاة بصور الشهداء والمفاتيح المعلّقة. الأطفال يلعبون بين الأسلاك المعلّقة، وكأنهم يتحدّون الفقر بالضحك. النساء يطبخن المقلوبة والمجدرة في مساحات صغيرة؛ لكنِ الرائحة تصل إلى آخر الزّقاق.

في كل مساء، تجلس الجدّات أمام البيوت، يروين للأحفاد عنِ القرى التي تركوها: عن بئر الماء، وعن الحصاد، وعن شجرة التّين التي كانت تظلّل الدار... هذه الحكايات، لم تكن مجرد تسلية، بل كانت درسًا في الهُوِيَّة، وتذكيرًا أنَّ المخيم ليس نهاية الطريق، بل محطة في رحلة العودة

أغاني العودة... لحن الأمل

منذ النكبة وحتى اليوم، لم تتوقف الأغاني الفلسطينية عن الغناء للعودة. في الأعراس، وسط الرقص والدَّبكة، تجد أغنية تتحدث عن "راجعين". في المدارس، يتعلم الأطفال أناشيد تحفظ أسماء المدن والقرى، حتى تلك التي مُسحت من الخرائط.

أتذكَّر أنَّ جدتي كانت تغني بصوتها المبحوح:

"راجعين يا دار... راجعين"

وكان صوتها يختلط بدموعها، ونحن صغار لا نفهم كلَّ المعنى، لكنّنا نشعر أنَّ هذه الأغنيةَ تحمل وعدًا كبيرًا

هُوِيَّة لا تُمحى

فلسطين ليست فقط أرضًا محتلّة، بل حكاية شعب يعرف أنَّ الهوية ليست بطاقة، بل دمًا يسري في العروق. هي قصيدة تكتبها الأمّهات بدموع الفرح والحزن معًا، وهي لوحة يرسمها الأطفال بألوانهم الزاهية على جدران المخيمات. هي دعاء في ليلة قدر، وزغرودة في عرس، وصرخة في وجه الظلم.

عندما أنظر إلى فلسطين، أراها فتاة ترتدي ثوبًا مطرَّزًا بألوان الحقول، تحمل في يدها سلَّة من تين وصبر، وفي الأخرى كتابًا مفتوحًا على قصيدة محمود درويش. تمشي بخطى واثقة، رغم كل الجراح، وتقول للعالم: "أنا هنا، وسأبقى".

قد يظن البعض أنَّ الحكاية اِنتهت؛ لكنِ الحقيقة أنَّ فلسطين تكتب كل يوم فصلًا جديدًا من صمودها. أطفالها يكبرون على صوت الحكايات لا على صوت الهزيمة، وشبابها يرسمون ملامح الغد بأيديهم، ونساؤها يقفن كالجبال أمام الرياح. هنا، لا يعرف الناس كلمة "مستحيل"؛ لأنّهم جرّبوا الخسارة وعرفوا أنَّ الأمل أقوى.

وحين يحين الغروب في فلسطين، يتحوَّل الأفق إلى لوحة مِنَ الذهب والبرتقالي، تزيّنها مآذن تعانق الكنائس، وطيور تعود إلى أعشاشها. عندها، يدرك المرءُ أنَّ هذه الأرض، بكلِّ ما فيها مِنْ ألم وفرح، هي وعد الله الذي لا يزول، وهي النبض الذي لا يموت.

فلسطين... ليست مجرد وطن، إنها قصيدة لا تنتهي، وجرح لا ينزف عبثًا، وأمل يتجدد مع كلِّ فجر. هي الحلم الذي يسكننا جميعًا، حتَّى أولئك الّذين لم يروها؛ لأنَّ فلسطين تُرى بالقلب قبل العين، وتُحَبُّ بالرُّوح قبل الجسد.

ماذا نُريدُ مِنْ غَزَّةَ؟

عبد الباقي صلاي - الجزائر

قد يكون السؤال فيه من الحيرة بعض الشيء ما يدفع المتبصر لوضع غزة اليوم أن يقول: هل لغزة اليوم مطالب من العرب والمسلمين وحتى من غير العرب، حتى ينتهي مسلسل الرعب والتقتيل الممنهج لشعب أعزل فقط قال أنا متمسك بأرضي وأرض أجدادي، وأرفض التهجير من أرض أنا مالكها. كان الأحرى أن يكون السؤال ماذا تريد غزة، لكن السؤال أصبح يفرض نفسه عنوة بالشكل التالي: ما ذا نريد من غزة؟

للأسف الشديد نحن المسلمين الذين تخلينا عن غزة بحجج واهية، وتغاضينا عن أهلها، وتركناهم فريسة لبطش كيان سرطاني بكل المقاييس، وليس فقط اِحتلال أراضيها. فنحن في الأصل من نريد من غزة في واقع الأمر والحال أنْ تعلمنا البسالة، والشجاعة، والصبر على خذلان هذه الأمة التي اِستقالت من الحياة كلية من طنجة-جاكرتا.

ماذا نريد من غزة سوى أنْ تسامحنا على خذلاننا، وعلى هروبنا من الزحف نحو ساحات الوغى لصد العدوان الغاشم الذي يمارسه السرطان الصهيوني بكل وقاحة قلَّ نظيرها. نريد من أهل غزة أنْ يتجاوزوا عن تقاعسنا المخجل، وأنْ ينظروا إلينا كشذّاذ آفاق لا نملك شجاعة أمة قال فيها القرآن الكريم إنها خير أمة أخرجت للناس.

ماذا نريد من غزَّةَ سوى التغاضي عن جبننا، والتغاضي عنِ اِبتعادنا عن مصيرها الذي هو مصيرنا الحتمي؛ لأنه لا توجد أمة عربية على وجه الأرض بمنأى عن تدمير الكيان الصهيوني. وقد حدث بحجة واهية بدولة قطر التي ضربت بصواريخ بعيدة المدى مِنْ قِبَل الكيان الصهيوني مستهدفة قادة حركة حماس.

شهور كثيرة وشعب غزة يباد ولا أحد اِستطاع من أمة العرب والمسلمين أنْ يقول كلمته الفصل فيما يجري، لا أحد أخذته الحميّة، والنخوة، والعروبة، والإسلام، والإنسانية أنْ يقول للكيان الصهيوني توقّف عما تقوم به. أ لهذا الحد وهنت الأمة العربية الإسلامية، وأصابها الموت من كل المناحي!

خلال أسبوعٍ واحدٍ فقط قامت حكومة نتنياهو بأربع خطوات اِستفزازية: الهجوم على دولة قطر، والحرب على غزة لتهجير سكانها، وفتح ممر جديد إلى المسجد الأقصى، وبدء المشروع الاِستيطاني الكبير لفصل القدس عن الضفة الغربية. والأمر الخامس قبل ذلك وبعده التصميم على تصديع وحدة مجلس التعاون الخليجي لزعزعة قوته، وإيقاف حركته الفاعلة على المستوى العالمي من أجل حلٍ عادلٍ للقضية الفلسطينية. ولكن رغم كل هذه الخطط ما غيَّر شيئًا في الأساسيات ولا في الأَولويات. فالمجلس في ذروة وحدته وتضامنه، والعدوان بذلك ما حقَّق أهدافه، فالعالم الدولي اِزداد إصراره على وقف الحرب، وتسارعت خطوات أكثرية أعضائه للاِعتراف بالدولة الفلسطينية. كما أنّ الدّوليين السياسيين والإنسانيين اِزدادوا إصرارًا على الوقوف وراء مطالب دول مجلس التعاون الخليجي والعرب والمسلمين التي صارت

سياساتها هي سياسات دول مجلس التعاون والدول العربية والإسلامية نفسه. لكن، هل من خلال كل هذا نستطيع أنْ نقول إن غزة إِستفادت من شيء ينهي البؤس الذي يحوم فوق رؤوس سكانها، فبعد كل ما يطالب به المجتمع السياسي العربي سوى كلمات هلامية، لا تحمل الحلّ للفلسطينيين من أجل وقف على الأقل التقتيل الممنهج. كل ما يقال سوى مقالات تحليلية لا ترقى أنْ تكون رادعا على الأقل لتحييد الكيان الصهيوني من معادلة الإهتمام بالقتل والتشريد لأهل غزَّةَ.

ماذا نريد من غزة سوى أنْ تعلّمنا كيف ندافع عنها، وهل فعلا غزة اليوم تحتاج مساعداتنا، وهي تزفّ للعالم كل يوم الشهداء بالعشرات. غزة الميدان تدرك حقيقة الكيان الصهيوني المسرطن، وتدرك خلفياته، وهي من تستطيع أنْ تعلّمنا كيف نجابه المستقبل المظلم الذي قد ينتظرنا بعدها. يقول محسن محمد صالح، مدير عام مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: "أثبتت غزة إمكانية إسقاط النظرية الأمنية التي قام على أساسها الكيان الإسرائيلي على مدى 75 عامًا. وتوافق قادة الكيان على أنّ المعركة التي يخوضونها هي معركة وجودية، بل عدَّها نتنياهو معركة الإِستقلال الثانية، فخاضوا معركة وحشية دموية بتحالف وغطاء عالمي ليستردوا صورة الردع التي فقدوها، وليستعيدوا صورة شرطي المنطقة، والعصا الغليظة للإمبريالية الغربية؛ فكانت النتيجة أنّ غزة أقامت الشهادة على الطبيعة الحقيقية البشعة للاِحتلال، التي حاول إخفاءها عشرات السنوات، وفضحته في كل مكان في العالم، وأسقطت سرديته التي كان يتغنى بها في حق الدفاع عن النفس، وواحة الديموقراطية، وبكائية الهولوكوست، واِبتزازية العداء للسامية؛ وحولته إلى كيان منبوذ عالمياً، وجرَّته إلى محكمة العدل الدولية ومحكمة الجنايات الدولية، وقطعت شوطًا كبيرًا في قطع حبل الناس عنه".

غزَّةُ العزة والشهامة والشهادة، لا تحتاج إلى ما يقال عن الكيان الصهيوني المسرطن، وخلفياته، وتاريخه فكل ذلك معلوم لديها، وتعيشه لحظة بلحظة، ما تحتاجه غزة على الأقل الهبّة العربية المسلمة حتى تسترجع أنفاسها في هذه المعركة القذرة. غزة تقول لنا لست بحاجة لشيء سوى الدعم المعنوي، والتآزر الذي فرضه الدين الإسلامي.

ونحن نعلم كما يعلم القاصي والداني الخلفية الإِستعمارية للكيان الصهيوني المسرطن، ويعلم العالم المغزى من هذا التقتيل الممنهج. وقد أكون مبالغا إذا قلت

إني معجب بما كتبه مقداد نديم عنونه بمراجعة العقل الكوني لذاته، وهذا توصيف لشخصنة الكيان الصهيوني المسرطن، وتبعات هذه الإبادة الممنهجة. يقول مقداد نديم: "في هذا السياق التاريخي الذي تحكّم فيه الاستعمار البريطاني–الأمريكي–الصهيوني بفلسطين، كانت رحلة المعاناة الشاقّة الفظيعة التي اِمتدت على مدى خمسة وسبعين عامًا، مارست فيها منذ البدايات العصابات الصهيونية مثل هاغاناه، وشتيرن، وبيتار، وأرغون، وبلماخ، واللواء اليهودي، وغيرها، أفظع المجازر بحق السكان الفلسطينيين الأبرياء، واِستمر التنكيل والتهجير، والإذلال والاِستيطان تحت حماية "الأمركة"، حتى تراكمت كل المعطيات التي أفضت إلى شروط الموقف الفلسطيني المختلف نوعيًا، هذه المرة؛ فجاءت معركة "طوفان الأقصى" التي شنتها جميع فصائل المقاومة الفلسطينية، وفي طليعتها حركة حماس، في غزَّةَ في السابع من تشرين الأول/أكتوبر ضد الإحتلال الإسرائيلي، بعد هذا التاريخ الطويل مِنَ الإحتلال الإسرائيلي المرير لفلسطين، وتمرُّده على القانون الدولي، واِحتقاره قرارات مجلس الأمن بالخصوص، ورفض –ومنع– قيام الدولة الفلسطينية، حتى وفق قرار مجلس الأمن الرقم 181، وبعد كل المجازر الفظيعة التي اِرتكبها الإحتلال الإسرائيلي بحق هذا الشعب، وعمليات التنكيل والاِحتقار والدونية المهينة القائمة على الفصل العنصري، جاءت لتعلن على نحو صارخ وحاسم مقاومة الإحتلال الصهيوني حتى التحرر من ربقته".

فماذا نريد من غزة بعد هذا التاريخ المشرّف من الحرب والجهاد، وماذا نريد من شعبها العظيم الذي قدّم كل هذه السنوات من الصبر والجَلَد، بكل تأكيد نريد منهم أنْ يعلّموننا كل ما تعلّموه من حياتهم وهم يجاهدون، وينافحون عن العرض والأرض. الكيان الصهيوني المسرطن هذه المرة، عازم كل العزم على محو عاره من سنوات طويلة، وعازم على اللّاعودة للمربع الأول، ولو حتى تستعيد أنفاسها لتعاود بناء نفسها من جديد. فهو عازم كل العزم على محو غزة وشعبها من الوجود. قد يقول قائل إنّ غزة الآن من الصعب أنْ تعود كما كانت من قبل، ولكن تأكيد -دائما- أنّ غزة تحمل من القوة التي تستطيع أنْ تعود مرة أخرى للمشهد تبني نفسها من جديد، وتعيد بناء ما حطمه الكيان الصهيوني المسرطن. إنَّ غزة تمرض وتجتهد، لكن لن تموت. فعذرا لك يا غزةُ فليس لدينا ما نقدّمه لك سوى أنْ نرجوَ منك أنْ تعلّمنا من بسالتك وشجاعتك دروسا نتقوّى بها في هذا الحياة.

أحزان فلسطين

عبد الحليم جراري - الجزائر

فلسطين الامل

فلسطين رغم الأسى

ورغم الدموع

تدقين باب الكفاح

وتبتسمين أمام الضياع

لك الحرف والشعر والكلمات

نهارك حزن ولكن نبضك خالد

دموعك تسحق كل جبان

حنين لأرض النضال

وأرض الفلاح

بحارك من عبق النصر

أغنية الموت ذابت أمام

الجهاد وطاف الخلود هنا

حول بابك قدس عنيدة

وجسر بعيد بكف القصيدة

وسيدة الدهر أنت السنابل

ونصر الملاحم في كلّ درب

فلسطين عزتنا في جميع

البقاع

وسطر جديد وأرض جديدة

أحزان النهر

فلسطين تسكن قلبي وفكري وحلم الطفولة،

فلسطين تاج العروبة

ومهد النبوءة والثورات

أقولك شعرا وماذا تفيد القصائد

دروبك نهر عتيق المعابد

وسر الخلود الأبيّ

على صفحات الضمير

تثورين ضد العنيد الشريد

وكل حصون البلاد قلوع

وهذا النّداء البهيّ

ينادي رعود الشتاء

فتمطر نصرا وعزا وفخرًا

أشدّ الصفوف أمامك

أطوف بأرض لها كبرياء

الوجود

وفي كلِّ طفل حجارة مجد

تحط الغريب المهان

وزيتونة النهر تكتب كلّ زمان

فلسطين عشق المداد وحلقة دهر يصوغ الفرح

فلا شيء يولد في عمرها

مرتين.

سوى صرخة النهر ضد الجماد

صرخة القدس

يصرخ الطفل على وجه الغياب

ماتت الأم وغطاها التراب

سكنت تحت الثرى

ودموع وشموع وحصون

في المدى تحت هاتيك القباب

نظرت في طفلها والحزن شمس لا تغيب

رحلة النصر طويلة

أنت طفلي نبع أفراح الغصون

كانت الأرض زهورا وأريجًا

صارت الأرض هباءً وجمادًا

تحمل الفجر إلى دنيا الشهيد

إنّها تمسح جرحا أبديّا

ولهيبا ليس من شكل العبيد

يا فلسطين الحبيبة أنت عنوان البقاء

رغم طغيان الدخيل رغم

أحزان الطريق

كلنا نفديك يا أرض الجهاد كلنا خلف مداك

عائدين

سيدة النصر

فلسطين سيدة النصر والبحر والإِنتماء

لها دفتر قدسي ونور ونار

ملاحم يصنعها الثائرون

جيوش تثور على الغاصبين

وتمسح دمع التراب الدفين

فلسطين أسطورة الوحي والكلمات

تعود الخيول على وشوشات الصغار

وتركض صبحَ مساءَ

وترمي الحجارة فوق جبين الظلام

فلسطين سيدة الصبر

كيف يموت الجهاد

وحول التلال يثور العباد

هنا موطني أرض جَدِّي العنيد

فلسطين أقرأ عنها الحنين

وأذكرها كلَّ يوم أمام الحضور

شارع الجهاد

أثور بكلِّ خيولي وكل سيوفي

وكل قريب من الكبرياء

أظل أسطّر ذكراك يا قدس

في ذكريات الحروف وكف السماء

فلسطين صانعة العنفوان وسيدة المدِّ والجَزْرِ عبر العصور

خيول الحروب تخوض

النّزال وتفضح سرّ الدّخيل

سيبكي اليهود دما وجراحًا

وترحل بالطفل نحو الدّيار

هناك بريد المساء إليك فراشة شعري وأمّي

سلاما على قبر أمِّي

وقبر أبي وسرج يصدّ الحصار

أتيت إليك وعندك كلُّ الحنين

وكل بقاء وصورة قلبي البريء.

أطفال القدس

حدّثيني عن أريحا
وعن القدس الجريح
وعن الجدران تبكي
في الميادين الفسيحة
حدثيني عن صراخ الطفل والجرح يطوف
وبكاء الشاردين بين أصداء السيوف
ليس نصرا أو نشيدا للطّفولة
ليس تمثالا بكف الطفل
يجتاح الطيوف
إنّها الحرب تشدّ البأس
والفجر بعيد كالبطولة
والحصار المر ضوء يترامى في النهار
في كهوف الصبر وتفاصيل الغبار
كيف صرنا ولماذا نسحف
الزهر الجريح

ونساوم ضدّ أرض الشهداء

حدّثيني عن شمال لا ينام وجنوب يستريح

كيف حالك؟ إنني أسأل عنكم في الخراب

والقنابل دمرت بيتي

وظهري والمعابد

إنني أبحث عن بعض الرغيف في الظهيرة

إنني أصغي لصوت من بعيد

يحمل الخبز إلى كف الصديق

رحم الله عصورا في التراب

لم تزل تجري كما يجري

الطّريق.

واحِدٌ مِنْ جَيشِ الدّاعِمينَ

عبد الكريم تمزي - الجزائر

بكلِّ رجولة، أريد أنْ أستمتع بالبطولة، وأريد أنْ أشاهد لاعبي المفضَّل وهو يراوغ الخصوم، أريد أنْ أراه يرسل قذيفة مِنْ رجله القوية يمزق شباك الحارس، وأريد أنْ يكون فريقي الّذي أشجّعه مِنْ كل قلبي فائزا دائمًا باِتّباع الخطة المحكمة والتكتيك الميداني الذي يضعها مدربهم الداهية، ويطبّق تعليمات قائدهم الفذ، وأنا أهتف في المدرجات المغطّاة الله أكبر فريقي فاز..... آه يا للنشوة والنخوة، إنّه إحساس رائع.

وأنا أتجول في شوارع هاتفي، رأيت منظرا رقَّ له قلبي وسبقتني دموعي؛ المؤثرة التي أتبعها ومتيم بحبها علنا، تبكي من شدة فرحها بالهدية التي قدّمها لها صديقها

الملياردير(العربي) ووعدها بالزواج، في جوٍّ رومنسي تتساقط على رؤوسهم قذائف الورد من مدفع مركون في زاوية منَ الحديقة السّاحرة، مدفع من صنع أمريكي مخصص لهذه الحفلات واللحظات الراقية.

بعدها، اِنتقلت في الإبحار داخل هاتفي الذكي وأنتقل من تطبيق لآخر اِستوقفني منشور يعرض فيه أنَّ جارنا السمين والسمين جدا يشارك هذه الأيام في مسابقة عربية لأفضل طبق وأشهاه، وللمسابقة شروط من بينها، أنْ يكون الطبق دسما جدًّا ومملوءًا بالبهارات ومميزًا بطريقة تجعل مَنْ يراه يسيل لعابه دون وعي.

تحمست جدًّا، فهذا جاري وعيب لو لم أسانده وهو بمنزلة أخي، هو في الحقيقة عمته أرضعت اِبنة خالتي فاختلط اللّبن بيننا فصرنا واحدًا.

فبدأت بالبحث له عن داعمين ومساندين في مختلف المواقع: الموقع الأزرق، والأحمر، والأخضر، وحتى في الصحافة الصفراء... عيب ألَّا أساند بنِيْ جلدتي. وبينما أنا في قمة الحماس من تعليق إلى "البوست" الجديد، وإلى "الريلز" القديم، وإلى التكبيس، وإلى الإعجاب، وإلى المشاركة... صادفني تعليق في أحد المنشورات، يقول كاتبه أنا أخوكم نضال من غزَّةَ من مدة ونحن تحت القصف؛ لأنّنا تشبثنا بأرضنا وهويتنا ولم نشأ التَّخلِّيْ عنهما ولا المساومة عليهما، وها نحن ندفع الثمن. نحن محاصرون في الخيام ومن حولنا ركام منازلنا المهدمة. نحن جائِعونَ ونموت في اليوم أكثر من أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ ساعةً، نموت بالقذائف، ونموت بالرعب، ونموت من الجوع، ونموت بالموت نفسه؛ يا إخوتنا، ويا أبناء عمومتنا، ويا أبناء جلدتنا... أغيثونا بكلِّ ما اِستطعتم، حتّى بالدّعاء وذلك أضعف الإيمان؛ فنحن مظلومون.

دمعت عيني ورقَّ قلبي، فقررت أنْ أسهرَ إلى الفجر كالعادة. وأنا أقلِّب في هاتفي الذَّكيِّ، وحين يحين موعد الصلاة، أدعو لهم حتى ولو كنت أتثاءَب، هذا وعد... ووعد الحرِّ، دَيْن عليَّ.

أكملت مساري وأتممت مَهمَّتي، واِستطعت أنْ أجمعَ لجاري السَّمين والسَّمين جدًّا جيشًا جرَّارًا مِنَ الدّاعمين لكيْ يفوزَ بالجائزة الكبرى. فهو يستحقُّها؛ لأنَّ الباقةَ شهيَّةٌ تُسيل اللُّعابَ.

سمعت الأذان الأوَّل وعزمت أنْ أنتظرَ الأذان الثاني لكيْ أدعوَ لصديقي الجديد نضال بالخير والبركة حتَّى ولو كنت أتثاءَب؛ لكنْ مَعَ الأسف تبوَّل الشَّيطان في أذني ونمت.

وحين صحوت صباحا على الثانية زوالا، تذكَّرت صديقي الجديد نضال فدعوتُ له مِنْ فراشي، وأجبته في التَّعليق نفسِهِ الَّذي وضعه؛ تمَّ يا صديقي وزدت عليها؛ صديقي الجديد نضال، ما دمتم مظلومين وأنت واحد منهم فدعاؤك مستجاب جدا، فليس بين دعائك والإستجابة حجاب. فمن فضلك، أُدعو لفريقي أنْ يفوز بالبطولة، ومؤثِّرتي الحلوة بأن تتزوَّجَ من ذلك الملياردير (العربي)، ولو على حساب غيرتي؛ لأنَّني أحبّها جدًّا، وأرجوك أنْ تدعوَ لجاري السَّمين والسَّمين جدًّا بالفوز في مسابقة الأكل الشَّهيّ؛ وإنِ اِستطعتَ كُنْ واحدا مِنْ جيش الدَّاعمين. أشكرك صديقي الجديد نضال على مرورك الطيب. صديقك الجديد العزيز أنا.

اِستيقظي

عبد صبري أبو ربيع - العراق

اِستيقظي يا أمة الإسلام والعربِ

فالعدو شاهرُ المخلبِ

يقتل كيفما يشاء وكما رغبِ

دولًا عربية مسلمة المذهبِ

اِستيقظي فالموت شديد المضربِ

اِتّفقوا سرًا لتدمير شرقنا العربِ

اِتّحدوا قبل الأوان من كلِّ لونٍ ومذهبِ

ولا تفرّقوا ويأكلكم الأعداء والأجنبيّ

هم يأكلون الخيرات ويقتلون أعزة القلبِ

نساءٌ وأطفالًا ورُضَّعًا وشيوخًا تحرق باللهبِ

لهم الطائرات وعندنا الرجال كالصلبِ

جبناء غدّارون قساة القلبِ

السّلام على شهدائنا وعلى أراضينا والقببِ

أ هو الفرج آتٍ أم نبقى والظلام كالسحبِ

هَوامِشُ...

عبير محمد عيزوقي - سوريا

هوامشُ، أكتبها على أوراق قد لا يقرأها إلَّا القليل.

فلسطينُ، يا جرحا في القلب، جرحًا لم يقوَ أحدٌ على علاجه. نزفت الكثير ولم يروِ دمُ شهدائك جَشَعَ الظالمين.

لم يتحرك ضميرهم الميت حينما سمعوا أصوات أطفالك الجياع.

بئسا لهذا الزمن، نقف فيه مع الظالم ضدَّ المظلوم.

أ لم تكفوا عن حرق البشر؟

أ لم تسأم أيديكم شرب دمائهم البريئة؟

أياديهم الآثمة، دنّست حرمة الأرض والهواء وحتّى إنّهم سلبوا البشر حق تقرير مصيرهم وكأنَّهم هم مالكو الأرض والأرزاق...

لا يعلمون أنَّ الله يمهل ولا يهمل، وأنَّ ما بعد شدّة الكرب، فرج كبير...

مِنْ قلب كلِّ إنسان مسلمٍ كان أم غير مسلمٍ

لعنكم ربُّ العباد أيُّها المجرمون. كيف تنامون وبطونكمُ السَّمينةُ مَلْآى بطعام أطفال غزَّةَ؟

كيف تشربون وتبذرون... وأطفال غزَّةَ جياع يحتضرون؟

كيف نعِمْتُمْ بالنوم ليلا؟ أ لم تخافوا أنْ تُقبض أرواحكم وأنتم آثمون بحق أطفال ليس لهم في الدنيا إلَّا أنتم بعد ربِّ العالمين؟

أ لم تروا في أعيُنهم أطفالَكم؟

هل ميز الكيان الصهيونيّ بين فلسطينيّ وأيّ عربيّ آخرَ؟

أنتم تعلمون كلّكم، أنَّ اليهود لم يبقوا على أحد حتّى أبسط الكائنات وحتّى الأطفال الرّضّع لم يسلموا... قتلوا وأبادوا.

الأسلحة المحرَّمة، سُمِّيَّت محرمَّةً كيلا تُستخدمَ.

لكن إسرائيل، اِستخدمتها عشرات المرَّات ولم يلتفت أحد.

قتْل الأطفال، جريمة شنيعة.

إسرائيل لم تُحاسَبْ عليها.

لِمَ؟ لِمَ أيُّها البشر؟ أ ليسوا إخوتكم؟ أ ليسوا مِنْ دمكم؟

لو أنَّ اليهود قرروا اِحتلال أرضكم عوضا عن فلسطين، أين كنتم الآن؟

أ لن تقولوا: "أنقذوا أطفالنا... أنقذوا أرضنا...".

للفلسطينيين، حقٌّ باقٍ إلى الأبد...

"إنَّ مع العسر يسرا، إنَّ مع العسر يسرا".

وإنْ بقيتِ الحربُ دهورا... ستنتصر القضيَّةُ الفلسطينيةُ، وستنتهي هذه الحربُ اللَّعينةُ الَّتي أراقت دماء طاهرةً وبريئةً على أرض مقدَّسةٍ.

ستكسر أرجل الصّهاينة المجرمين، وتُعلَّق رؤوسهم على أبوابك يا فلسطين.

صبرت دهرا، وإنَّ الله تعالى مع الصّابرين.

ندعو الله دائما وأبدا...

اللَّهُمَّ، يا أرحمَ الرَّاحمين، اِحْمِ أطفال فلسطينَ وثبِّت أقدامَ رجالِها الطّاهرين.

حصِّنْ أرواحهم، واِرْمِ أعداءَهم بحجارةٍ مِنْ سِجِّيلٍ.

اللَّهُمَّ، آمين يا ربَّ العالَمين.

إنْ لم تستطعْ تقديم شيءٍ، يمكنك الدُّعاءُ، فدعاءُ المؤمن مستجابٌ.

عاشت فلسطين حرَّةً عربيَّةً.

والأقصى، أولى القبلتيْن وثالث الحرميْن.

{وَلَا تحْسِبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ}

اللَّهُمَّ، قد ضاقتِ القلوب حُزنًا على أهلنا في غزَّةَ.

اللَّهُمَّ، إنَّا لا نملك إلَّا الدُّعاءَ لهم.

فيا ربِّ، لا تردَّ لنا دعاءً، ولا تخيِّبْ لنا رجاءً.

اللَّهُمَّ، أُنصرْ ضعفهم فليس لهم سواك...

اللَّهُمَّ، أُنصرْ إخواننا في فلسطينَ.

اللَّهُمَّ، ثبِّتْ قلوبهم واِرفعِ الظلم عنهم وأرنا عجائب قدرتك في اليهودِ الصّهاينة.

أرض العِزَّة

عصام الدين رهواني - الجزائر

في قلب الشرق تنبض أرضٌ لم تخضع، ولم تنحنِ لريحٍ ولا لحديدٍ ولا لنار.

هي فلسطين... الأرض التي عرفت كيف تُقاوم، وكيف تُعيد تعريف الصبر حين ظنّ الناس أن الصبر قد انتهى.

تُروى حكايتها بمدادٍ من دموع الأمهات، وتُكتب سطورها على جبين التاريخ بحروفٍ من نورٍ ونداء.

في فلسطين، لا شيء يشبه الأشياء؛ فالشمس هناك تُشرق على الوجع وتغيب على الرجاء، والريح تمرّ على الزيتون فتتعلم منه الثبات.

هناك، يتنفس الأطفال المعنى قبل أن يتعلموا الأبجدية، ويكبرون على وعدٍ لا يغيب: أن الأرض لمن أحبّها حقًّا، لا لمن حمل سلاحًا واغتصبها.

فلسطين ليست مجرد اسمٍ في الجغرافيا، إنها ذاكرةُ الإنسانية حين تكون الكرامة أغلى من الحياة، وحين يكون الحقُّ أقوى من الخوف.

من يطأ ترابها يشعر أن في الحصى نبضًا، وفي الجدار روحًا، وفي الصمت صرخةً لا تموت.

تلك هي أرض العزة... التي علّمتنا أن الشرف لا يُشترى، وأن الحرية لا تُمنح، بل تُنتزع انتزاعًا من بين أنياب الظلم.

يا أرض الزيتون، كم مرةٍ ظنّ العالم أنك ستهزمين؟

وكم مرةٍ كنتِ تنهضين من بين الرماد مثل طائرٍ من نور، تنفضين غبارك وتواصلين السير؟

لقد تعب التاريخ من عدّ جراحك، لكنه ما تعب من الدهشة بكِ.

فكل حجرٍ فيكِ يحمل سرًّا، وكل زهرةٍ تنبت على حواف الجدار تحمل رسالة:

أنّ الضعف لا يسكن القلوب المؤمنة، وأنّ الأمل يولد حتى في العتمة.

في فلسطين، يكون الغياب حضورًا، والشهادة حياةً، والموت طريقًا إلى الخلود.

أولئك الذين رحلوا على أمل العودة لم يرحلوا في الحقيقة؛

إنهم يسكنون في الأغاني، في أسماء الشوارع، في وجوه الأطفال، وفي كل قبلةٍ تُزرع على جبين القدس.

القدس... ليست مدينةً فحسب، إنها وعدُ الله على الأرض، ومحراب السماء المفتوح، وبوابةُ الوجدان العربي إلى معنى العزة.

كل مئذنةٍ فيها تصرخ: لا تنسوني.

وكل حجارةٍ فيها تُخبرك أن الظلم عابرٌ مهما طال، وأن النور قادمٌ مهما حجبتْه الغيوم.

حين تتحدث عن فلسطين، فأنت لا تتحدث عن حربٍ أو نزاعٍ أو حدودٍ؛

بل تتحدث عن اختبارٍ أخلاقيٍّ للإنسانية جمعاء.

هل ما زال في العالم ضميرٌ يستيقظ؟

هل بقي فينا قلبٌ يخفق حين يرى طفلًا يُحاصر بالحقد؟

إن فلسطين ليست امتحانًا في السياسة، بل امتحانٌ في الإيمان بالإنسان.

وكل من مرّ على قضيتها صامتًا، إنما صمت عن نفسه قبل أن يصمت عنها.

تُعلّمنا فلسطين أن المقاومة ليست فقط بندقية، بل فكرة، ودمعة، وكلمة.

أنها نَفَسُ أمٍّ تُخبئ خوفها خلف ابتسامة ابنها،

وأنها طالبٌ يحمل كتابه في يدٍ وحلمه في اليد الأخرى،

وأنها شاعرٌ يكتب من منفاه بيتًا من شعرٍ فيه أكثر صدقًا من ألف خطاب.

تُعلّمنا أن الحرية تبدأ من الداخل، من إيمانٍ بأن الحق لا يُهزم مهما تكسّرت أمامه الجدران.

وفي كل مرةٍ يُهدم فيها بيت، يُبنى في القلوب وطنٌ جديد،

وفي كل مرةٍ يُغتال فيها شهيد، تُزرع في الأرض ألف روحٍ جديدة تُكمل الطريق.

أرض العزة... ليست قصة حزنٍ فقط، بل قصة رجاءٍ ممتد.

هي الحلم الذي لم يذبل رغم الحصار، والأغنية التي لم تسكت رغم ركام الأصوات.

فيها يتشابك الحزن بالكرامة، والدمع بالأمل، والجرح بالنور.

هي الأرض التي كلما حاولوا محوها، ازدادت وضوحًا،

وكلما أرادوا إسكاتها، غنّت باسمها الجبال والأنهار.

إننا حين نكتب عن فلسطين، فإننا نكتب عن أنفسنا دون أن ندري.

نكتب عن ما تبقّى فينا من كرامة، ومن إيمانٍ بأن الإنسان خُلق حرًّا.

نكتب عن أمٍّ تنتظر ابنها منذ عشرين عامًا ولا تزال تضع له مقعدًا فارغًا في العشاء،

عن جدٍّ يروي لأحفاده حكاية البيت الذي هُدم لكنه لا يزال قائمًا في ذاكرته.

نكتب عن وجعٍ صار عنوانًا للكرامة، وعن جرحٍ صار رايةً للعالم كلّه.

قد تُحاصر الأرض، لكنّ المعنى لا يُحاصر.

قد يُغلقون المعابر، لكنّ الطريق إلى الله لا يُغلق.

قد يسكت العالم، لكنّ التاريخ لا يسكت،

ولن يسكت النبض الذي يسكن في صدور المؤمنين بأن الفجر قادمٌ لا محالة.

إن فلسطين ليست بعيدة؛ هي في كل قلبٍ لا يزال ينبض بالعروبة،

في كل ضميرٍ لم يبع صوته، في كل يدٍ تمتد بالدعاء، في كل قلمٍ يكتب، في كل شاعرٍ ينزف حبرًا بدل الدموع.

أرض العزة، أنت الذاكرة والوصية، أنت القصيدة التي لا تموت.

يا زهرة المدائن، يا جرح الأنبياء، يا وعد السماء للأرض،

سلامٌ عليكِ ما بقي الزيتون أخضر، وما ظلّ في الأفق أذان.

سلامٌ عليكِ في وجعك، وفي صمودك، وفي ميلادك المتكرر من تحت الركام.

وسيبقى اسمك، يا فلسطين، منقوشًا في القلوب كما يُنقش الإيمان في الروح:

لا يُمحى، ولا يُنسى، ولا يُباع.

آهة مُسعف

علي سكوم- الجزائر

هبتْ أعاصيرُ الخريفِ مُؤذنةً

بشتاءٍ يهُز أشجاراً قد عافها الأمدُ

في السابعِ من تشرينَ حان موعدهمُ

فكانوا كالضراغمِ يقودهم الأسدُ

اِجتازوا الحواجِز بريح سُليمان تحملهمُ

وبالعصا ضربوا مَنْ عصيموسى فاِرتعدُ

وجاءنا الضيف فمرحى بضيفِ عزتنا

هَزَّ الجَزِيرَةَ وكُل العالم الرُقدُ

فأخبرَ أنْ آنَ أوانُ صاعِقةٍ

حلتْ على الخنازيرِ والقِردُ

فطفى طوفانُ الحقِ مُغرقهمُ

فجِبالُ العِهنِ غطاها زبدُ

فتوشح بالسوادِ سادتهمُ

ودخلوا ظُلمةَ التاريخ كما عهِدُ

وجلب أبطالُنا سبياً مُحتشداً

مِمَّن بالسلامة والحرية قد سعدُ

ورموهم برجومٍ حارِقةٍ فكانوا

عذاباً عليهم كما وعدُ

ومِنْ أقطارِها كُل الظُلَّامِ قد اِجتمعوا

جاءوا بحقدٍ يقودُهم جردُ

أتتْ أمريكا لإرهابِ غزتِنا

والبحرُ مليءٌ بالقِّد والقُددُ

ورئيسُها الذي لا رأس لهُ

مُتّكئٌ على تميمٍ وقبلَهُ حمدُ

وأهلُ غزةَ كالأيتامِ لا أب لهمُ

ولا حليفاً ولو اِمتدتْ حربهم أمدُ

والأعرابُ كالأغرابِ لا عِلمَ لهمُ

يهابونَ قطًّا ظنًّا أنهُ الأسدُ

خوفاً فما اِستطاعوا جمعَ جماعتِهم

فكيف تجمعُ مَن مِن أزيز النحل يرتعدُ

فكيف بأزيزِ الطائراتِ فوقهمُ؟

لا يستطيعونهُ إلَّا أهلُ غزةَ لمَّا صمدُ

وأدخل الغُزاةُ آلياتهمُ فكانوا

كآل فِرعونَ في اليم قد جُمدُ

وخرج لهمُ من رحِمِ الأرض تحمِلهمُ

فأنسوهم ببأس اليوم الذي فيه قد وُلِدُ

فلم يجدوا إلَّا الشفاء ملجأهم ومَن يدخلُ الشفاء إلَّا الشفاء الذي أصابهُ الرمدُ

وأظهرَ الأطهارُ طُهر قضيتهم فحتّى

الخُدَّجُ رأيتُهُم صبراً وكلُهم جلدُ

يرقبون يوم بلوغِهم سن التكليفِ

ففرضُ الجِهاد لم يجد له سندُ

وأبو عُبيدة هدَّ بالصدقِ حصونهمُ

وأحيى قُلوباً أماتها الجوعُ والفقدُ

ابن الجراحِ داوى جِراح أُمتهِ

بحديثِ العزِ الثابتِ الوتدُ

فخذوها مِني بشائر رغدٍ

هذا ميعادُ فتحٍ بيضها جددُ

صحائف سلامِكم بان مقصِدُها

كما بان في عين الراقِصاتِ الثمدُ

ومجلسُ الخوفِ الذي تُشركونِ

به كطالب اللّات أصابه الكمدُ

متى كان الأمنُ من عدوكمُ

تلمسوا حبل التاريخِ كم به عُقدُ

تمخضَ جمعكمُ فبان تخاذُلكمُ

أ مِن ضُعفِ إيمانٍ أم خانكم العددُ

وها قد بانَ الإحراجُ في الإفراجِ عن سبيهِمُ

ثلاثُة أشبالٍ يُحررُ القردُ

وبعضُ عُلمائكُم بالخوف ِكحخاماتهم

اِستبدلوا حبل الله بحبلٍ كله مسدُ

وقايضوا الحق بباطِلهم

فبئس الرافدونو بئس ما رفدُ

لا تهزُز نفوس الجامدينَ فلا

ولن تصنعَ من الخيزُرانِ عمدُ

رأيتُ أبوابَ السماءِ قد فُتحتْ

لمَّا جحافِلُ الشُهداء قد صعَدُ

فيا خيرَ مَن هُدَّ بيتهمُ في

سبيل اللهِ حُزنكم سَعدُ

فجناتُ الله مُشْرعةٌ لكم

فنِعمَ الواجدونَ ونِعمَ ما وَجدُ

لقد تقطعتْ أوصالُنا مِن موتِكمُ

فأنتم القلبُ والكبدُ

أهلُ غَزتنا لا بل أهلُ عزتنا

نستبدلُ الغين عينًا إن لم يأتها الرمدُ

فلن يهدأ للجزائريين بالٌ حتّى

إذا الأنجاسُ من فِلسطينَ قد طُرِدُ

ويكونُ يومَ أفراحِ أُمتنا

إذ قِيل ها هم قد اِبتعدُ

فسيري بنا في ليلٍ كلُه ظُلُمُ

عسى فجرًا يأتي به الواحدُ الأحدُ

قالوا متى؟ يا مُحدثنا

قُلْتُ قريبًا كما قالها الصمدُ

صَرْخَةٌ مِنْ تَحْتِ الرُّكَامِ

أ.د. عليّ كشرود- الجزائر

أَ هَذَا زَمَنُ المَوْتِ بِلَا وَجَعٍ؟ أَ هَذَا زَمَنُ الطِّفْلِ يُذْبَحُ وَلَا يَهْتَزُّ جَفْنٌ فِيْ المَدَى؟
غَزَّةُ... لَيْسَتْ قَصِيدَةً نَرْثِيْ بِهَا الضَّحَايَا، وَلَا نَشْرَةً نُتَابِعُهَا عَلَى عَجَلٍ، وَلَا "ترِنْدًا" يَنْطَفِئُ بَعْدَ الغَضَبِ البَاهِتِ.
غَزَّةُ... قَلْبُ أُمٍّ فَقَدَتْ أَسْمَاءَ أَوْلَادِهَا؛ لأَنَّهُمْ صَارُوا أَرْقَامًا تَحْتَ الأَنْقَاضِ... وَصَرْخَةُ رَضِيعٍ، اِنْكَمَشَ فِيْ حِضْنِ أُخْتِهِ، فَمَاتَا مَعًا.
غَزَّةُ... مِرْآةُ خِذْلَانِكُمْ جَمِيعًا... أَنْظِمَةٌ، تُفَاوِضُ عَلَى شَاشَاتِ الغَرْبِ بَيْنَمَا تُذْبَحُ الحَقِيقَةُ فِيْ الظِّلِّ. وَأَمَّا أَنْتُمْ، يَا مَنْ سَكَتُّمْ... هَلْ بَقِيَ فِيْ وِجْدَانِكُمْ حَيَاءٌ؟ أَ لَمْ تَطْرُقْ

مَسَامِعَكُمْ صَرْخَاتُ الأُمَّهَاتِ؟ أَ لَمْ تُعَطِّرْ مَضَاجِعَكُمْ رَائِحَةُ اللَّحْمِ المُحْتَرِقِ؟ أَ لَمْ تَسْأَلْكُمْ قُبُورُ الأَطْفَالِ: "بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْنَا...؟".

غَزَّةُ... تَحْتَاجُ غَضَبَكُمْ، وَتَحْتَاجُ اِنْتِفَاضَةً تَقُولُ: "كَفَى ذَبْحًا... وَكَفَى خِيَانَةً... وَكَفَى عَارًا...".

فَإِنْ خَذَلْتُمُوهَا اليَوْمَ، فَاِعْلَمُوا أَنَّ التَّارِيخَ لَا يَنْسَى الأَصْوَاتَ الَّتِيْ سَكَتَتْ، وَلَا يَغْفِرُ لِلْقُلُوبِ المُتَحَجِّرَةِ... وَلَوْ رَفَعَتْ أَلْفَ شِعَارٍ...

إِنَّ مَا يَحْدُثُ فِيْ غَزَّةَ الجَرِيحِ، يَتَجَاوَزُ اللُّغَةَ وَيَتَحَدَّى الخَيَالَ... إِنَّهُ اِمْتِحَانٌ صَارِخٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ فِيْ زَمَنٍ كَثُرَتْ فِيهِ الأَقْنِعَةُ وَوَهَنَتْ فِيْهِ القُلُوبُ.

يَا مَنْ أَغْلَقْتُمْ أَعْيُنَكُمْ عَنِ المَجَازِرِ، وَسَدَدْتُمْ آذَانَكُمْ عَنْ أَنِينِ الأَطْفَالِ تَحْتَ الرُّكَامِ... أَيَّ قُلُوبٍ تَمْلِكُونَ؟ أَ هِيَ مِنْ حَجَرٍ أَمْ مِنْ صَدَأٍ لَا يَلِينُ؟

فِيْ غَزَّةَ، لَا يَمُوتُ النَّاسُ فَحَسْبُ، بَلْ تَمُوتُ الحَقِيقَةُ وَتَمُوتُ العَدَالَةُ وَتَمُوتُ المُرُوءَةُ...

فِيْ غَزَّةَ، يُولَدُ الشَّهِيدُ قَبْلَ أَنْ يُعْرَفَ اِسْمُهُ، وَتَغْدُو الأُمُّ مَقْبَرَةً تَمْشِيْ وَتَحْمِلُ أَسْمَاءَ أَطْفَالِهَا فِيْ الأَكْفَانِ بَدَلَ الحَقَائِبِ المَدْرَسِيَّةِ.

أَنْظِمَةٌ، تَتَحَدَّثُ عَنِ السِّيَادَةِ وَلَا تَمْلِكُ قَرَارَ إِغْلَاقِ سِفَارَةٍ، وَتَلُوكُ البَيَانَاتِ مِثْلَمَا يَلُوكُ الجُبَنَاءُ عُذْرَهُمْ، وَتَقِفُ خِنْجَرًا فِيْ خَاصِرَةِ فِلِسْطِينَ، لَا سَنَدًا لَهَا... أَمَّا أَنْتُمْ، يَا أَصْحَابَ الضَّمِيرِ المُتَحَجِّرِ، أَ لَا تَهُزُّكُمْ صَرْخَاتُ الأَطْفَالِ؟ أَ لَا يُوقِظُ فِيكُمُ الغُبَارُ المُتَصَاعِدُ مِنَ البُيُوتِ المُهَدَّمَةِ شَيْئًا مِنْ إِنْسَانِيَّتِكُمْ؟

غَزَّةُ... لَا تَحْتَاجُ شَفَقَتَكُمْ، بَلْ تَحْتَاجُ غَضَبَكُمُ العَادِلَ، وَاِنْتِفَاضَتَكُم الَّتِيْ تُشْبِهُ غَيْرَتَكُمْ عَلَى أَوْطَانِكُمْ، وَتَحْتَاجُ صَوْتًا يَعْلُو فِيْ وَجْهِ القَتَلَةِ، يَقُول: "كَفَى".

فِيْ غَزَّةَ، حَيْثُ السَّمَاءُ سَوْدَاءُ بِالدُّخَانِ، وَالأَرْضُ مُثْقَلَةٌ بِالرُّكَامِ، يُولَدُ الأَطْفَالُ بَيْنَ أَنِينِ الجُوعِ وَصَوْتِ القَذَائِفِ. أَحْيَاءٌ، يُدْفَنُونَ تَحْتَ البُيُوتِ، وَأَجْسَادٌ بِلَا كَفَنٍ، وَأُمَّهَاتٌ يُخَبِّئْنَ الدُّمُوعَ فِيْ حُجُورٍ فَارِغَةٍ مِنْ أَبْنَائِهِنَّ.

إِنَّهَا مَأْسَاةُ شَعْبٍ مُحَاصَرٍ بَيْنَ مَوْتٍ يَتَسَاقَطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَجُوعٍ يَنْهَشُ الأَحْشَاءَ... فِيْ الوَقْتِ الَّذِيْ يَكْتَفِيْ فِيهِ العَالَمُ بِالصَّمْتِ المُطْبَقِ، يَتَفَرَّجُ أَوْ يُنَدِّدُ.

أَيُّ إِنْسَانِيَّةٍ تِلْكَ الَّتِيْ تَدَعُ الأَطْفَالَ يَصْرُخُونَ بِلَا خُبْزٍ، وَالجَرْحَى يُنَادُونَ بِلَا دَوَاءٍ، وَالنِّسَاءُ يَبْحَثْنَ عَنْ بَقَايَا وُجُوهِ أَحِبَّتِهِنَّ؟

غَزَّةُ، لَيْسَتْ جَغْرَافِيًا صَغِيرَةً؛ إِنَّهَا اِخْتِبَارٌ لِقُلُوبِ البَشَرِ، وَمِرْآةٌ فَاضِحَةٌ لِلضَّمِيرِ الإِنْسَانِيِّ حِينَ يَتَوَاطَأُ أَوْ يَصْمُتُ. فَهَلْ يَبْقَى لِلْإِنْسَانِ مَعْنًى إِنْ لَمْ يَنْصُرْ إِنْسَانًا تُبَادُ مَدِينَتَهُ، وَيُجَوَّعُ شَعْبُهُ، وَتُمْحَى ذَاكِرَتُهُ أَمَامَ أَنْظَارِ العَالَمِ؟

كَلِمَةٌ إِلَى الضَّمَائِرِ المَيِّتَةِ

تَهَدَّمَ حُلْمِيْ...

تَهَدَّمَ بَيْتِيْ...

تَهَدَّمَ صَدْرِيْ الصَّغِيرُ عَلَى صَدْرِ أُمِّيْ

وَصَوْتُ القَذَائِفِ...

يَنْخُرُ عَظْمِيْ،

وَيُسْكِتُ قَلْبِيْ...

لَكِنِّيْ حَيٌّ...

نَعَمْ، حَيٌّ.

كَأَنِّيْ سُؤَالٌ مُعَلَّقٌ فِيْ فَمِ الصَّمْتِ،

وَوَجْهُ الحَقِيقَةِ مَرْمِيٌّ عَلَى قَارِعَةِ

الدَّمْعِ...

خَرَجْتُ مِنَ الظِّلِّ...

مِنْ صَخْرَةٍ شَقَّتِ الأَرْضَ،

مِنْ بَطْنِ مَوْتٍ

تَدَثَّرَ بِالجُثَثِ الدَّافِئَاتِ

خَرَجْتُ كَمَنْ يَبْعَثُ اللهُ حَيًّا

بَكَى الحَجَرُ حِينَ رَآنِيْ،

وَبَكَتْ شُرْفَةُ الوَرْدِ فَوْقَ الخَرَابِ...

وَلَكِنْ...

أَيْنَ أَبِيْ؟

أَيْنَ صَوْتُهُ إِذَا نَادَيْتُ؟

أَيْنَ يَدُهُ الَّتِيْ كَانَتْ تَسْنُدُ ظَهْرِيْ إِذَا

مَا اِرْتَجَفْتُ؟

أَيْنَ أُمِّيْ؟

ثَوْبُهَا الأَزْرَقُ مَا زَالَ مَعْجُونًا بِعَبَقِ

الحَلِيبِ...

لَكِنْ، صَدْرُهَا بَرْدٌ،

كَأَنَّهُ الأَرْضُ بَعْدَ اِنْتِهَاءِ المَطَرِ...

وَإِخْوَتِيْ...

لَمْ يَعُودُوا يُغَنُّونَ فِيْ السَّاحَةِ الصُّغْرَى

وَلَا يَرْسُمُونَ غَدًا بِلَوْنِ الفَرَحِ...

يَا أُنَاسَ هَذَا الزَّمَانِ،

يَا شَعْبَ الشَّاشَاتِ،

يَا نَائِمِينَ عَلَى وَسَائِدِ الضَّوْءِ،

يَا آكِلِيّ رَغَدَ الأَيَّامِ...

كُفُّوا...

كُفُّوا عَنِ الحَرْبِ

كُفُّوا عَنِ المَوْتِ

كُفُّوا عَنْ قَصْفِ الزُّهُورِ!

أَنَا لَسْتُ قِصَّةً تُرْوَى

وَلَا نَشْرَةً تُبَثُّ،

وَلَا رَقْمًا فِيْ إِحْصَاءَاتِ الفَجِيعَةِ...

أَنَا طِفْلٌ،

طِفْلٌ يَتِيمُ الكَوْكَبِ،

يَتِيمُ الضَّمِيرِ...

فَلَا تَجْعَلُونِيْ

"النَّاجِيَ الأَخِيرَ".

لَا تَتْرُكُونِيْ وَحْدِيْ أَعُدُّ

الوُجُوهَ الَّتِيْ رَحَلَتْ

وَالأَحْلَامَ الَّتِيْ لَمْ تُزْهِرْ

وَالمَقَاعِدَ الَّتِيْ لَا أَحَدَ يَجْلِسُ فِيهَا بَعْدَ

اليَوْمِ...

اِبْنُوا لِأَطْفَالِ الأَرْضِ

مَلَاجِئَ مِنْ ضَوْءٍ،

مَدَارِسَ مِنْ حُبٍّ،

وَسَاحَاتٍ لَا تَمُرُّ فَوْقَهَا الطَّائِرَاتُ

وَلَا يَصْهَلُ فِيهَا غَيْرُ صَدَى

الضِّحْكَاتِ...

فَلَا تَجْعَلُونِيْ

"النَّاجِيَ الوَحِيدَ"...

كَأَنِّيْ عَلَى سَطْحِ هَذَا الكَوْكَبِ

أَهْذِيْ بِحُلْمٍ

وَلَا أَحَدَ يَسْمَعُ...

تَعِبْتُ مِنَ العَدِّ

مِنْ غُرَفٍ خَالِيَةٍ

مِنْ أَصْوَاتٍ كَانَتْ تَمْلَأُ قَلْبِيْ

تَعِبْتُ مِنْ صَمْتِ هَذَا الخَرَابِ...

أُرِيدُ يَدًا تُمْسِكُ بِيَدِيْ،

وَصَوْتًا يُنَادِينِيْ بِاسْمِيْ

كَأَنَّ الحَيَاةَ لَمْ تَغِبْ بَعْدُ...

اِبْنُوا لَنَا وَطَنًا

لَا يُدَرَّبُ فِيهِ الجُنُودُ عَلَى قَصْفِ

الأَرَاجِيحِ،

وَلَا تُسْفَكُ فِيهِ الطُّفُولَةُ عَلَى أَبْوَابِ

المَجَازِرِ...

عَلَّنِيْ لَا أَكُونُ

قَصِيدَةً يَتِيمَةً فِيْ كِتَابِ الدَّمَارِ،

عَلَّنِيْ لَا أَكُونُ

دَمْعَةً تُزْهِرُ مَرَّةً، ثُمَّ تُنْسَى...

وَاُكْتُبُوا -إِنْ أَرَدْتُمْ-

تَحْتَ صُورَتِيْ المُغْبَرَّةِ:

"لَعَلَّهُ... لَا يَكُونُ الأَخِيرَ".

حكت لي فلسطين يوما وقالت

أ.د. عياش بن الشيخ - الجزائر

حكت لي فلسطين يوما وقالت:

لو أنّ هذا القلب قال لإنفطر دما.

لو أنّ هذا العمر قال لإنفجر حما.

يا ولدي، بركان بداخلي يهز الفؤاد.

يا ولدي، حزن في نفسي يحرمني السهاد.

يا ولدي، دموع أبنائي الجياع يُذهب عني الرقاد

يا ولدي، كيف يطيب لكم المأكل والمشرب وأبناء غزة يقتلون بلا قعاد.

يا ولدي، أين أنتم؟

من صلاح الدين أنتم، أين أنتم؟

أين أنتم من بطولات عمر الفاروق، أين أنتم؟

ما تركتم لجبناء الإنس والجن ما تركتم!

يوم كنتم للعز.. كنتم.

خيبتم آمالي فيكم، أين أنتم.

ما رأينا منكم إلا خيبات الأمل، ووعودا كاذبات

بلا خجل.

سقطت من عينيها دمعة على خصال شعري المسترسل على جبين الزمن.

كنت أسمع قديما، أنّ حكايات الجدة تجعلك تنام، أما حكاية جدتي فلسطين فإنها تأتي قبل النوم وبعد النوم، وقبل الليل وبعد الليل، فهي كصواريخ اليهود ليس لها موعد مع ضحاياها.

زادتني تساؤلات جدتي حيرى!

كيف تريدينني أنْ أرسمك فلسطين وأنت في القلب.

كيف تريدينني أنْ أرسمك أو أقشرك كبرتقالة وقد ضاعت ريشتي وكسر سكّيني.

كيف تريدينني أنْ أوشمك في قلبي، فالوشم حرام فلسطين.

لو جاز الوشم في الدين، لوشمتك روحي في صدري أو فوق جفون الأجفان.

أرسمك في البال أو اللّابالي.

أرسمك في خواطر الأقدار.

أرسمك على صفحات التاريخ لتقرأك الأجيال.

يا فلسطين المحبة، يا فلسطين السلام.

منذ قرن أو أقل نقلتكم عواصف (بلفور) من كل حدب وصوب يا صهاينة الزمان.

أنا لا أحبكم، المجتمع الدولي لا يحبكم

بن جامع لا يحبكم، وحتى الذكاء الإِصطناعي لا يحبكم.

غزة، ليست محتلة وفقط.

غزة، محبوسة محتجزة!

جثث الشهداء كأنها بقايا طعام الأثرياء على طاولة الحياة.

اِحكي يا غزة، اِحكي.

فسأدوّن حروفك وكلماتك بلا نقاط.

سأدوّن مجازرك بالأرقام ولا أرقام.

سأدوّن تاريخك بالكلمات الصامتة.

سأحرك جيوش الأمل من المغرب إلى المشرق.

سأحرض الناس أجمع في العالم الإِفتراضي،

سأوفسبك متتبعيّ الفايسبوكيّين

سأوتوتر مجتمع الموتتوترين

سأتوتك مشاركي التكتوكيين.

سأنستغرم ناس الانستغراميين.

سأجنن قوقل ومنصات البحث.

قالت: يا ولدي، من أنت من أحفادي حتى تعمل كل هذا!

فأجبتها: أنا حفيدك الجزائر.

أنا العربي اِبن لمهيدي، أنا مصطفى بن بولعيد

أنا ثوار الجزائر.

اِشتعلت في قلبي جمرة النضال، نضال الكلمة ونضال القلم، ونضال السلاح إنْ اِستطعت إليه سبيلا.

نضال التكافل بالدينار والدولار، فلا تحقرنْ من المعروف شيئا.

كما بدأت ثورة الجزائر بحجارة وأمل، ستتواصل ثورة فلسطين، والنصر لغزة.

فلسطين في القلب وما جروحي هذه إلَّا دقات لهذا القلب.

فِلِسْطينُ، وَغَزَّةُ فِي القَلْبِ

د. عيد كامل حافظ النوقي - مصر

نَظَرتُ فَوَجَدتُ غَزَّةَ وفلسطين وَحدَهما تُعَانِيان الحِصارَ، وَالجُوعًا، وَالآلاَمَا.

فَكَيْفَ أَفرَحُ، وَالأَطْفَالُ فِي شَوَارِعِهَا أَشلاءٌ، وَأَجسَامُو؟

وَالعَدوُّ أَطلَقَ نِيرَانَ العِدَا فَدَمَّرَ الدُّورَ، وَالأَرضَ وَالأَحلامَا.

سَأَلَنِي وَلَدِي: مَا بَالُكَ يَا أَبَتِ تَحمِلُ الهَمَّ، وَالحُزنَ، وَالإظلامَا؟

قُلتُ: كَيفَ أَبْتَسِمُ، وَغَزَّةُ وفِلسطِين تَحتَ قَصفِ الأعَادِي، وَظُلمِهِمُ العِظَامِ؟

يَا أُمَّةَ الإسلامِ هَلْ لَمْ تُبصِرِي قَتلَ الضَّحَايَا، وَتَشْرِيدَ الأَيتَامِ؟

أَ لَمْ تَرَيْ البُيُوتَ، وَقَدْ هَوَتْ عَلَى أَهَالِيهَا، وَأُحرِقَتِ الأَحلامُو؟

عَارٌ عَلَيْكُمْ يَا عَرَبُ، وَقَدْ كُنتُم فِي المَجدِ أُمَّةً تَقُودُ الأَزْمَانا.

كَيْفَ السُّرُورُ وَإِخْوَانُكُم فِي قَيدِ الحِصَارِ، والفَقر قَدْ أُضَامَا؟

أَ نَسِيتُمُ مَجْدَ بَغدَادَ يَومَ نَادَى هَارُونُ، فَأَشرَقَ الغَمَامُ؟

وَصَلاحُ الدِّينِ وَحَّدَ مِصْرَ وَالشَّامَ فَحَرَّرَ أَقصَانَا، وَهَزم اللِّئَامَا؟

وَقُطُزٌ حَطَّمَ جُندَ التَّتَارِ فِي جَالُوتَ وَرَدَّهُم ذُلًّا، وَكَسرَ الخِصَامَا؟

أَينَ المُعْتَصِمُ وَأَرسِلَانُ مِثلُهُم، وَحَمزَةُ أَسدُ الإسلامِ قَدْ أَحكَمَ العِزَامَا؟

هَذَا هُوَ الدِّينُ جَمَعنَا عَلَيهِ فَالوِدُّ، وَالإِخَاءُ، وَالعَهدُ إِلزَامَا.

قُومِي يَا أُمَّةَ الإسلامِ، وَاِهْتِفِي جِهَادَ مَجْدٍ يَرْفَعُ الأَعلامَا.

مُدُّوا أَيَادِيكُم لِغَزَّةَ، ففلسطين فِيهَا أُسُودٌ أَبَاةٌ كِرَامٌ هُمَامَا.

بَاعُوا الحَيَاةَ لِرِضْوَانِ رَبٍّ وَاِتَّبَعُوا محمَّدًا وَالصَّحبَ الكِرَامَا.

فَحَنظَلَةٌ وَاِبنُ رَوَاحَةٍ قَدْ بَذَلا المَالَ، وَالنَّفسَ، وَالأَجسَامَا.

وَاليَومَ فِي غَزَّةَ، وَفِلسطِين قَومٌ سَارُوا عَلَى نَهجِ الكِرَامِ، فَسَادُوا الأَنَامَا.

هُمْ تَلامِيذُ خَالِدٍ، وَعَمَّارٍ، وَجَعفَرٍ الطَّيَّارِ يَحمِلُ الخِصَامَا.

سَنَفرَحُ يَومَ الفَرَجِ، وَالنَّصرِ وَيُرفَعُ العَلَمُ الأَخضَرُ العَلَّام.

وَيُحَرَّرُ الأَقصَى، وَيَعمُّ السَّلاَمُ، وَتَعُودُ الأَمجَادُ دِمَشقًاوَالشَّامَا.

وَبَغدَادَ، وَمَكَّةَ الزَّاهِيَةَ وَالمَدِينَةَ وَالقَاهِرَةَ العَامَّا.

وَإِسطَنبُولُ عَاصِمَةُ الزَّمَانِ بَهَاءً، عَلَى مَرِّ السِّنِينَ وَالأَعْوَامَا.

مُسْتَبْشِرِينَ بِنِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ

فاطمة الزهراء لكحل - الجزائر

رقيقة هي، تجلس على كرسيّ في غرفتها وتضع طلاء الأظفار.

الفراشات من حولها تطير في محيط الغرفة، والبريق يتناثر من أجنحتها الشفافة...

نجومٌ ساطعةٌ ملوّنة خلف قصرها الزجاجي، ولؤلؤٌ متناثر ينعكس فيه لمعان "الكريستال" الذي يزيّن الأسطح والأرض.

اِبتسامة مشرقة، وبزوغ فجر ساحر.

كأسُ لبنٍ مقدَّم لها، وبمجرد أنْ تطلب المزيد، يُحضَر لها كل ما أرادت.

المرأة من حولها تنتهي منْ "رتوشاتٍ" أخيرة كانت تضعها لها على لباسٍ حريري فخم، ستلبسه، أو أنه سيتزين دون الحاجة للمرأة!

ستضع عقد الألماس اللَّامع، وسيتدلّى الفستان ليُبدي جمالها كما لم تكن من قبلُ، بل أفضل مما كانت ستبدو عليه.

سيقلّها الحصان الطائر إلى مكان وجود صديقاتها،

أم تراها ستُقيل المركبة وتستمتع بنسيم البحر؟

أم أنها ستفضّل أنْ توجدَ عندهن دون سفر!

كل شيءٍ جائز، بالأحرى... متاح.

الصديقات حنونات، وطيّبات، يتبادلن القُبل والعناق، ويَفرحن بوصول القادمة منهنّ.

هُنّ سعيدات للغاية، سعيدات كما لم يعتدن ذلك أبدًا في حياتهنّ.

هل ستحكي الواحدة للأخرى عن فستانها الأجمل؟

أم تراها ستُريهنّ في كل مرة الأجمل منه؟

إنْ أعجبها فستان صديقتها، ستحصل على مثله أو أفضل منه...

كلهنّ يضحكن، لا مجال لأنْ تشعر إحداهنَّ بأنها لم تحصل على ما تريد...

لكن كل واحدة، في داخلها، تشعر أنها مغمورة بالنِعم، مذهولة وفرحة في الوقت نفسه.

الورود والأزهار تفترش كل المكان، وتنبت بجانبها أخرى أجمل منها لمجرد رؤيتها.

العطور تتغيّر روائحها، ويتبدّل سحرها، فتجذب القادم من بعيد.

ولا حاجة لمستحضرات التجميل، فربما يكفي إحداهنّ أن تتمنى، حتى تبدوَ كما أرادت

تجلس الفتيات على الأرائك، يضحكن على طُرْفة إحداهنّ.

يُقدَّم لهنّ شراب ذو مذاقٍ رائع، ومن بعده آخر مختلف عنه، بل أفضل منه.

يأكلنَ مما اِشتهت أنفسهنّ، ولا تكنّ إحداهنّ للأخرى بغضًا أو كرهًا،

فكل القلوب قد أصبحت نقية من هذا... لتكون محبة.

لا وجود لحرّ الشمس، ولا برد، ولا ملل، ولا أيّ إزعاج يفسد شعور الإِستمتاع بما هنّ فيه.

أما عن الرجل هناك،

فقد يكون حينها بصحبة خير خلق الله، يتمشى معه ويحضنه.

يقابل فعلًا مَن صنعوا تاريخ الأمم، ويصافحهم كصديق وأخٍ مقرّب.

لن يعود بحاجة للعمل، ولن يتعب مجدّدًا...

كل شيء مجاني أخيرًا.

أخيرًا سينعم دون ضريبة، ودون التزام، ودون خوفٍ من فقد.

سيمتلك ما أراد، وما اِشتهت نفسه.

حسنًا...

ليقلّها زوجها بعد أنْ أرادته أنْ يصطحبها في جولة وحدهما.

كل شيء رومانسي من حولهما.

هل تراها ليلة تُغطّى أرضها بالشموع والورود الحمراء؟

أم سيكون شيئًا آخر... أفضل بكثير؟

ليحييا ليلتهما معًا، أو نقول: لياليهما المغمورة بالحب والودّ.

يمسك بيديها، ويحتضنها، ويهمس في أذنيها:

"نحن حقًا سنكون معًا إلى الأبد".

سيأخذها في جولة على شاطئ بحرٍ مياهه نقية جدًا، سيستمتعان بالنسيم البارد والأمواج، وستصبح قادرة على ركوب الأمواج بصحبته،

فهي لطالما كانت معجبة بذلك سابقًا...

وربما...

سيقلّها بعدها في طائرة فخمة، لتأكل على متنها أشهى ما تريد،

وتستمتع من زجاجها بمنظر الشفق وتلوّن السماء.

ستحطّ معه صباحًا في ساحةٍ ثلجية زجاجية، ستتزحلق وتنعكس صورتهما في الأرضية.

سيعودان إلى قصرهما أو بالأحرى... قصورهما.

سيجدان من يستقبلهما، وسيجدان الدفء، والأمان، وأفضل النِّعَم.

ستعيش حياتها الأبدية كما لم تعشها من قبل...

لِنوقِفْ هذا المشهد ....

ولنتأمّل قليلًا:

ما كل هذا الذي يحدث؟

هل هي حقيقة تعيشها الآن؟

أم سحر؟

أم أمنيات... وإبحار في عالمٍ وهميٍّ؟

هل هو قصرٌ مخفيّ؟

أم أنها قصة في كتاب، تُسافر بك إلى أرض الأحلام؟

ربما أنّ معظم الحقيقة، ليس شيئًا يمكن إمساكه أو رؤيته...

تمامًا كالروح مثلًا، كالحب، والمشاعر أيضًا.

لكنّها مخفية، لا يصل الإدراك إلى ماهيتها، فالإدراك في الإنسان، مكتفٍ بما هو مبرمج عليه.

لذلك، فإنَّ أرض الأحلام والأمنيات ليست مجرد قصة في كتاب، ولا تصويرًا في مخيّلة... بل هي موجودة حقًا. موجودة، وإنْ لم يدركها الحس،

إنها من وراء المعيش، تنتظر قُدوم الأميرات إلى القصور المخفيّة فعلًا.

الأميرات...

سليمات القلب، وطيّبات،

خَلوقات، ومؤمنات، وصابرات،

جديرات بأنْ يسكنّ القصر، ويُتوّجن فيه.

في عالمِنا هذا، لا نجد تفسيرًا للروح

من أين أتت؟

رغمَ أننا متأكدون أن الروح هي وجودُنا الحقيقي.

وما نراه حين يتوفّى الغير، هو أنها تغادر...

لكن لا نعلم كيف؟ ولا أين؟

ما نتأكدُ منه فقط، هو أن هذا العالم أضيق من أن يحتوي الحقيقة.

الحقيقة أوسع بكثير من تلك المسافة الضّيّقة المحصورة بين الولادة والموت.

الحقيقةُ... تتجاوز فعلًا هذه المرحلة.

وبعيدًا عن سرد الألم والوجع، وبعيدًا عن الخذلان والظلم،

لقد مللنا من اللّاجدوى، وأرهقنا تعبُ الإنتظار...

اِنتظار أنْ نرى الإنصاف بأعيننا.

لكنّنا نسينا... أنّنا سبق أنْ قرأنا عنِ الإنصاف،

قرأنا حقًا، كيف يكون.

وأنا الآن، لا أفعل سوى أنني أحاول أنْ أتخيّل، أتخيّل من بين ما قرأت، ولكنني متأكدة أنني قصّرتُ جدًا، وإستصغرتُ فعلًا حجم الإنصاف، والمصير الحتميّ فعلًا.

أنا أكتب الآن عن الإنصاف، الذي يُتعب قلبك لكي تراه مُحقّقًا...
أتخيّل منه شيئًا قليلًا فقط.

هل تدرك معي
أنه حتى لو توقف هذا الظلم وحلّ محلّه السلام،
هل تدرك معي أنَّ هذا لا يكفي؟

لا يكفي أنْ نرى ما تبقّى من صمود ما بعد الحرب بخير...
بل نريد أنْ نرى تعويضاً فعليًّا لما خلّفته الحرب:
من ندوب، ومن فقد، ومن حرمان، ومن أحلام قد دُفنت.

نحن نريد فعلًا أنْ نرى إنصافًا شاملًا،
يتعدّى أسوار نسيان ما مضى،
بل بإحياء مَنْ نسيتهم الذاكرة ودفنتهم الأتربة.
العِوَض سيكون في المكان الذي تعجز أرضُنا الحالية عن فعله.
سيكون في مكانٍ آهلٍ أنْ يعيدك من جديد، كما لو أنك لم تذق طعم الألم أبدًا.

لنعد إليها... مَن كانت هي؟

هي نفسها الأميرة الآن، ولكن قبلها،

قد كانت تلك الطفلة التي ربما ماتت عند طناجر الجوع مغدورا بها،

تُقبّل من حولها بقلبها البريء، علّهم يتركونها تمرّ لتأخذ بعض الطعام،

فتُلقى ميتة برصاصهم وعفن قلوبهم.

أو أنها ستتفحّم في سريرها نتيجة قصفٍ مفاجئ،

أو أنها ستتلقّى إصاباتٍ خطيرة، وستصارع ألم الجراحة دون مُخدّر،

فتموت نتيجة عدم التحمّل...

أو قد كانت هي الأمّ التي تحضن أطفالها،

وتحاول تدفئتهم من البرد الذي يخترق الخيام متناسيةً نفسها،

تُعِدّ لهم شيئًا من الطعام، وتصبر على جوعها،

تحاول طمأنتهم، وتصطحبهم من مكانٍ إلى آخر أكثر أمانًا.

هي التي أرهقها النزوح، والبرد، والحرّ، والغبار، والجوع، والمرض.

المهمّ أنها قد مرّت بأبشع طرق الإساءة في هذا العالم،

رغم أنها لم تفعل شيئًا.

هي مجرد بريئة غدر بها الظالمون،

لينقصوا من عمرها الدنيوي أو ليحرموها من العيش الكريم.

ولكن، هناك عدل، وهناك إنصاف، وهناك أكثر من مجرد الحياة الدنيا.

هناك المكان الآهل للأبرياء، الآهل ليحضنهم، فهو نقيّ مثلهم،

يسترجع حق المظلوم، ويكافئ أهل الحق، ويُتوَّج من مات شهيدًا.

نعم، أنا هنا أحاول أنْ أطلّ على المشهد كاملًا، وعلى الحقيقة كيف ستكون في النهاية.

أحاول أنْ أتخيل من منظوري فقط، ومن منظور البنات، ماذا سنفضّل أنْ يكون لنا دنيويًا كنعيم، وأقول:

هذا ليس شيئًا بالنسبة لمن يُرحَّب بهم في الجنة.

أودّ فقط من القارئ ألَّا يتغلّب عليه الحزن، بل يحاول أنْ يغوص في المشهد من فوق،

وليس من مسافة الإبصار فقط. يحاول أنْ يرى ما أخبرنا به خالقُنا خالقُ الكون، وخالقُ أرواحنا، وأجسامنا، ومصيرنا، وخالق العدوّ أيضًا.

أتمنى من القارئ أنْ يحمد الله برضا

فالجزاء الأكبر للصابرين

أكثر منه للمغادرين.

لستُ هنا لأحكي مزيدًا من ألمٍ، لم تُقصّر الكاميرا في نقله صوتًا وصورة،

ولكني أحاول أنْ أكون كملاكٍ يرى ما هو أبعد من الزمان والمكان،

الأبْعد الذي قُرّب إلينا وصفًا في كتاب الله.

من كتاب الله يمكن أنْ ترى، وتطمئنَّ، وتصمدَ.

وفي غزّة، قد رأينا أناسًا كذلك تفعل.

فيا غزّةَ الصمود، ستبقين دومًا في نظرنا أشبهَ بقصة الأخدود،

ونحن نتمنى لمن يرانا يومها وهو مُنعّم في الجنة، أنْ يُسامح تقصيرنا،

وأنْ نكون معه مستبشرين بنعمة من الله وفضل.

لو تدري مَنْ جاع اليوم يا عمرُ

فاطمة عطية - مصر

إنه عمر بن الخطاب... خليفة العدل والأمان والشبع -رضي الله عنه وأرضاه- كان يأمر بنثر حبوب القمح فوق رؤوس الجبال، ليأكل الطير ويشبع... واليوم بكل أسف وألم، يجوع في غزة الأطفال والكبار، ويتزاحم الجميع من أجل وجبة يوم... من أجل قطرات من حساء أو ماء أو ملعقة دواء لمريض أو جريح...

في أي عالم نحن؟ وفي أي أيام؟

إنها الأيام التي تُجبر الطيور فيها على الهجرة وترك أعشاشها. إنها الأيام التي تسرق فيها الأرض من أصحابها... وتستقوى القلوب بالسلاح... وتقتل الآَمنين العُزل بلا ذنب أو جريرة... وتقتل الأطفال بلا رحمة ولا تردد.

لكنها أيضا أيام المقاومة والصبر، فالطيور لم تهجر أعشاشها... ولم يترك أصحاب الأرض أرضهم!

ومهما زاد عدد الضحايا، ومهما تهدمت الأعشاش والبيوت... فطيور غزة وأهلها لن يرحلوا...

استبدلوا السلاح بالحجارة والبيوت بالخيام... واستبدلوا الطعام بالصيام... ‘نها قوة الله -عز وجل- التي سكنت قلوبهم أكثر من سبعين سنة... تعدادهم على أرضهم يتزايد ولا يتناقص... وكل شهيد يرحل يرزقهم الله ببطل من أصلابهم يولد ويتربى على المقاومة... أعينهم الظمأى يرويها الأمل في الغد، واثقين بنصر من الله وفتح قريب مهما طال أمد الحصار والتجويع.

والحمد لله أن قيض لهم من يساعدهم ويمدهم بمعونات تعينهم على الشدة والبلاء، ويستمرون لكن العدو يحاول جاهدا أن يمنع وصول أي معونة إليهم حتى لا يشعروا بالشبع وتقوى عزيمتهم. ومن بعيد يتفرج باقي العالم ويتسلى... وكأنه يشاهد مباراة غير متكافئة بين فريقين لا حكم لها.

بل إنّ البعض يساعد المعتدي ويمده بالسلاح ويخطط للاستفادة من الأرض دون أهلها.

يد الله فوق أيديكم يا من ترفضون التفريط في حبة تراب من أرضكم هكذا يقول المولى في كتابه، بسم الله الرحمن الرحيم: [وكان حقا علينا نصر المؤمنين] الرّوم 47. وقوله: [ولينصرن الله من ينصره] الحجّ 40.

فِلِسْطينُ نَبضُ الرُّوحِ

فيروز لصاق - الجزائر

فلسطين... أيقونة الوجع والحنين، وأغنيةٌ خالدة تتردّد في صدر كلّ من حمل في قلبه ذرة من إنسانيّة، هي ليست مجرّد أرض تُرسم على خرائط المدارس، ولا مجرد اِسم يتكرر في نشرات الأخبار، بل هي روح حيّة تنبض في العروق، وجرحٌ مفتوح يعلّمنا كيف يكون الصبر، وكيف تُصان الكرامة ولو تحت ركام القصف وأصوات البنادق.

فلسطين في القلب... كأنها نبضٌ ثانٍ يوازي نبض الحياة، لا يخبو ولا يخفت، كلما ظنّ العالم أنّها صمتت أو تلاشت، عادت أقوى، لتقول للغاصب: "هنا جذور لا تُقتلع، وهنا زيتونة تعاند الريح، وهنا طفل يرسم على جدران المخيم خارطةً أكبر من حدودكم المصطنعة".

حين أغمض عيني وأتأمّل معنى الانتماء، أجدها هناك، في الدمعة التي تسقط بصمت حين نشاهد مشهد أمّ تحمل بين يديها شهيدها الصغير، وفي الحنجرة التي تصرخ رغم القيد، وفي كلّ شهيد يكتب بدمه قصيدةً أطول من كل دواوين الشعر. فلسطين ليست غريبة عنّا، إنّها تختبئ في تفاصيلنا الصغيرة: في الأذان الذي يرفع في الفجر، وفي رائحة الخبز الطازج، وفي أغاني الجدّات، وفي دعاء الأمهات كل ليلة.

أكتب عنك يا فلسطين، فأشعر أنّ الكلمات تخونني، وأنَّ الحروف تذوب قبل أنْ تصل إليك. ماذا عساها اللغة أنْ تقول لجرحٍ عمره عقود؟ كيف للكلمات أنْ تصف حجرًا صغيرًا يقف شامخًا في وجه دبابة مدججة؟ كيف لي أنْ أصف اِبتسامة طفل يرفع راية الحرية وهو يعلم أنَّ الموت يترصده عند الزاوية؟ أنتِ أكبر مِنَ اللغة، وأكبر مِنَ الشِّعْرِ، وأكبر من الحبر والورق؛ لأنك تختصرين فيكِ معنى البقاء.

فلسطين في القلب... وفي القلب وجعٌ لا يهدأ؛ لكنّه وجعٌ يورث الأمل. وجعٌ يذكّرنا أنَّ هناك أمة لم تستسلم رغم المؤامرات، ولم تنحنِي رغم الجراح. وجعٌ يجعلنا نرى في كل طلقة رصاص، بداية فصل جديد من الحكاية، وفي كلّ جدار يُهدم بيتًا أوسع في السماء.

كم حاولوا أنْ يسرقوك من ذاكرتنا، وأن يبدّلوا الأسماء، وأن يزرعوا مكان بساتينك حجارة غريبة... لكنّ الذاكرة لا تُشترى ولا تُباع. أنتِ محفورة في الوجدان

كما يُحفر اِسم الأمّ في الروح، لا يمحوه الزمن ولا يغيّره النسيان. مَنْ ينسَ أرضه ينسَ نفسه، ونحن لم ولن ننسى؛ لأننا نحملك في قلوبنا كما نحمل الدم في شراييننا.

فلسطين... أنت القصيدة التي لا تنتهي، والأغنية التي لا تخفت، والجرح الذي صار وسامًا، والدمعة التي تحوّلت إلى سيف. أنتِ لست مجرد حكاية عن اِحتلال، أنتِ مدرسة تعلِّمنا أنَّ الحياة لا تُقاس بطولها، بل بمقدار الصمود والكرامة.

أقسم أنكِ ستبقين في القلب ما دام في العروق دم، وما دام هناك طفل يولد ويصرخ باِسمك قبل أنْ يعرف الأبجدية. ستبقين رغم جدران العزل، ورغم الحواجز، ورغم الغياب، ستبقين لأنكِ لست أرضًا فقط، بل قضية وحقًّا وحلمًا؛ ولأنكِ ببساطة... فلسطين.

بركان 7

كلثوم الصديق - المغرب

البركان كان خامدا وذوو القبعات المصنوعة من جلد الكلاب كانوا يستعدون لذبح بقراتهم الصفراء الفاقع لونها على أعتاب المسجد الأقصى ثم يشرعون في هدمه ليشيدوا الهيكل الذي يحلمون به على أرض فلسطين...

لكن البركان تفجر في السابع من أكتوبر والكل علِمَ الخبر... طوفان البركان كان عظيما فقد نسج خيوطه فرسان الأنفاق وسموا بالله، ثم كان الهجوم الشرس على بني صهيون الكيان الذي صنعته الصهيو-أمريكية وزبانيتها من كفار العالم.

نعم ما يحدث في غزة اليوم من تكالب الحثالة وتحديهم والعزم على اِحتلال غزة تحت صمت الأنظمة العربية العميلة بل تحت إشرافها. والله إنه لأمر ينقص من الأعمار؛ فنحن الذين لا نملك حولا ولا قوة سوى الدعاء أو اللجوء لوسائل التواصل

كي نعبر غن سخطنا على يهود العالم وبالتالي تعاطفنا مع أهلنا في فلسطين... والله إن حزننا شديد على ما يتعرض له إخوتنا وأحبابنا بل وأهلنا في غزة.

نتفاعل والله بكل وجداننا معهم وبقدر سخطنا على بني صهيون الحثالة أحقر خلق الله بقدر مانحن ساخطون على صمت يهود العرب والمؤكد أنّ هدفهم هو القضاء على المقاومة حتى لا تزعج ولا توتر علاقتهم بإسرائيل التي ليست سوى أداة الغرب لإحتلال دولة عربية. فمن هي إسرائيل؟ وكيف صارت بهذه الأسلحة والثروة؟ من أين لشتات قوم كل هذا الإمتياز؟ طبعا، بفضل أمريكا المجرمة يتم نهب ثروات أرض عربية تحيطها دول عربية ولكنها أشد صهيونية من الصهاينة. فاللهم، اِخزهم بقدر خذلانهم وألحقْ بهم كل الشر، واِجعل شعوبهم تنتقم منهم.

نعم، الذي يحدث في هذا الزمان ربما لم يسبق في أي حقبة من التاريخ. فقد كان لكل زمان فرسانه، واليوم نرى طائفة فقط تجاهد بعزم وشموخ المجاهدين صحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-

الدم العربي يهرق والإبادة مستمرة؛ ولكن الحمد لله على بأس الرجال، ولا عزاء للخنزير النتن. فكل جندي من جنوده كان عليه أن يفديه. ولكنه، بغطرسة العدو ونفخته لا يتراجع عن دفع جبنائه للتهلكة على يد الرجال. وا عجبا لعالم يشاهد هذا العجب ولا يفهم أنّ رجال الأنفاق هم الذين عاهدوا الله على الوفاء! وأظن أنّ الوقت ليس إلا وقت الجهاد. فمن أحبهم الله، ساقهم لشرف الجهاد والشهادة... والذين يتفرجون على ما يفعل بالمؤمنين إنما طردهم الحق سبحانه وحرمهم هذا الفضل العظيم.

رَقْصَــةُ الشَّيْطَـانِ

كهينة طنخي - الجزائر

مِنْ سوريا إلى فلسطينَ، ومِنْ كرْبلاءَ إلى غزَّةَ...

ضاعت أحلام الأمَّهات والأطفال...

شباب تمزَّقت جلودهم إلى أشْلاءٍ...

وشيوخ تحت الرُّكام... تصلِّي

ماذا فعل لكم موسى، ذلك الطّفل الصّغير الّذي وجد بين وَحَل الخيم (خيم اللّاجئين)؟

شيطان الإبادة

أعيُن فقدتِ الفرحة وذبلت أحداقها، وجسم هزيل تعِبَ مِنَ التّخْييم.

ويد، قصفتها طائرات الشّياطين وهي تحمل الماء للصّلاة

وإمرأة، فقدت فلذات كبدها...

وتحت الرُّكام، ترفض الخروج دون خمارها.

وشابٌّ، ترتجف يداه وهو يبحث عن صديقه...

رفاة هُويَّتي، تنتفض بِإسمك... الله أكبر...

لم يمُتِ العاشق لبيت المقدس، وغزّة بين العواصف... ستعود

وأسير، فقد عقله وعائلته، وظلَّ بين قضبان السّجن أسيرا يُنْشد:

"لن نرحل... سنبقى هنا في وطني...".

وأيتام، تنتظر كفالة...

ونور مِنَ السّماء تنتشلها مِنْ تحت الرُّكام.

أصوات وأفواه جائعة تنتظر غيثًا مِنَ السّماء.

رَغِيـفٌ

أنا، مَنْ حاكمته الحروب...

أنا، مَنْ قطعت يداي ورجلاي...

وماتت أختي، ودفن حيًّا أخي...

وتحت التُّراب، أبي وأمّي...

رفعت الجلسة على حياتي...

رصاص هنا، وحريق هناك...

بيت جَدِّي وجاري، رُكام...

لا عين تبكي، ولا صراخ أو عتاب...

تعبت... الغدر في كل الأعتاب

طرقت... كلَّ الأبواب...

مات الكبير... تاج الشّباب

زحفت... ولم أنلِ الثّواب...

جرحت... وأنا أبحث عن رغيف

تشرَّدت... بين الآهات والنّزيف...

نمت... كحبّة رمل على الرّصيف...

في مسرح الحياة... أنا

بين عين اِشتاقت إلى النّوم...

وروح تشتهي رغيفًا...

من بين لاهية... طفولة تأمل الحياة...

رغيف... داست قلوب البشر...

وطفل ... يشتكي لربّه من جوع مُدبَّر.

أَجْرِي...

لميس هدى زقار - الجزائر

أَجري ولا أدري إلى أين، ولا بماذا ألوذ من هذا الخراب،

أَجري مذعورًا، يعتصرني الرعب، ويكاد قلبي ينخلع من بين أضلعي،

أَجري في درب الهروب، لا لوجهةٍ، بل فرارًا من قدرٍ أثقل كاهلي،

أَجري وأذني تكاد تُخترق مِنْ صراخ النساء، وعويل الأطفال،

ورجفة الأرض تحت قدمي،

وصدى الحجارة حين تصطدم ببعضها، يرتطم في قلبي كالسكاكين،

أَجري هاربًا من صوت الخراب، ومن صوت الحرب حين تهمس بصوتٍ مرعب أنها هنا،

كما يهمس السِّكِّين للأضحية أنّةً عند نحره

هنا في أرضٍ كانت لنا وطنًا... فأمست واديًا من حجارة، ودموع، وأطلال باكية.

أَشكو...

أَشكو إلى ربي،

ذاك الذي لا يُسأل غيره، وإن سُئل سواه فهي مذلّةٌ لمن فعل،

أَشكو له حال أرضنا، وحالنا الذي اِستحال الى دموع تبكي هي الأخرى

أَشكو له أرواحنا الممزّقة، وقلوبنا المحطّمة،

أَشكو له وطنا تحوّل إلى عزاءٍ لا ينتهي،

إلى صورٍ مؤطَّرةٍ بالحزن، وبيوتٍ نُكّست أعلامها،

أَشكو له بلدي... بلدي الذي صار ركامًا، وصار دخانًا، وصار حلمًا مستحيلا...

وأسأل نفسي

...أسألها أين ذهبت أيّامنا الجميلة؟

أين اِختبأت لحظات الفرح الّتي كنّا نعيشها كأنّها لن تزول؟

أين شمس الصّباح التي كانت تبزغ دون أنْ يحجبَها الغبار؟

أين النّجوم الّتي كنّا نحصيها على سطوح منازلنا، لا صواريخ القصف والدّمار؟

أين لعب الطفولة، وركضنا خلف الفرح، لا خلف النّجاة من الموت والإِنهيار؟

ثمَّ أقف...

أقف على سفح القهر، أنظر إلى الخراب والفناء وقد سكن مدينتي،

أرى الدُّموع تنهمر مِثْلَ نهر نُبِّئَ بموعد جفافه على وجوهٍ لم يعد فيها للبسمة مأوى،

أسمع الصُّراخ،

البكاء،

أنين الثّكالى، وعويل الأرامل،

كلّهم يرنّمون نشيد القهر والكسر، على وتر الحديد المحطّم والحجر المنهار

وأشعر بالحزن ينهش قلبي نهشا، والقهر يأكل منّي كما تأكل النّيران حيّنا

أنظر إلى بيتنا، الذي ما عاد بيتًا، بل كومة مِنَ الحطام،

فراشٌ مِنَ الركام، وأرشيف مِنْ صمتٍ وذكرياتٍ مطموسة،

هنا، تحت هذا الحطام، ضحكات أمّي، ولهو أختي الصَّغيرة،

وشجار إخوتي على دور حارس المرمى

وصوت أبي وهو يعاتبنا على ترك الأضواء مشتعلة،

وأيّ أضواءٍ يا أبي؟

فقد غابت

.. وأطبق الظّلام على كل شيء... حتّى ملامح الذّاكرة باتت تبكينا

ثمَّ أتساءل...

كيف ستعود الحياة؟

كيف سنبني مدينةً على أنقاض الدُّموع؟

كيف سنغرس الزّهر في أرضٍ ما عادت تعرف سوى الدّم والتُّراب؟

وأبكي...

أبكي، ودموعي تكاد تُذيب الأرض مِنْ حرّها،

أبكي، ووجنتاي تلوماني على بكاءٍ لا يُجدي،

وكيف ألام، وأَنا لست من اِختار هذا القدرَ،

وكيف ألام، وأَنا لست مَنْ أشعل نار الحرب،

وكيف ألامُ، وأَنا لست مَنِ اِقتلع جذور السّلام،

بل أنا مَنْ فُجع، ومَنْ فُقد، ومَنِ اِحترق قلبه دون نارٍ تُرى،

أنا مَنْ ودّع أمَّه دون وداع، ومَنْ رأى يد شقيقته تمتدُّ مِنْ بين الرُّكام وكأنها تلوّح مودِّعةً لي ... لا الحياة

أبكي، ولا أملك سوى أنْ أقولَ صبرك يا الله...

صبرك على أرضٍ وُلدنا فيها مفلسيّ الطّمأنينة، وعُزّل مِنَ الفرح،

أرض ما ضمّتنا فيها سوى الأحزانِ،

وما عرفنا فيها لحظات الدِّفء إلّا في حِضْن الأمِّ، لا حضن التُّراب،

كنّا نبكي تأديبًا... لا فقدًا،

كنّا نصرخ لِلَّعب... لا للوداع،

كنّا نستنِد على كتفِ آبائنا... لا على حطام جدراننا.

ثمَّ أصمت...

أصمت؛ لأنَّ البكاء لا يُرجع مَنْ رحلَ،

ولا يُعيد زهرةً سُحقت تحت الدَّمارِ،

أصمت؛ لأنَّ ما مِنْ كلمة تُجدي،

فهل تُعيد الصَّرخةُ ترابنا نقيًّا مِنَ الدِّماء كما كان؟

هل تُعيدُ دمعَتَيْ أمِّي وأبي؟

هل يُعيد النَّشيج ضحكات إخوتي؟

فيمَ الصُّراخ؟ وفيمَ الرَّجاء؟

أصمتُ؛ لأنَّ في الجنّة... عائلةً تنتظرني،

هم لم يموتوا... بل اِرتقوا،

وما الشَّهادة إلَّا حياة أبديّة لا يُطفئها القصف،

هم شهداء عند الله أحياء...

وفي القلب... هم ساكنون... لا يموتون.

ومهما كستِ الدِّماء ترابك يا أمّنا

فطينك، يُنبت كرامة وصمودا في وجه العواصف...

ففي غزَّةَ

نبضات العزّة، والأبطال تصرخ حين تصمت الرّاحة والسّكينة

وفي رفح، حضن أوى المهاجرين حين اِشتدَّتِ النِّيران؛ هي كالأمِّ تحنُّ على كلِّ مَنِ اِحتمى بحضنها

هنا أراضٍ، لا يملكها سوى الأَحرارِ

ولمْ ولنْ تكونَ للفجّار مادام في الأَرض قلب ينبض باِسم الوطن

... هنا فلسطينُ

غزة، أيقونة الصمود

مازن جراي - تونس

يا غزة... يا شوكةً في حلق الطغاة، يا جمرًا لا يخبو تحت ركام البيوت، يا حنجرًا تُكمل الأذان ولو اِحترقت المئذنة، يا آخر ما تبقّى للأمة من معنى الرجولة.

أكتب عنك والقلب يتشقق، وأكتب عنك واللغة تضيق، وأكتب عنك وأعلم أنّ الكلمات مهما اِشتعلت ستظلّ أصغر من نزيفك، وأصغر من نجمك المعلّق في السماء.

كم خذلك العرب، يا غزة!

كم تاجروا بدمك على موائد السياسة، وكم صافحوا قاتلك بابتسامة باردة، وتركوك عاريةً أمام الطائرات والحديد والنار. العرب الذين نسوا أنّ القدس قبلتهم الأولى، صاروا يركضون خلف وهم التطبيع، كأنّهم لم يسمعوا صراخ أطفالك تحت الركام، ولم يروا وجوه الشهداء تُضيء ليلك.

لكن، خذلانهم لم يكسر ظهرك، بل جعل منك صخرةً أصلب، وجعل منك نارًا أوقدت الإيمان في كل قلب لا يزال حيًا.

يا غزة... لم تركعي، ولن تركعي.

الأعداء أرادوك جثّةً صامتة، فأجبتِهم بزخّات الصواريخ. وأرادوك قبرًا جماعيًا، فإذا بك تصيرين مدرسةً للعزة والبطولة.

تعلّميننا أنّ الدم حين يسيل على أرضٍ طاهرة، يتحوّل إلى شجرة زيتون أبدية.

تعلّميننا أنّ الحصار قد يحبس الجسد؛ لكنه لا يستطيع أن يحبس روحًا مؤمنة بوعد الله.

كل رصاصة تخرج من بين أزقّتك تقول: "ما زلنا هنا".

كل طفل يولد تحت القصف يحمل في عينيه خارطة فلسطين كاملة.

كل أم تزفّ اِبنها شهيدًا، تُقسم أنّ دماءه ليست خسارة بل زادًا على طريق التحرير.

العرب خذلوك؟ نعم.

لكن السماء لم تخذلك. الله لم يتركك. والتاريخ لم يتركك. والأرض التي اِرتوت بدمائك تحفظ لك العهد.

سيأتي يوم يكتشف فيه المتخاذلون أنّهم خسروا شرفهم، بينما أنتِ ربحتِ المجد كلّه.

يا غزة... يا عنوان المقاومة... يا وطنًا يحرسه الأطفال بالحجارة، والشيوخ بالدعاء، والنساء بالصبر.

أنتِ كربلاء العصر، وملحمة الإصرار، وصوتٌ لا يخاف الموت.

سيقولون: كيف ستنتصر غزة الصغيرة؟

ونقول: لأنّ النصر لا يُقاس بالعدد ولا بالسلاح، بل يُقاس بصدق الدماء، وبإرادةٍ لا تعرف الإِنكسار.

وحين يُقدّر الله أنْ تشرق شمس الحرية، فلن يستطيع جندي واحد أن يوقف نورها.

سينكسر الحصار. وستُفتح الأبواب. وسيعود اللاجئون. وسيعلو الأذان من مآذن القدس بصوتٍ لا يخاف أحدًا إلا الله.

هذا وعد الله: "وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ".

وإن طال الليل، فالصبح قادم. وإن اِشتدّ الألم، فالفرج وشيك.

أما غزة... فستظل نارًا في قلب الأمة، وجدارًا من دم، وحكايةً تُروى للأحفاد: أنّ هنا شعبًا قاوم حتى آخر نَفَس، ولم يسجد إلا لله.

في غمرةِ ليلٍ حالكٍ، تلفُّهُ أشباحُ المآسي كأمواجٍ عاتية، وتُثقلهُ رُكامُ المظالمِ والهزائمِ والخيبات، اِنتشلتْ خيالاتي كطوقِ نجاةٍ، علَّها تُنجيني من واقعٍ أليمٍ، وقاهرٍ، ومُضنٍ.

فاِنبلجَ في مخيلتي مشهدٌ مهيبٌ: صوتٌ جهوريٌّ يصدحُ في رحابِ الحرمِ المكي، صوتُ شيخٍ وقورٍ، قلبُهُ يشتعلُ بالإيمان، وكلماتُهُ تقطرُ غضبًا مقدّسًا، فيعلو النداء:

- "يا أمةَ الإسلامِ، كيفَ تهنؤون بنومٍ وادعٍ، وإخوانُكم في غزةَ يُنحرون؟ كيفَ تستطيبونَ المائدةَ وأجسادُ أطفالِكم تُسوّى بالترابِ في المخيمات؟ ألا تستحيونَ من الله؟ أ تخشون أمريكا وإسرائيلَ؟! واللهُ أحقُّ أنْ تخشوه! أ تخافونَ حكّامَكم؟ واللهُ هو الجبّارُ القهّارُ!

فلسطينُ تنزفُ وتناديكم، الأقصى يَئِنُّ، ودماءُ الأبرياءِ تصرخُ في وجوهِكم! هذا يومُكم، إما حياةٌ بعزٍّ أو موتٌ يشرفُه الجهادُ. الجهادَ الجهادَ، والثأرَ الثأرَ، اليومَ قبلَ الغدِ. فواللهِ، ما بعدَ الذُّلِّ إلَّا الفناءُ، وما بعدَ الصبرِ إلَّا النصرُ!"

كلماتُهُ لم تكنْ دعوةً، بل كانت نبوءةً تُزلزلُ صمتَ القلوبِ وتُشعلُ فيها البراكين. اِنتشرتْ كالصواعقِ، وأيقظتِ المستكينين، وأحيتْ فيهم نبضَ الدمِ الّذي كادَ أنْ يجفَّ. تحوّلتْ الجماهيرُ إلى طوفانٍ بشريٍّ، هديرُهُ يهدمُ جدرانَ الخوفِ، ويجرفُ عروشَ الخونةِ والجبناءِ.

هتفوا: "لبيكِ يا غزةُ، لبيكِ يا فلسطينُ!"

لم تكنْ شعاراتٍ، بل قسما مُطلقا بالنصرِ أو الشهادةِ.

اِستنفرَ القادةُ في عواصمِ الدولِ العربيةِ والإسلاميةِ مِمَّن اِخترقتْ كلماتُ الشيخِ أسوارَ صمتِهم، ووصلهم صدى الهتافاتِ الّتي زلزلتْ عروشَ الخذلانِ والخيانةِ.

كأنَّ تلك الكلماتِ أطلقت صفّاراتِ القيامةِ في وجدانِهم، فأيقظت في قلوبٍ طالها الصدأُ جذوةَ المسؤوليةِ التي كادت أنْ تنطفئ.

في لحظةٍ فاصلة، لم تعدْ كراسي الحكمِ آمنة، ولم تعدِ الشعوبُ تغفو على الوهمِ القديم.

توالتِ المكالماتُ العاجلة، اِرتجّت غرفُ القيادةِ، تقاطعتْ نظراتُ العسكريين والسياسيين، وسادتِ الصدمةُ العقول:

-"لا مفرَّ بعد اليوم! إما أنْ نُقاتل... أو نسقطَ إلى الأبد!"

فُتحتْ غرفُ الطوارئِ، وسُمعتِ الأجراسُ تُقرعُ في مقارِّ القيادة، واِرتفعت أصواتُ اللّاسلكي تشقُّ الصمتَ بتعليماتٍ نارية:

- "تأهّب عام! نشرُ القواتِ فورًا! إعلانُ التّعبئةِ القصوى!"

الخرائطُ فُرشتْ، والأيدي تُشيرُ وتَتجادلُ، والأعيُن تشتعلُ بتصميمٍ قاتل.

قادةُ الجيوشِ اِجتمعوا، أصواتُهم حادّةٌ كالسيوفِ، والخططُ تتوالى كالرّصاص:

- "ضرباتٌ جويةٌ خاطفةٌ... وإنزالٌ بريٌّ شاملٌ... وشللٌ للقدراتِ الصاروخيةِ... وإغلاقُ المجالِ البحريّ... وإعلانُ ساعةِ الصفر."

وزراءُ الدفاعِ يوقّعون أوامرَ القتالِ بأصابعَ لا ترتجف.

عُقدتِ الإجتماعاتُ الطارئةُ على مدارِ الساعة، وخلفَ الكواليس، كان البركانُ قد بدأ بالزئير:

- "السلاحَ السلاحَ، والحربَ الحربَ! كفى ظلمًا وعدوانًا، كفى ضعفًا وخذلانًا!

سنقاتلُ إلى آخرِ رمقٍ، حتّى لا تذرفَ دموعُ الأطفالِ في غزةَ، ولا تُراقَ دماءُ الأبرياءِ بعدَ الآن!"

عندها...

اِستنفرتِ الأرضُ ومَن عليها.

تحرّكتِ الجيوشُ كالعاصفةِ المزمجرة، كتنانينَ غاضبةٍ أُطلقت من أسرِها.

المدرّعاتُ تزمجرُ، والطائراتُ تئنُّ محركاتُها، والجنودُ يُقسمونَ على عتباتِ الثأر:

- "إما النصر... أو لا نعود!"

فتحتَ أبوابُ الجحيمِ تحتَ أقدامِ المحتلين.

صواريخُ باليستيةٌ كالنيازكِ الغاضبةِ، تنهالُ على تل أبيبَ، تمزّقُها إربًا، وتُحوّلُ سماءَها إلى لهبٍ يتلوّى كالثعابينِ الجائعةِ.

اِنفجاراتٌ متلاحقةٌ تشقُّ الأرضَ والسقفَ والذاكرةَ، والملاجئُ تتحوّلُ إلى مقابرَ جماعيةٍ تحت أنقاضِ الزيفِ.

طائراتٌ سعوديةٌ وإماراتيةٌ، كأنَّها عيونُ اللهبِ المسلّطِ من السماء، تُدكُّ القواعدَ العسكريةَ للعدوِ، تذيبُ آليّاتهِ الفولاذيةَ في أتونِ الإنتقامِ، فلا تبقى لهم مدرعةٌ إلَّا وصارت رمادًا.

دباباتٌ أردنيةٌ ومصريةٌ تُرعدُ على الحدودِ كوحوشٍ ثائرةٍ خرجتْ من بطونِ التاريخِ، تسحقُ جنودَ العدوِ كأنهم صراصيرُ تحت جنازيرِها، وتقتحمُ مستعمراتِهم كما تقتحمُ النارُ كومةَ هشيمٍ يابس.

الدمُ في كلِّ مكان.

الأشلاءُ تتطايرُ في الهواءِ كالأوراقِ الميتة، وأصواتُ الصراخِ تمتزجُ بعويلِ الإنذارِ والندمِ.

الجنودُ الصهاينةُ يتقيّؤونَ من الهلع، ويتوسّلونَ الرحمةَ فلا يسمعونَ سوى دويِّ الرصاصِ في رؤوسِهم، يفرُّونَ كالفئرانِ من وجهِ الأسدِ العربيِّ الذي اِستيقظَ من سباتِ الذلِّ والخذلانِ.

من الأزقّةِ تنبعثُ كتائبُ الإستشهاديينَ، بصدورٍ عاريةٍ وقبضاتٍ مشتعلةٍ، يركضونَ نحو الموتِ وكأنّهم يركضونَ نحو الزفافِ، يهتفونَ:

- "لن تُؤسَرَ القدسُ مرّةً أخرى... ولو على جماجِمنا!"

اِنهارَ العدوُّ.

اِنهارتْ خطوطُه، واِنهارَ وهمُ تفوّقِه.

طائراتُهُ تتساقطُ كالعصافيرِ، ومدنهُ تتفجّرُ كبيوتِ الكرتونِ، ومياههُ تُلوَّثُ، وموانئُهُ تُحاصرُ تحتَ راياتِ الأسطولِ التركيِّ الذي فرضَ عليهِ الخنقَ البحريَّ الكامل.

وأمريكا... أميركا تصرخُ!

لكنّ صراخَها لا يتجاوزُ شاشاتِ الأخبارِ.

تحاولُ التدخّلَ، فترتفعُ راياتُ المغربِ العربيِّ في وجهها، من الجزائرِ إلى تونسَ فالمغربِ، تغلقُ أجواءَها في وجهِ طائراتِ الموتِ الأمريكيةِ، وتمنعُ قواعدَها مِنِ اِستقبالِ أيّ دعمٍ للكيانِ الغاصبِ.

سُدَّتِ الطرقاتُ على أساطيلِها، وأُحرقتِ الصفقاتُ على أبوابِ الشعوبِ الغاضبةِ، وخرجَ ملايينُ الأحرارِ هاتفينَ:

- "فلسطينُ ليست وحدَها... والأقصى أمانةُ الأجيالِ في أعناقِنا!"

وفي غزّة...

تشقُّ قوافلُ الإغاثةِ الصحاري والبحارَ، من الكويتِ إلى ليبيا، ومن السودانِ إلى اليمن، ومن تركيا إلى ماليزيا، ومن قلبِ تونسَ الخضراءِ، تتدفّقُ الحافلاتُ وناقلاتُ الدواءِ والطعامِ، تدخلُ كالأملِ بينَ الأنقاضِ، وتُعيدُ النبضَ إلى قلبِ المدينةِ المُحاصرةِ.

أطباءُ جزائريونَ يُجرونَ العملياتِ في الخنادقِ، وممرضاتٌ مغربياتٌ يضمدنَ جراحَ الأطفالِ، ومتطوعونَ تونسيونَ يوزّعونَ الخبزَ والدمعَ والحنانَ في بيوتٍ لم يبقَ منها سوى الركام.

رُفعَ الأذانُ في الأقصى...

وتوضّأتِ الحجارةُ بدماءِ الشهداءِ.

تعالتِ الزغاريدُ من بينِ الركامِ، واِختلطتْ بالتكبيرِ وهديرِ الجيوشِ القادمةِ من صلبِ الشعوبِ، لا من قممِ الخنوعِ.

دُقَّتْ ساعةُ التحرير.

ولم يعُدِ العدوُّ يملكُ وقتًا للندمِ...

بل يملكُ فقط حفنةً مِن ترابِ الأرضِ التي لن تطأها قدماهُ مرّةً أخرى.

وها هيَ الشمسُ تُشرِقُ أخيرًا على قُبّةِ الصخرةِ دونَ قيدٍ، ودونَ ظلٍّ، ودونَ قنّاصةٍ على الأسطح.

غابتْ الطائراتُ الغازيةُ، وغابتْ الحواجزُ والجدرانُ والأسلاكُ الشائكةُ، واِنسحبتِ الجيوشُ الغاصبةُ إلى مزابلِ التاريخِ تجرُّ أذيالَ الهزيمةِ.

غزّة تنهض.

من بينِ الركامِ يخرجُ الأطفالُ، يحملونَ أعلامَ فلسطينَ كأنّهم يحملونَ الفجرَ.

النساءُ تزغردُ، والشيوخُ يسجدونَ فوقَ ترابٍ نَزفَ كثيرًا ولم يخن.

الطرقاتُ التي كانتْ شاهدةً على المجازرِ، تُفرشُ اليومَ بالورودِ، والراياتِ، والهتافاتِ التي تشقُّ عنانَ السماءِ:

- **"حرّةٌ... حرّةٌ يا فلسطين!"**

وفي القدسِ...

وقفَ الشيخُ الذي أطلقَ الشرارةَ، مرفوعَ الرأسِ، تنزفُ عيناهُ دمعًا وكرامةً.

أمسكَ بالميكروفونِ واِرتجفَ صوتهُ من مهابةِ اللحظةِ، ثم قال:

-"أيها العالمُ... لقد اِنتهى زمنُ البكاءِ في صمتٍ.

اِنتهى زمنُ الشّجبِ والاِستجداءِ.

اليومَ نكتبُ بالدمِ والكرامةِ بيانَ النصرِ:

لقد اِندحرَ العدوُّ، وسقطَ المشروعُ الصّهيونيُّ إلى الأبد.

الأقصى لنا، وفلسطينُ لنا... وكلُّ شهيدٍ قد عادَ حيًّا في اِبتسامةِ أمِّه.

السلامُ على مَنْ قاتل، وعلى مَنْ دعا، وعلى مَنْ لم ينسَ،

والسلامُ على الأرضِ التي صبرتْ... فاِنتَصرت."

وعلى أسوارِ القدسِ...

كُتِبَ بالأحمرِ القاني، لا بحبرٍ:

- "هنا كانَ اِحتلالٌ... وهنا كانتْ مقاومةٌ.

اِنتصرتِ الأرواحُ على الرصاصِ.

واِنتصرَ الإنسانُ على الطغيان."

وغابتِ الدبّاباتُ.

وغابَ الخوف.

وبقيتِ فلسطينُ... كما كانتْ، وكما ستبقى:

أرضًا لا تنحني... ومقدّسًا لا يُنسى.

لكن...

بئسًا!

ما كانَ ذلكَ إلّا برقَ خيالٍ في عاصفةِ الواقع، وسرابًا لامعًا في صحراءِ الخذلان.

اِستيقظتُ... لأجدَ قيدَ الذلِّ لا يزالُ في عنقِ الأمةِ، والخذلانُ يُرفرفُ كرايةٍ في سماءِ عروبتِها.

لا جيوشَ ولا اِستنفارَ، بل بياناتُ شجبٍ وتنديدٍ، ومهرجاناتُ نفاقٍ.

في غزّة، الأطفالُ ما زالوا يُمزَّقون، والبيوتُ تُقصفُ، والرجالُ يُدفنون أحياءً.

والقادةُ... نائمون، مشغولون بخطبِ السلامِ وصفقاتِ الذلِّ.

فيا ترى... هل يستفيقُ هذا الجسدُ الميت؟ وهل يعودُ لنبضهِ أم سنموتُ ونحن نحلمُ بتحريرٍ لن يأتي؟

أيتها الأمة المختنقة بالصمت

كم طفلًا يجب أن يُدفن حيًا،

وكم أمًا يجب أن تعوي فوق الركام،

حتى تفيقي يا أمة المليار؟

رقابكم ملوّثة...

دماء الجوعى تسيل على أطراف عباءاتكم،

وصراخ المحاصرين يُغرق مآذنكم ولا أحد يسمع.

أنتم شركاء في الذبح،

شركاء في الجوع،

شركاء في قيام الإمبراطورية الصهيونية،

التي تُبنى من لحم أبنائنا وعظام شيوخنا.

كفاكم تلاوة بيانات،

كفاكم تباكيًا خلف الشاشات،

كفاكم طهارة مزعومة وأنتم تغطّون في وَحَلِ الخذلان.

اِعلموا أنّ التاريخ يكتب أسماءكم الآن بالحبر الأسود،

وأنّ الأرض ستلعن صمتكم كما لعنت سيف الجلاد.

لن نغفر،

ولن ننسى،

وإن لم تصل خيامنا إليهم،

فإن نيراننا ستصل إليكم.

وسيَشهدُ الله علينا... وعليكم.

"يا سادة الخذلان"

يا سادة الخذلان ويا سادة العار المقنّع!

من تحتِ أنقاضِ غزَّةَ تُزَلزلُ الأرواحُ الكونَ..

تنبثقُ صرخاتُ الأطفالِ كالسُّيوفِ المشتعلة،

تخرقُ صمتَ الإنسانيةِ المُتواطئة،

وتغرسُ في ضمائركمُ الميتةِ خناجرَ اللومِ واللعناتْ.

أما أنتم يا حُكّامَ الكراسي المهترئةِ

يا من خَنَعتم قبل أن تبدأَ الحربْ،

واِستبدلتمُ البندقيةَ بالدُّميةِ،

والرايةَ بشيكِ النفطِ، أينَ أنتم؟

أين خُطبُكم النّشازُ؟ أين شعاراتُكم الكاذبة؟

أين جيوشُكم التي صدئتْ في ثكناتها؟

هل تَكتُبون "التحرير" على جدرانِ المؤتمرات،

ثم تمسحونهُ بخرقةِ المفاوضاتِ القذرةِ؟

تبكونَ الأقصى أمامَ الكاميراتِ،

وتُصافحونَ قاتلَه في الغرفِ الخلفيةِ،

تُباركونَ طَعنهُ من الظهرِ،

وتُباركونَ الغاصبَ باسمِ "السلامِ"!

حتى الحجارةُ نعم، الحجارةُ

تبصقُ على وجوهِكم وتلعنُ زمنًا

أصبحَتْ فيه الخيانةُ "دهاءً سياسيًا"،

والركوعُ "حنكةً دبلوماسية"!

حتى الشهيدُ هناكَ يَضحكُ منكم بمرارة:

"ليسوا أحفادَ صلاح الدين،

بل نُسخٌ مسخٌ من عبيدِ الاحتلالِ،

يتقنونَ الإنحناء أكثر من القتالْ!"

كفاكم نفاقًا! كفاكم اِرتزاقًا بدماءِ المقهورينْ!

كفاكم رقصًا على أشلاءِ الأبرياء..

أنتم يا كلابَ الخنوعِ

لستم سوى ديدانٍ تنهشُ لحمَ الأمةِ المُنهكة،

تحكمونَ بالجُبنِ، وتتنفّسونَ الذلَّ كالأكسجين،

تطعنونَ قلوبَ الأحرارِ بخناجرَ صدئةٍ مسمومة،

تُسقونَها من دماءِ الأطفالِ،

ثم ترفعونها عاليًا وتدّعون أنها "قراراتٌ سيادية"!

أيُّ عارٍ أنتم؟!

تسرقون المجدَ من تحتِ أقدامِ الشهداءِ،

وتُغطّونَ خيانتكم بعباراتٍ باردةٍ كجثثِ ضحاياكم،

وتُزيّنونَ عارَكم بتصريحاتِ "الحكمةِ" المُبتذلة،

كأنَّ الذئبَ صارَ في نظركم راعيًا،

وكأنَّ السمَّ صارَ دواءً!

هناك، في غزَّة، تُصنعُ المعجزاتُ من لحمٍ وعظمٍ وركامْ..

وهنا، بينكم، تُصنعُ الخياناتُ من ذهبٍ وذُلٍ وأوهامْ..

لعناتُ التاريخِ ستلاحقُ وجوهكم،

وستُسجَّل أسماؤكم بالدمِ لا بالحبر،

كخونةٍ باعوا ضمائرهم في سوقِ الذلّ،

وبقوا يشاهدون المجازر تُرتكبُ بحقِّ المستضعفين، إخوانهم وبني جلدتهم،

لم يُحرّكوا ساكنًا... بل صافحوا يدَ العدوِّ التي تَقطرُ من دمائنا،

وابتسموا أمامَ الكاميراتِ كأنهم لم يفعلوا شيئًا!

لكن تأكّدوا...

سيأتي يومٌ تُسحَقُونَ فيه تحتَ أقدامِ من بقيَ حرًّا،

وسيعرفُ التاريخُ أنكم كنتمْ فقط وصمةَ عارٍ على جبينِ العروبةِ.

صوت الرعد من غزة

في سماء فلسطين، لا يسقط المطر... بل تتساقط الشهادة

وفي دروبها، لا يُسمع بكاء الضعفاء... بل زئير الأبطال.

هناك، حيث الرمل يكتب التاريخ، والطفل يرفع راية الكبار،

تولد البطولة من رحم الألم... وتمشي الكلمات على جراح الأرض.

كأنّ هزيم الرعد لم يكن إلَّا صدى لصوت حجارة تُلقى في وجه الدبابات،

وصوت الأمهات وهن يزغردن لجنازات الأبناء كأنها أعراس.

فلسطين...

يا من علمتنا أنّ النكبة ليست نهاية،

وأنّ السيف لا يُغمد إلَّا ليُشهر من جديد.

يا من جعلتِ من كل بيتٍ مهدًا للثورة،

ومن كل جدارٍ مرآةً نرى فيها وجوه شهدائنا تبتسم.

نحن أبناء البرق...

نمشي حفاة في الدروب المشتعلة، ولا نحيد.

نحمل قلوبًا لا تعرف الإنكسار، وأرواحًا لا تهوى الركوع.

فالحقّ بين ضلوعنا، والسماء تسمع،

والأرض تردد: "لن نموت ما دام فينا من يقاوم".

فلسطين العروبة

محمد شوعي تكه المساوى- اليمن

فلسطين دولة ذات تاريخ عريق وشعب صامد. إن قضية فلسطين تحتل مكانة مركزية في الضمير الإنساني والعربي، حيث تتعلَّقُ بِحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية. النزاع الفلسطيني-الإسرائيلي هو قضية سياسية معقدة تتعلق بالأرض والسيادة والهوية، ولا تزال القضية الفلسطينية تنتظر حلًّا عادلًا وشاملًا يضمن حقوق الشعب الفلسطيني وفقًا للشرعية الدولية.

فلسطين العروبة

فلسطين ليست مجرد أرض، بل هي قضية عدالة وإرادة شعب يرفض الإِنصهار. هي رمز للصمود في وجه الظلم، وذكرى حية بأنّ الحرية لا تُوهب بل تُنتزع. كل حجر في فلسطين يحكي قصة، وكل قلب فلسطيني ينبض بأمل التحرير.

قصيدة بعنوان فلسطين العروبة، تحاول أنْ تلامس عمق المعاناة والصمود والأمل:

هِيَ الأَرْضُ الَّتِي فِي الْقَلْبِ تُنْدَاءُ

وَفِي الدَّمْعِ وَفِي الْحُزْنِ تُرَتَّلُ

بِهَا الْقُدْسُ تَشْعَاؤُهُ خَضْرَاءُ

وَفِيهَا عَلَى الأَغْصَانِ تُثْمِلُ

صَرِيعَةَ ظُلْمٍ.. لَكِنَّهَا صَامِدَةْ

تُرَاقِبُ فَجْرَ الْحَقِّ وَهْيَ جَرِيحَةْ

يُرَاقُ دَمُ الْأَبْرِيَاءِ زَاخِرَا صَادِقا

فَيُزْهِرُ فِي أَكْفَانِهِمْ وَرْدَهُ

وَتَبْقَى رِوَاءَ الْعُرْبِ وَهْيَ مُعَذَّبَةْ

كَنخْلَةٍ فِي وَجْهِ الرِّيَاحِ تَمِيدُ

يَا أُخْتَ نَهْرِ الْأُرْدُن يَا قِصَّةَ الْبَأْسِ

يَا أُمَّ كُلِّ الْحُرِّ يَا وَطَنَ الْأَسَى

سَتَبْقِينَ فِينَا دَرْبَنَا وَقَضِيَّةً

وَفِي كُلِّ عَيْنٍ تَحْتَضِنُكِ دَمْعَةْ

سَيَأْتِي زَمَانُ الْحُرِّ يَا قَدْسُ صَابِرَةْ

وَتَعْبُرُ هَذِهِ اللَّيْلَة السَّوْدَاءُ

سَنَمْشِي عَلَى جِسْرِ الدِّمَاءِ نُطَاوِلُ

سُيُودٌ وَجْهُ الْأُفْقِ وَهْوَ مُنَادِيكِ

فَلَا تَيْأَسِي.. فَالنَّصْرُ لِلْأَرْضِ دَاءُ

هذه القصيدة تحمل في أبياتها روح الصمود والألم والأمل الذي ترمز إليه فلسطين في قلب كل عربي.

فِلِسْطينُ أرض العزة و الكرامة

يا فلسطينُ، أرضَ الزَّيتونِ الخَضْراءِ،

بَحْرُكِ، يَهْمِسُ بِسِرِّ الْعِزَّةِ الْعَتِيقَةِ.

جِبَالُكِ، تَشْهَدُ عَلَى صُمُودِ الْأَحْرَارِ،

وَأَرْضُكِ، تَرْفَضُ الْخُضُوعَ لِلْغَاصِبِينَ.

فِيْ كُلِّ حَجَرٍ مِنْكِ، قِصَّةُ كَرَامَةٍ،

وَفِيْ عَيْنَيْ الأَطْفَالِ، نَارُ الأَمَلِ تَلْتَهِبُ.

أَنْتِ الْوَطَنُ الَّذِيْ يَرْفَعُ الرَّأْسَ عَالِيًا،

وَيَحْمِيْ الْحُرِّيَّةَ بِدَمْعِ الْمُقَاوِمِينَ.

يَا أَرْضَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُلْهَمَاتِ،

فِيْكِ الْعِزَّةُ تَزْهُو وَالْكَرَامَةُ تَعْلُو.

سَنَبْقَىْ لَكِ لَحْنًا، وَنَحْمِيْ حُدُودَكِ،

فَلِسْطِينُ، أَنْتِ الْفَخْرُ وَالْعَلْيَاءُ الأَبَدِيَّةُ.

(قصيدة مُكْتَحَلَةٌ تُعَبِّرُ عَنْ حُبِّ الْوَطَنِ وَصَمُودِ شَعْبِهِ، مَسْتَوْحَاةٌ مِنْ رُوحِ الْمُقَاوَمَةِ وَالْفَخْرِ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ.)

رُسُوخُ غَزَّةَ

محمّد مهدي الضبيبي - اليمن

غزَّة، ستضحك والجروح تندملُ
وينبت الزّهر في الوديان والجبلُ

ستزهر الأرض أبراجًا مُشيّدةً
ترنو لها العين والأبصارُ والمُقَلُ

ويخرج الطّفل يلهو في شوارعها
وطفل صهيون خلف جدارهِ وَجِلُ

مادام أبناؤها وثبوا لنصرتها
ومِنْ رُباها -دماهم للعُلا- بذلُ

مادام فيها أسودٌ للوغى وثبُ
فموتها مستحيلٌ ليس مُحتملًا

سيعود للبحر روعتهُ ورونقهُ
والكلّ في حضنهِ يهفو ويحتفلُ

قد ماتتِ الدّول الكبرى وقادتها
وغزّةُ، فاح من أنسامها الأزلُ

الكلُّ أصبح ماضيًا عند حاضرها
كلُّ الممالك، قد زالوا وقد رحلوا

وغزَّةُ، في جذور المجد راسخةٌ
تعمر الأرض والأعداء قد نزلوا

سجّل مكانك يا تاريخُ منتشيًا
وقف لياسينَ ذاك القائدُ البطلُ

المَجْدُ العَظِيمُ

في سفح غزّةَ، مجدُنا وسموُّنا
وبحسنها، زاد الجمالُ جمالا

رُمنا إلى المجد العظيم بعزِّها
نحو السّحاب تيمُّنًا ووصالا

وثباتنا، سلب العقول مهابة

صرنا على قمم الجبالِ جبالا

راياتُنا بالنصر حتمًا رفرفت

خفّاقةً تسبي الأعيُنَ جلالا

نحن الأسودَ إذا وثبنا للعلا

وزئيرُنا، تكبيرةٌ تتعالى

ضربتنا في الغاصبين تكلّلت

حممًا تُذيق المعتدين نكالا

غزّة، ستثبت والغُزاة سيرحلون

والنّصر بالآفاق لاح تلالا

سَأَظَلُّ فِي غَزَّةَ

سأظلّ أحمل رايتي بيميني

لتظلّ قدسي غايتي وحنيني

مهما بطشتم لن أغادرَ موطني

والله حتمًا ناصري ومُعيني

سأظلّ أحمي مسجدي وعريني

سأذود عن تيني وعن زيتوني

بدمي سأروي غرسه لكي أرى

رايات نصري في ربى فلسطيني

سأظلّ أشحذ همّتي بيقيني

وسأكتُمُ الآهات رغم أنيني

سأعيش أخدم أمّتي ورسالتي

وأموت مبتسمًا لنُصرة ديني

فلسطينُ ليست حكايةً تُروى، بل نبضٌ يُعاش

مرافئ الملك - السودان

في خاصرةِ الأرض حيثُ تتكئ الشمس على كتفِ الزيتون، تنام فلسطينُ نومَ من أرهقهُ الحُلمُ ولم يُدركه، أرضٌ لا تُشبه سواها، كأنها خُلقت من طينٍ ممزوجٍ بالحنين، ووشّيت بجراحٍ لا تندمل؛ لكنها لا تنكسر، تُشبه القصيدة ولكن كتبت بالدم وقُرئت بالدموع.

في شوارعها يسيرُ الصبرُ حافيًا، يجرُّ خلفهُ أقدارًا مثقلةً بالدنف، وأمنياتٍ مُعلّقةٍ على حبالِ الغياب، حجارتها ليست جمادًا، بل ذاكرةً تنطقُ بما عجزت عنهُ الألسن، كلُّ زقاقٍ فيها يُنشدُ مرثيةً، وكلُّ نافذةٍ تُطلُّ على غدٍ مؤجل.

الليلُ في فلسطين ليس عتمةً فقط، بل ستارًا يُخفي خلفهُ صراخَ الأرواح، ووشوشاتِ الأمهاتِ اللواتي أصبح الدعاء سميرهم، والنهارُ ليس ضوءًا، بل اختبارًا جديدًا للجلدِ واليقين، حتى النسيمُ هناك يمرُّ متثاقلًا، كأنهُ يحملُ على ظهرهِ حمل السنين، من مجازر وجرائم وجوع وفقر وقتل وأسى.

فلسطينُ ليست وطنًا فحسب، بل معجمًا للكرامة، تُترجمُ فيه الكلماتُ إلى أفعال، والدموعُ إلى صمود، هي القصيدةُ التي لا تنتهي، واللوحةُ التي لا تكتمل، والجرحُ الذي لا يُخفي جماله.

في عيونِ أطفالها، ترى البأسَ حين يُزهرُ في وجهِ الخوف، وترى الأملَ حين يُقاومُ الذبول، مِثْلَ وردة هشة تقاوم عاصفة الذبول، وفي ترابها تسمعُ أنينَ الزمنِ وهو يُعيدُ نفسه، كأنها لعنةُ التاريخِ أو ربما بركته.

فلسطينُ ليست حكايةً تُروى، بل نبضًا يُعاش.

"على هذه الأرض ظلّ المجد لا يشيخ..."

على هذه الأرض ظلّ المجد شامخاً... هنا حيثُ تعرج الأرواح إلى السّماء بلا سلالم، وحيثُ النخيل يشهق باسم القدس، ولو قُطعت جذوره.

التراب ليس ترابًا... بل سِفرًا من دمٍ وحنّاء، والحجارة ليست جمادات، بل شواهدَ تُصلّي وتنزف وتشهد بأن: ما انحنى جبينٌ طاهرٌ إلا ليسجد لله أو ليرفع شهيدًا.

في فلسطين حتى السُّكونُ صاخب، وحتى الصمت يريد الكلام.

الدُّنفُ في أجساد الأطفال لا يشبه المرض، بل يشبه الغضب المكبوت في رحم العدالة،

والأمّهات يحملن في عيونهنّ كفنًا ناصعًا، ويغزلن من وجعهنّ أوشحةً للكرامة.

هنا الشوارع، تحفظ أسماء الشهداء أكثر من الخرائط،

والزيتون إذا نزف، لا ينبت ثمرًا بل يكتب شعرًا على جذوعه.

لا تغرنّك النوافذ المكسورة، فهي تُطلُّ على قلوبٍ لم تنكسر،

ولا تخدعك الجدران المشققة، فكل شقٍ منها يوصل إلى السماء.

الطفل الباكي فيها يخنق الألم، وضحكه مِثْلُ سقوط المطر يروي الأرض بعد الذبول.

على هذه الأرض، ظلّ المجد لا يشيخ...

لأنها فلسطين...

ويكفي أن تُنطق ليقف التاريخ مُنتصبًا، كرامة، وصمودا، وإيمانا وصبرًا لا يُضاهى.

من بين الشقوق التي حفرتها السنون في وجهِ أرضها، ستنهض فالأملُ فيها كزهرةِ لوزٍ في كانونٍ قارس، لا تعلن عن نفسها صراحةً، بل تتسللُ كضوءٍ خجولٍ من خلفِ الغيوم، يربّت على كتفِ الصبر، ويهمسُ: "اقتربَ الفجر فانتظر، إن وعد ربك ليس ببعيد" ، والنصرُ ليس صدى بندقية، بل ارتقاءُ الروحِ فوقَ الرماد، وتشبثُ الحلمِ بجذورٍ لا تُقتلع.

تُشرقُ الشمس هناك مستمدةً نورها من قلوبهم، فاليقين أضاء داخلهم، وانتشر نور صبرهم في الأفق، في عيونِ الأمهات، وفي ابتسامات الأطفال الباهتة.

ففيها يلمعُ الرجاءُ كوميضِ نجمٍ لا يخبو، وفي أصواتِ الأطفال، تنبتُ الكلماتُ كأغصانِ زيتونٍ تُقاومُ الجفاف، حتى الجدرانُ المتعبة، تكتبُ على نفسها: "هنا مرَّ الأملُ ولم ينكسر، هنا دام الصمود ولم ينحني".

النصرُ في فلسطين لا يأتي راكضًا، بل يمشي الهوينى، يختبرُ القلوبَ ويُربّي فيها الجلدَ على الانتظار، هو ليس لحظةً، بل تراكم لحظاتٍ من التحدي، ومن الوقوفِ

في وجهِ العصف، ومن قولِ "لا" حين يُطلبُ الخضوع، ومن الصراخ حين يُطلب الصمت وتكمم الأفواه.

فرحماك ربي من أرض هي تزرع شجر الأمل في أرضٍ مهددة، تزرعها في أرض اليأس بجسارة، وتكتب اسمُ كل شهيدٍ على جدارٍ لا يزال قائمًا، على جدار أعرج.

في فلسطين الأملُ لا يُستجدى، بل يُخلقُ من رحمِ الألم، يُصاغُ من حروفِ الصبر، ويُطرّزُ بخيوطِ الإيمان، هو أن تُضاءَ شمعةٌ في نفقٍ طويل، وأن يُغنّى للغدِ رغمَ ضجيجِ الغياب، هو أن تُحملَ الحكايةُ على الأكتاف، وتُروى للأجيالِ كما تُروى الأساطير.

ففلسطينُ ليست حكايةً تُروى، بل نبضًا يُعاش.

صَرْخَةُ فِلِسْطِينَ

مريم بارة - الجزائر

فِلِسْطِينُ، لَيْسَتْ مَجَرَّدَ اِسْمٍ مَحْفُورٍ فِي ذَاكِرتِنَا أَوْ خَرَائِطِ التَّارِيخِ، بَلْ جُرْحٌ مَفْتُوحٌ وَغَائِرٌ فِي خَاصِرَةِ الْأَرْضِ.

فِلِسْطِينُ، حَارَبَتْ وَجَاهَدَتْ، اِسْتَنْزَفَتْ رُوحَهَا مِنْ قَسْوَةِ بَنِي صهْيَوْنَ، وَدَفَعَتْ مِنْ دِمَائِهَا أَثْمَانًا مَا كَانَتْ لِتَدْفَعَهَا أُمَّةٌ أُخْرَى... كُلّ يَوْمٍ يُفْتَحُ جُرْحٌ جَدِيدٌ، وَكُلّ لَيْلَةٍ يَنَامُ الْقَمَرُ عَلَى أَصْوَاتِ بُكَاءِ النِّسَاءِ وَأَنِينِ الْأَطْفَالِ.

كَانَتْ أَرْضُهَا خَضْرَاءَ كَقِطْعَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ، تُزْهِرُ زَيْتُونًا وَبُرْتُقَالًا، وَتُعَانِقُ السَّمَاءَ بِظِلَالِهَا؛ الزَّيْتُونُ يَمُدُّ جُذُورَهُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ يُصِرُّ عَلَى الْبَقَاءِ مَهْمَا اُجْتُثَّ، وَالْبُرْتُقَالُ يَبْعَثُ رَائِحَتَهُ فِي الْأَرْجَاءِ كَأَنَّهُ رِسَالَةُ حُبٍّ إِلَى كُلِّ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ. لَكِنْ... مَاذَا بَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْجَنَّةِ؟

صَارَتِ الْأَرْضُ قَاحِلَةً، وصَارَتْ جُذُوعُ الزَّيْتُونِ مَحْرُوقَةً، وَحُقُولُ الْبُرْتُقَالِ مَقْطُوعَةً، لَمْ يَعُدِ الْعِطْرُ يَمْلَأُ الْمَكَانَ، بَلْ حَلَّ مَكَانَهُ غُبَارُ الْبَارُودِ وَرَائِحَةُ الدَّمِ.

الْبُيُوتُ؟ كَانَتْ عَامِرَةً بِالضّحكَاتِ وَالْفَرَحِ، يَخْرُجُ مِنْهَا ضَوْءُ الْمَصَابِيحِ الدَّافِئَةِ، وَتَمْلَأُ أَرْجَاءَهَا أَصْوَاتُ الْأَطْفَالِ وَهُمْ يَرْكُضُونَ فِي أَرْوِقَتِهَا... الْيَوْمَ تَحَوَّلَتْ إِلَى جُدْرَانٍ مَهْدُومَةٍ، وإِلَى أَحْجَارٍ مُتَنَاثِرَةٍ، وإِلَى أَسْقُفٍ اِنْكَسَرَتْ عَلَى رُؤُوسِ سَاكِنِيهَا.

تَحْتَ كُلِّ بَيْتٍ مَهْدُومٍ، هُنَاكَ قِصَّةٌ، وهُنَاكَ سَرِيرٌ صَغِيرٌ لَمْ يُكْمِلْ دِفْئَهُ، وهُنَاكَ كِتَابٌ مَدْرَسِيٌّ مَا زَالَ مَفْتُوحًا عَلَى الدَّرْسِ الْأَخِيرِ، وهُنَاكَ صُورَةٌ عَائِلِيَّةٌ نِصْفُهَا مَطْمُوسٌ تَحْتَ الْغُبَارِ.

الْأُمَّهَاتُ... مَا أَشَدَّ قُلُوبَهُنَّ حِينَ يَفْقِدْنَ فَلَذَاتِ أَكْبَادِهِنَّ، يَبْكِينَ بُكَاءً يُذِيبُ الْحَجَرَ، يَبْحَثْنَ بَيْنَ الرُّكَامِ عَنْ ثَوْبٍ صَغِيرٍ أَوْ دُمًى أَوْ دَفْتَرِ رَسْمٍ لِيَحْتَفِظُوا به ذِكْرَى عَلَّهَا تُخَفّفُ ذَاكَ الأَلَمَ... كَمْ مِنْ أُمٍّ جَلَسَتْ عَلَى حَافَّةِ الرُّكَامِ تَنْتَظِرُ أَنْ يَخْرُجَ اِبْنُهَا مِنْ بَيْنِ الْحِجَارَةِ لِيَقُولَ لَهَا: **"هَا أَنَا عُدْتُ يَا أُمّي، لَمْ أَمُتْ بَعْدُ"؛** لَكِنَّ الرُّكَامَ صَامِتٌ، وَالْحِجَارَةُ لَا تُجِيبُ.

تُمْسِكُ الْأُمُّ بِصُورَةِ اِبْنِهَا الشَّهِيدِ، وتَضُمُّهَا إِلَى صَدْرِهَا كَأَنَّهَا تَحْضُنُهُ آخِرَ مَرَّةٍ. هُنَاكَ دَمْعَةٌ لَا تَسْقُطُ، تَظَلُّ مُعَلَّقَةً فِي عَيْنَيْهَا، كَأَنَّهَا حَجَرٌ ثَقِيلٌ لَا يَذُوبُ.

الْأَطْفَالُ جَائِعُونَ... جُوعُهُمْ لَيسَ جُوعَ الْخُبْزِ فَقَطْ، بَلْ جُوعَ الْأَمَانِ وَالسَّلَامِ...

يَبْحَثُونَ فِي الرُّكَامِ عَنْ كِسْرَةِ خُبْزٍ مُغَطَّاةٍ بِالْغُبَارِ أَوْ عَنْ لُعْبَةٍ قَديمَة؛ بَعْضُهُمْ يَبْتَسِمُ رغْمَ كُلِّ شَيْءٍ، يَرْكُضُ بَيْنَ الْأَنْقَاضِ بِحِذَاءٍ مُمَزَّقٍ، كَأَنَّهُ يَتَحَدَّى كُلَّ الْعَالَمَ بِضحْكَةٍ صَغِيرَةٍ... وَلَكِنْ تِلْكَ الضّحْكَة لَا تَلْبَثُ أَنْ تَخْتَنِقَ تَحْتَ أَصْوَاتِ الطَّائِرَاتِ وَصَفير الرَّصَاصِ.

أَطْفَالُ الْعَالَمِ يَنَامُونَ عَلَى أَصْوَاتِ الْحِكَايَاتِ وَالْأَغَانِي، وَأَطْفَالُ فلَسْطِينُ يَنَامُونَ عَلَى أَصْوَاتِ الْإِنْفِجَارَاتِ وَالصَّرخَاتِ. أَيُّ ظُلْمٍ هَذَا؟

الْجُثَثُ... صَارَتْ مَشْهَدًا يَوْمِيًّا.

تَحْتَ الرُّكَامِ جُثَثٌ صَغِيرَةٌ لَمْ تَعْرِفِ الْمَدْرَسَةَ بَعْدُ، وَأُخْرَى كَبِيرَةٌ لِأَجْدَادٍ أَمْضَوْا أَعْمَارَهُمْ فِي زَرْعِ الزَّيْتُونِ وَانْتِظَارِ الْحَصَادِ.

الْأَكْفَانُ لَمْ تَعُدْ تَكْفِي، وَالْمَقَابِرُ ضَاقَتْ، حَتَّى الْأَرْضُ اِمْتَلَأَتْ بِالشُّهَدَاءِ. صَارَ الْمَشْهَدُ مَأْلُوفًا حَدَّ الْقَسْوَةِ: جُثْمَانٌ يُحْمَلُ عَلَى الْأَكْتَافِ، وأُمٌّ تَصْرُخُ بِحُرْقَةٍ، وطِفْلٌ يَنْظُرُ بِدَهْشَةٍ وَلَا يَفْهَمُ، وَرَجُلٌ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ لِيُغَطِّيَ عَلَى بُكَاءِ الْجَمِيعِ.

الدِّمَاءُ... تَتَدَفَّقُ فِي الشَّوَارِعِ كَمَا تَهْطُلُ الْأَمْطَارُ فِي مَوْسِمِ الشِّتَاءِ... أَمَّا الْأَرْصِفَةُ الَّتِي كَانَتْ تَعْرِفُ وَقْعَ أَقْدَامِ الْعَابِرِينَ فِي الْأَعْيَادِ، فَصَارَتْ تَعْرِفُ وَقْعَ أَقْدَامِ الْمُشَيِّعِينَ. لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ عِيدٌ، ولَمْ يَعُدْ هُنَاكَ صَبَاحٌ يُشْرِقُ عَلَى ضِحْكَةٍ. كُلُّ صَبَاحٍ هُنَا يُفْتَتَحُ عَلَى جَنَازَةٍ جَدِيدَةٍ.

آهٍ يَا فلَسْطِينُ... كَمْ مِنْ بَرَاءَةٍ أُغْتِيلَتْ قَبْلَ أَنْ تَتَفَتَّحَ، وَكَمْ مِنْ قَلْبٍ حُرِمَ مِنْ حَقِّهِ فِي الْحُبِّ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ مَعْنَاهُ.

كَمْ مِنْ طِفْلَةٍ وَقَفَتْ عَلَى بَابِ بَيْتِهَا تَنْتَظِرُ أَبَاهَا، وَلَمْ يَعُدِ الْأَبُ أَبَدًا.

كَمْ مِنْ أُمٍّ نَامَتْ وَهِيَ تَضَعُ يَدَهَا عَلَى قَلْبِهَا خَوْفًا عَلَى اِبْنِهَا، لِتَسْتَيْقِظَ عَلَى خَبَرِ اِسْتِشْهَادِهِ.

كَمْ مِنْ شَيْخٍ غَادَرَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُرَدِّدُ: "لَنْ أَتْرُكَ بَيْتِي، ولَنْ أَتْرُكَ أَرْضِي"، فَجَاءَهُ الْمَوْتُ قَبْلَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا.

آهٍ يَا عَرَبُ... لَوْ تَعْلَمُونَ.

لَوْ تَعْلَمُونَ كَمْ مِنْ كَلَامٍ مَسْكُوتٍ عَنْهُ، وكَمْ مِنْ صَرَخَاتٍ اِبْتَلَعَتْهَا الْحَنَاجِرُ، وكَمْ مِنْ أَوْجَاعٍ تُخَبَّأُ خَوْفًا مِنْ أَنْ تُتَّهَمَ بِالضَّعْفِ.

لَوْ تَعْلَمُونَ كَمْ مِنْ جَبِينٍ يَنْدَى خَجَلًا أَمَامَ هَذَا الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ، وَكَمْ مِنْ رُوحٍ تُزْهَقُ دُونَ أَنْ تَتَحَرَّكَ فِيكُمْ نَخْوَةٌ أَوْ حَمِيَّةٌ.

وَلَكِنَّكُمْ صمَتُّمْ... كَأَنَّ فلَسْطِينُ لَيْسَتْ مِنْكُمْ، وكَأَنَّ دِمَاءَ أَبْنَائِهَا لَا تَجْرِي فِي عُرُوقِكُمْ.

نَوَدُّ أَنْ نُخْبرَكُمْ أَنَّ فلَسْطِينُ رَغْمَ قَسَاوَة ظُرُوفهَا صَارَتْ مَهْدًا لِلْبُطُولَةِ....

نَسْأَلُ اللهَ نَصْرًا قَرِيبًا، نَصْرًا يَرْفَعُ عَنْ فَلَسْطِينَ جِرَاحَهَا، وَيعودُ الزَّيْتُون أَخْضَرَ كَمَا كَانَ، وَيَعودُ لِلْبُرْتُقَالِ عِطْرُهُ وَلِلسَّمَاءِ صَفَاؤُهَا.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ نَرَى شَمْسَ الْحُرِّيَّةِ تُشْرِقُ مِنَ الْقُدْسِ، فَتَزُولُ الْغُمَّةُ، وَيُدْفَنُ الاِحْتِلَالُ كَمَا تُدْفَنُ اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةُ.

فَفلَسْطِينُ... فِي قُلُوبِنَا، فِي قُلُوبِ كُلِّ الْجَزَائِرِيِّينَ، إِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ، رِجَالًا وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا.

نَحْنُ مَعَكِ يَا فلَسْطِينُ بِالدُّعَاءِ، وبِالدَّمْعِ، وبِالْكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ، وبِالْحُبِّ اللَّامَشْرُوط...

أَنْتِ فِي قُلُوبِنَا؛ لِأَنَّ جُرْحَكِ جُرْحُنَا، وَنَصْرَكِ نَصْرُنَا، وَحُرِّيَّتَكِ وَعْدٌ مُؤَكَّدٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى: [وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ] الرُّوم 47.

وطن موجوع

مريم بن إبراهيم لقطي - تونس

وطن تنخر عظامه الآهات منذ سنين.

وطن أريقت دماء شعبه بدم بارد.

هذا الوطن هو الحبيبة فلسطين، بلاد الآلام والآهات.

موطن النكبات والنكسات.

وطن قتّل شعبه تقتيلا.

بلاد أضناها التعب، بلاد خذلها العرب، ولم يسعفها أحد.

كانت فلسطين فيما مضى زينة البلدان، أرض الزيتون الخضراء، وأرض السلام والأمان، إلى أنْ جاء يوم طغى عليها عدو لعين، تجبر بمساندة الأنذال، واِحتلها بمساعدة دول خائنة، باعت عروبتها وطبعت، فأضحت الحرب تعم أرض السلام، فسرقت الحرية من مواطنيها وسلبت الحقوق.

لكن هذا الوطن مازال صامدا، ومقاوما العدو بأبسط المعدات من حجارة وبالونات حارقة وصبر ودعاء.

لله درّ فلسطين كم تعبت، وكم شهدت من مجازر وحروب.

صوت الحرب، صوت مؤلم يتسلل إلى أذني فيفزعني، بكاء بلا توقف، شهقات متتالية تخرج من أعماق الروح.

أصوات القنابل، والقصف، والدبابات، وصوت تحطم البيوت والعمارات بفلسطين، صوت يائس وحزين.

طلقات متتالية تصمّ الآذان، وقنابل تبعث الرعب في النفس.

صوت الحرب لا يُنسى، فصدى الوجع يمزق الأرواح والأجساد، فلا يبقى سوى رنين ذكريات لأحلام قد قتلت، ولحريات قد سلبت وحقوق نهبت.

ببساطة صدى الحرب مؤلم، لا يُنسى.

صرخات أم مكلومة، وبكاء طفل فلسطيني مكتوم، نداء بلا مستمع، كلها أصوات تفزعني.

ما ذنب طفلة فلسطينية حتى تولد في جو تشوبه الحروب؟

أيّ ذنب اقترفته حتى يُقصف بيتها يوم ميلادها؟

أيّ جريمة هذه التي اِرتكبتها حتّى يُسجن والدها في أُولى دقائق ميلادها؟

ذنبها؛ أنها طفلة فلسطينية، طفلة أرضها محتلة، وجيوش العدو طمست حقوقها.

فلا تجزعي يا حبيبة قلبي يا فلسطين؛ لأنني جئتكِ من عالم مستكين.

أتيتكِ ووصمة عار العروبة تلاحقني.

جئتكِ وقيد العروبة يكبلني.

قدمت إليك وأنا أجر أذيال الخيبة خلفي فعالمي مهزوم، مكلومة جحافله.

أتيتكِ وأنا أتجرع كأس الخيبات وأرثي الشعب العربي.

فيا أمة الضاد التي أسقت العالم حكما وأمجادا،

ما بال اليوم مجدك يتيما منحازا؟

ما بال إنسانيتك مهجورة وشعبك خلف قطيع الخرفان منقادا؟

يا أمة، روت العقول علما وسقت القلوب إحساسا، ما بالك اليوم تمشين كعجوز كسيرة الخطى؟

يا أمة، كانت منابرها نورا وهدى، أضحت اليوم صمتا يلفه السواد.

يا أمة، تاهت بها فلسطين وتُركت للريح تنوح الأوتاد.

ها نحن ذا نسير على وهم الكرامة والعز صامتين، والحرية في أفواهنا رماد.

أبكيكِ اليوم يا أمة خنقتها ذكرى الوجع وأضناها التعب.

أرثيكِ اليوم يا جرح التاريخ، ويا وجع الزمان، أرثيك في دفاتر منسية دون عهد.

ضاعت الحضارات بين سيوف الطغاة بلا عدد، وهوت الأمة العربية وتشتت.

أبكِي صغارا ناموا على الجوع وأنت ترقصين يا أمتي في طرب.

وافلسطيناه!...

مريم بوزناد - الجزائر

1

شموخُ الأرض يبلغ عَنان السّماء، وصوت الحق يقهر طيش الجبناء، وعطر روح الرّوح يسكن قلوب كلِّ الشُّرفاء، وضميرٌ حيٌّ لأمَّة خير الأنبياء، ووجع اليقظة بحناجر الرُّحماء.

وا فلسطينُ!!... علّمينا كيف نعيش بلا أسْر. وكيف نفكُّ قيودنا بأيدينا لنحلِّق بعيدا في سِماك بلا قهر. علِّمينا كيف نمدُّ أعناقنا كالنَّخيل، فنجاوِز أهواءنا وأسوارنا وصراعاتنا المزعومةَ، سفاسف الأمور الّتي نخوض لأجلها معارك من ورقٍ يَهْتَرِئُ مع أوّل قطرة ماء أو تذروه في رمشة عينٍ طواحينُ الهواء.

وا فلسطينُ!!... علِّمينا، كيف نضع حجرًا على حجرٍ، ونقتاتُ جوعَنا حتّى الخواء. علِّمينا، كيف نعتصرُ ظمأنا لتجريَ منه أنهارٌ وعيونٌ تروي أحلامَ أطفالنا الأبرياءِ. علِّمينا، كيف نسقي جمرة النّخوة فينا، قبل أنْ تُطفئها مخاوفُهُمُ الخرساءُ. يريدون غرسَها فينا، ونحن منها براءٌ. ما كنّا نعرفها قبلًا ولم نختبرها يومًا، ولنْ نرتضيَها أبدًا. فنحن كأجدادنا، لا نرهب الأعداء ولا خيانة الجبناء. فنحن، كأجدادنا لا نتخلف عَنِ النّفير، ولا نتقاعس عَنِ المسير. لا نقبل التّحذير ولا التّجزيء ولا التّهجير. فوِجهتُنا دومًا نحو الوطنِ الأسير، لنعيشَ قدرنا، قدرَ التَّحريرِ.

وسنظل نقبض على الجمر، وسيبقى نبضُنا رغم القهر، يتردَّدُ صداه أبد الدَّهر، فلسطينُ دومًا في القلب.

2

وا فلسطينُ!!... ذكِّرينا بأمجادنا التي لانزالُ نقصُّها على الأبطال. كيف يُشهرُ الثَّائرُ صدره العاريَ في وجه الدَّبَّابة، وكيف يقطعُ بسكِّينه الحافي جناح الطَّائرة النَّفَّاثة، وكيف يكتُب تقاسيم فَوزه ويظفَرُ بالشَّهادة.

ذكّرينا، كيف ينتصرُ السَّجين وقد كبّلوا أطرافه بالأشواك. وكيف ينزِف دمه وأَعْيُنُهُ الغائرة تحدِّقُ فيهم دونما اِرتباك. ورغم القيد، يبتسم وقد تقرَّحتْ جروحُه، لتسخرَ ممَّن لا فعل لهم غيرُ الخَباثةِ.

وا فلسطين!!... يا مسرى الرّسول وقد صلّى بالأنبياء. ويا جنّة الله في الأرض ومطمح الحضارات من شتَّى الأرجاء. أخبرينا، كيف كنت مدى التَّاريخ مقبرةً للغُزاة، وقلعةً منيعةً يخشاها الطُّغاة. أخبرينا، كيف قهرتِ الصَّليبيّين في حِطِّين. وكيف كنت في عين جالوت ردمًا حصينًا أمام سيلِ المُفسدين.

فكيف يدَّعون ما يدَّعون؟!... ويقولون إنّهم سيغلبون؟!... ويحهم، كيف يفكِّرون؟!...

ولو جمعوا كلّ السَّاسة والقادة، وكلّ الشياطين والمَردَة. ولو حشدوا كلّ المدافع والطّائرات، ولو أشهروا كلَّ الصّواريخ والقذائف والقنابل وما شاؤوا مِنَ الأسلحة الفتَّاكة، ما اِهتزّ لها فتى القسَّام وما بيده غير رشَّاشة.

ومهما قتلوا وشرّدوا وأسروا وهجّروا.. ومهما دمّروا وخرَّبوا وفتكوا.. فأنتِ الثّبات والصُّمود، ونحن على العهد باقون، ولن نفرِّط في الأمانة. فقلوبهم شتّى وإنِ اِجتمعوا، وقلوبُنا توحَّدت فيك. الله ناصرُنا ومولانا، ومالهم غير الأقنعة الجبانة.

وسنظلُّ نقبض على الجمر، وسيبقى نبضنا رغم القهر، يتردَّدُ صداهُ أبد الدّهر، فلسطينُ دومًا في القلب.

3

وا غزّة كنعان!... غزَّة القوَّة والعزَّة، وفي الحضارات الكنز والثروة.

يا غزّة هاشم، غزّة العزّة والمَنعة. أرض الرِّباط حين تدور الرَّحى وتعصفُ الأهوالُ بالأمَّة.

وا غزَّة!... يا أرضنا الحرَّة، طيورٌ أبابيلٌ تذود عن الدُرَّة. وطفل كانت له يومًا جرّة. خبَّأَ فيها رسوماته الأولى، وأحلامه الصّغيرة، وألعابه العشرة، وعقودًا كانت على قارعة الطَّريق، خبّأها بالمرَّة. وحين اِنكسرتِ الجرّة، واِنبلجت أحلامُه المشروعة، ووعودًا نُكِّست مرّةً بعد مرّة. واِنكشف المستور وما دُبِّر خِلسةً خلف الدَّهاليز وتحت

طاولات المَعَرَّة. وأيقنتِ العقولُ؛ لا لعقود الذُّل والهوان، ولا سلام ولا تطبيع ولا اِبتذال. واِنتفض الفدائيّون بغزّة ليلًا، وفي النَّهار زأروا جهرًا.

يا طائر الوقواق، لملم فراخك الملعونة واِرحل بعيدًا عنَّا، وخذ أوراقك وأكاذيبك المزعومة، واِرحل بعيدًا عنَّا. إلى بولندا أو أيِّ لندا... ولكن، اِرحل بعيدًا عنَّا. لا تُمنِّي نفسك بالخيالات المستحيلة. فلن تطأ جَبَالْيا، ولن تطأ غزّةَ، ولن تطأ أرضنا الحرّة. فاِرحل بعيدًا.. بعيدًا عنّا.

لا تُصدِّق ما يقولونه عنّا، فأنت تعرفُنا. لسنا القطيع الذي تُفرِّقُه الضِّباعُ، لتستدرِجَه فردًا فردا. لسنا النَّعام الذي يدسُّ رأسه في الرِّمال وينآى بنفسه عن السِّجال. إنَّما فرٌّ نُتبِعُه كرًّا، وجزرٌ نُعقُبه مدًّا.

جَنِّد كلَّ طاقاتك، وقوّاتك، واِستخباراتك، وذكاءك الصناعيَّ، وتحاليلك القويَّة.. وفتِّش في دمائنا عنَّا. فنحن نسلُ الجبَّارين ولن تجد غير جينات الثّورة والبطولة مغروسةً فينا. فنحن كالبحر في هدوئه طوفانٌ، له ألف صولة وجولة.

وسنظلُّ نقبض على الجمر، وسيبقى نبضُنا رغم القهر، يتردّد صداه أبد الدَّهر، فلسطين دومًا في القلب.

4

وا فلسطين!... يا أرض كنعان مِنَ العاصي إلى العريش. يا أرض أريحا وأسدود وعكا وغزّة الحرَّة. يا أرضنا المنخفضة على الشّاطئ، يا أرضنا الأبيَّة. يُريدُون زَيفًا تحريف التّاريخ. وجاؤوا كَذبًا بخرافة أرض الميعاد، أباطيل تشهد لها أسفارُهم زورًا. اِدِّعاءات لا تسْتسِيغُها العقول المُستنيرة. بل إنَّ الشُّرفاء مِنْ أنصارهم، يوكي وبوتزوغارودي يُنكِرون مَزاعِم الهولوكوست، أُكذوبة القرن العشرين. ذريعةٌ قذرة يَذرِفون بها دموع التَّماسيح. ويستجْدون بها ضمائر المُغفَّلين. بَذرةٌ عفِنةٌ زرعها الإستعمار غصبًا في قلب أرضنا الطَّاهرة. لتُذيع القلاقل والفتن والتَّفرقة. منطقةٌ ساخنة لا تهدأُ أبدًا. نِقمة وعد بلفور وسايس بيكو، لتبدأ بعد مؤتمر سان ريمون أولى حلقات مشروعهم الإستيطانيّ-الاستعماريّ الصهيونيّ... وكانت الفاجعة.

أ بالعين قَذًى أم بالعين عُوَّارُ، شلّالُ الدِّماء يا فلسطينُ هَطَّالُ!... مِنْ دير ياسين إلى غزَّةَ الصَّابرةِ. مجازرُ تتقرَّحُ لعدِّها حتّى الأعداد. مذابحُ يشيب لها الوِلدانُ؛ في سوق حَيْفَا عصابة الإستل، وفي دِيرْ ياسين عصابات الهاغاناهوشتيرون والأرغون.

ليحتفل السفَّاحون بِإنتصارات رخيصة يشمئزُّ مِنْ قُبحها المؤرِّخون. ويا للعار هم بها يُنتخَبُون. وحشيَّةٌ يتبجَّح بها بيريز وبيغن وشارون.. جرائمُ مهَّدت لأنتنِهِم، فباء نَتنياهو بالإثم العظيم. مجازرُ بعدد شعر الرَّأس يندى لها الجبين، عمليّات الرَّصاص المُصوَّب وعمود السَّحاب والجرف الصّامد وغيرها كثير... هجماتٌ مدفعيّة وصاروخيّة ضدَّ أبرياءَ مِنَ المدنيّين. فدمّروا وخرّبوا، وقتلوا وأحرقوا، وشرَّدوا وهجَّروا... إبادة جماعيّة تصدّى لها القسَّام مِنَ الكفتِ الأسود إلى الطُّوفان. لتتوالى صيحات الغضب الثّائر، اِنتفاضة الحجارة، أطفال لقّنوا العدوّ دروسًا في الإرادة والبسالة. اِنتفاضة الأقصى، وثبة الشُّجعان غيرةً على المقدَّسات. لتعصف بعدها رياحُ التغيير برًّا وبحرًا وجوًّا، في عقر مستوطنات الخزي والعار، فكان طوفان الأقصى. وتبدأ فصول الملحمة.

وسنظلُّ نقبض على الجمر، وسيبقى نبضُنا يتردّدُ صداه أبد الدّهر، فلسطين دومًا في القلب.

5

أ بِالعين قَذًى أم بِالعين عُوّار، أ أبكيكِ يا غزَّةُ أم أبكي ذا العار!... مِنْ غزَّةَ إلى غزَّةَ قتل وحرق وتجويع وتهجير ودمار.. والذّريعة أقبح مِنْ أن تُثارُ، والصّمتُ الدَّوْليُّ المذمومُ، تواطؤٌ وخنوعٌ يأباه الأحرارُ. إبادة جماعيّة إجراميّة صهيونيّة تصدَّى لها القسَّام مِنَ الكفتِ الأسود إلى الطُّوفان.

وا جباليا... وا رفح الثَّائرة!... مجازرُ يوميّة تحصدُ الملايين، خرقٌ صارخٌ لكلِّ المعاهدات والمواثيق. قنابل مثقلة بأطنان المتفجِّرات والأسلحة مِنَ المحرَّمات. قصفٌ لمربّعات سكنيَّة ومخيَّمات مأهولة ومواقع للنُّزوح اِدَّعوا كذبًا أنَّها مناطقُ آمنةٌ. فغدت غدرًا محرقة للأبرياء، ووباء المجرمين بإثم أصحاب الأخدود وخساسة الجُبناء.

قُرب المدرسة أشلاء طفلة وقارورة، وورقة مطويَّة بها بعضٌ مِنْ دماء. قال شهود العيان إنَّ الطّفلة كانت تذهب كلَّ يوم إلى الطَّابور. ليس طابور المدرسة ككُلِّ الأطفال في هذه الدُّنيا، بل طابور طويل وطويل للحصول بعد مشقَّة على قطعة خُبز ناشفٍ وقطراتٍ مِنَ الماء.

وا فاخورة.. وتلّ الزّعتر.. وا مدرسة التَّابعين!... مدارسٌ ما عادت مقاعد للدراسة وإنّما مأوى للنَّازحين.

كان بثُّ صور المدرسة المهدَّمة على القناة مريعًا ومرعبًا. مشاهد تتفطَّرُ لها حتى القلوب العاتية. قرأ الصّحفيُّ ما كُتب في الورقة المطويّة وهو يُحاول بكلِّ قِواه حبس دموعه الّتي اِحتشدت في عينيْه، وقد تخضَّبت نبراته ببكاءٍ مرير. "كانت معلِّمتي الّتي اُستُشهدت تحت الأنقاض، أجمل معلِّمة في الدُّنيا. أحببت أنْ أكون يومًا مثلها. لكنَّ الطبيب الّذي سعى لمداواة أخي بعد أنْ أصابته شظيَّة في إحدى ساقيْه، جعلني أتمنّى أنْ أصبح طبيبة. ويا لَلْأَسف، اِضطرّ في الأخير لبتر ساق أخي؛ فمستشفياتنا أصبحت تفتقر للمضادّات الحيويّة والأدويّة اللّازمة، فقرَّرت حينها أنْ أتخصصَّ مُستقبلًا في صناعة الأدوية. أحبُّك أخي، اِشتقت إليك معلِّمتي، أحبك وطني".

6

سأل الصّحفيُّ الحاضرين عن والد الطّفلة ليُعيد الأمانة إلى أهلها. فقالوا: "إنَّه بالمسجد المجاور قصده منذ حين". قُصف المسجد وهو عامر بالمُصلِّين، واُستشهد الوالد وقد كان مِنَ السَّاجدين. حتَّى المساجد ودور العبادة لم تسلم من إجرامهم اللّعين.

وا مسجدنا الأقصى!... يا قُرّةَ العين، ويا وجعنا الّذي يُدْمي، وألمنا الّذي ينزف شررًا وهجه في عروقنا يسري. يريدون هدم أركانك سرًّا، وأركانك في قلوبنا قائمة أبد الدَّهر. يحسبون أنّنا قد ننشغل عنك يوما، وأنت شُغلنا وأرواحنا تفديك ولا تمري.

وسأل الصحفيُّ مرَّةً أخرى: "وأمُّها، أين أين أجد أمّها لأعيد إليها الأمانة؟". فأخبروه أنّها بالمستشفى أنجبت مولودًا؛ لكنّه خديجٌ ويحتاج للعناية.

وا مستشفى الشِّفاء!... مجزرة راح ضحيَّتها العديد مِنَ المرضى والجرحى والطّاقم الأبيض وكلّ مَنْ اِستجار بقلبهم الأبيض. أشلاء الشّهداء تناثرت وكأنَّ القذائف سكاكين تُقطِّع الأجساد. واُستشهدت الأُمُّ، ووليدها الخديج كان قدره البقاء، ونجا في النِّهاية. وضع الصّحفي الأمين الرِّسالة في قِماطه، ثمّ قبَّله وقال: "اُصمُدْ، فأنت الوعد والأمل". ثمّ عاد إلى مقرِّ القناة وقبل أنْ يضع قدمه فيها، أصابته رصاصة الغدر واِلتحق بمصافِّ الشَّهداء.

كثيرة هي الحكايات، ومتقاربة تلك الرّوايات. مذابحُ لا تحترم لا المواثيق ولا آدميّة الإنسان. تدليسٌ يدعمه رجال الدِّينِ مِنَ الحاخامات. يدّعون زورًا أنَّ التّوراة تُبيح قتل الأطفال والنّساء زمنَ الحرب والقتال، ديدن مَنْ حرّفوا دينهم وقتلوا الأنبياء.

وفي دجى اللَّيل، دوّت صيحة الوليد وكأنَّما اِستشعر الأمانة. ليعلن أنَّها البداية، فالأيام دولٌ وستكون لنا السِّيادة. فنحن باقون وبإذن الله أيَّامنا آتية لا محالة.

وسنظلُّ نقبض على الجمر، وسيبقى نبضنا يتردّدُ صداه أبد الدَّهر، فلسطينُ دوما في القلب.

خنساءُ غَزَّة – آلاءُ النجار

بقلم: مصطفى رجب - مصر

إلى الَّتي بالصَّبرِ صارتْ قُدوةً

في زَمنٍ قد ضاعَ فيهِ حَيَاءُ

يا آلَاءَ، يا شَمسًا بَكَتْ وَجَعًا

في قَلبِها نارٌ، وفيها ضِيَاءُ

أبكيكِ أُمًّا ثَكْلَى، شامِخَةً

شَمَخَتْ، فما وَهَنَتْ، ولا اِنْطَفَأَ الضِيَاءُ

تِسْعَةُ أَرْوَاحٍ مَضَوْا، لكِنَّهُمْ

خَلَّدُوا في الأرضِ مَعْنَى الإبَاءُ

أَبْنَاؤُكِ الأطْهَارُ في جَنَّاتِهِم

طَيْرُ السَّمَا، ما مَسَّهُمْ إعْيَاءُ

إنْ قُلْتُ: هلْ في الأرضِ فَاجِعَةٌ؟
قُلْتُ: النِّسَاءُ، وكُنْتِ أَنْتِ العَزَاءُ

أيُّ القُلُوبِ تُطِيقُ فَقْدَ عَصَافِرٍ
من عُشِّ أُمٍّ، مَسَّهُ الإفْنَاءُ؟

لكنَّكِ المَدْرَسَةُ الَّتي تُتْلَى بها
سُنَنُ الثَّبَاتِ، ونُورُها السَّمْحَاءُ

يا خَنْسَاءَ العَصْرِ، يا سِفْرَ الدُّنَى
فيكِ البُطُولَةُ، والمَدَى، والبَهَاءُ

صَبْرُكِ قُرْآنٌ يُرَتَّلُ دائمًا
والحُزْنُ فيكِ كَرَامَةٌ وَنَقَاءُ

قَالُوا: رَضِيتِ؟ فَقُلْتِ: ذَاكَ قَضَاؤُنَا

ما نَحْنُ إلَّا للسَّمَاءِ فِدَاءُ

يا مَجْلِسَ الأَمْنِ، اِنْتَبِهْ! أَطْفَالُنَا

هلْ باتَ يُسْمَعُ في القُلُوبِ نِدَاءُ؟

كَذَبُوا الحُقُوقَ، وقدْ تَوَاطَؤُوا على

قَتْلِ الطُّفُولَةِ، واِمَّحَى الإيفَاءُ

يا أَيُّهَا الإِعْلَامُ، صَمْتُكَ قَاتِلٌ

إنْ كُنْتَ لا تُنْهِي عنِ الإفْنَاء

يا مَن تَرَى قَتْلَ الطُّفُولَةِ عَادِيًا

هلْ فيكَ بَعْضُ النُّورِ أوْ إنْسَاءُ؟

أَبْكِي فِلَسْطِينَ الَّتي في ثَوْبِهَا

ثُكْلٌ، وفي صَوْتِ الحِجَارَةِ رِثَاءُ

لكنَّنَا قَوْمٌ على دَرْبِ الرَّدَى

نَمْضِي، ورَاحَ الدِّينُ والإِصْغَاءُ

ما عادَ فِينَا عَدْلُ أَهْلِ مُحَمَّدٍ
ما عادَ فِينَا نَخْوَةٌ وَوَلَاءُ

آلَاءُ، يا أُمَّ العَظَائِمِ، فَاخِرِي
قدْ صِرْتِ للتَّارِيخِ فيهِ ضِيَاءُ

يَكْفِيكِ أَنَّ الجَنَّةَ احْتَضَنَتْهُمُ
والعَرْشُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ أَفْيَاءُ.

أَنينُ الكَرامَةِ

تَنزِف قُلوبُ المُسلِمينَ بِلا مَنَنْ
والصَّمتُ عارٌ في الزمانِ على الوَطَنْ

تتكسَّرُ الأحلامُ في عَينِ الهَوَانْ
والحقُّ ضاعَ، وغابَ في صمتِ الزَّمَنْ

نحنُ الّذينَ بنَوا المفاخرَ بالقِدَمْ
صرنا نُهانُ وتشتكي مِنّا الدِّيَمْ

أرضُ الرّسالةِ تستغيثُ ولا مُعِينْ
والقُدسُ تَصرُخُ: أينَ سيفُ المُؤمنين؟

غزَّةُ تُبادُ، وأينَ نخوةُ مَن سَكَنْ
في القلبِ دينٌ، لكنّ العقلَ اِنجَفَنْ
يُمطِر عدُوُّ اللهِ نارًا لا تُلينْ
ويرومُ مَسحَ اِسمِ أرضِ فِلسطينْ

في كلِّ بيتٍ مأتمٌ أو بَاكِيَانْ
وصدى اليتامى لا يُجِيبُهُ العِيانْ

هل نحنُ أمَّةُ سيّدِ الخلقِ الكِرامْ
أم أمّةٌ غَرِقتْ بحلمٍ في الظّلام؟

خانَتْ فلسطينَ الوفودُ ومَن وَثَنْ

وتواطأتْ تحتَ الدُّخانِ مِنَ العَلَنْ

في القدسِ طفلٌ يستغيثُ ولا أذانْ
والدمعُ يصرخُ: مَن يُعيدُ لنا الأمانْ؟

كفُّ الموازينِ اِختلَفْنا في السُّبُلْ
لا عدلَ يُرجى، لا حياءَ، ولا أملْ

قوموا فإنَّ النّارَ تَسري في الدُّمَنْ
والحقُّ لا يُبنى على ذلٍّ وَهَنْ

يا أمّةً كانتْ مثالا للثّباتْ
باتتْ تُساقُ إلى الهلاكِ بلا نهَاةْ

فارجعْ إلى اللهِ العظيمِ، فقد بَانْ
أنّ النّجاةَ بهِ، وليسَ بِمَن خَانْ.

قلبي هناك مع غزة

ملاك صغيري - الجزائر

لم أزر فلسطين يومًا؛ لكنني أزورها كل ليلة بقلبي.

لم أمشِ في شوارع غزة، لكنّ صور أطفالها تسكن ذاكرتي، وتبكيني كلّما شاهدتُ خبزًا لا يجد من يأكله هناك.

كيف لإنسان مثلي، لم يذق الجوع، أن يتحمّل مشهد أمّ لا تملك ما تطعم به أبناءها؟

غزة غيّرت حياتي...

جعلتني أُكثر من شكر الله على كل نعمة صغيرة في بيتي، وأُكثر من الدعاء لأولئك الذين يعيشون تحت القصف والجوع والحصار.

دعائي لفلسطين ليس عادة، بل هو وفاء.

لو كان بوسعي أن أقف مع غزة، لفعلت.

لو كنت أملك القوة، لساندتها، لرفعت الحصار عنها، ولجعلتها مستقلة، عزيزة، حرة كما تستحق.

لكن الأمل لا يُقاس بالقوة، بل بالإرادة... وإرادتنا مع فلسطين لا تنكسر.

ورغم هذا، لن أستسلم.

سأبذل جهدي، بكل ما أستطيع: بكلمتي، وبدعائي، وبقلمي، وبموقفي.

فلسطين لن تتحرر بالصمت.

وغزة لن تُترك وحدها...

سنكون يدًا بيد، حتى وإن فرّقت بيننا المسافات والحدود.

حين أنظر إلى أطفال غزة، أرى مستقبلاً ضائعًا...

يغصّ قلبي كلما رأيت طفلاً هناك لا يلعب، ولا يدرس، ولا يحلم.

يتمنّى فقط أن ينجو من قصف أو أن يجد ماءً أو رغيفًا.

مشاهدهم تؤلمني، وتحزّ في نفسي، وتحرك في داخلي أمنية واحدة:

أن أمدّ لهم يدًا، وأن أقدّم شيئًا، حتى لو كانت كلمة صادقة تواسي أو دعاءً في جوف الليل.

سأبقى أدعو لهم، حتى آخر يوم في عمري.

رغم كل شيء... ما زلت أرى الأمل في عيونهم.

تحت الركام، يولد طفل، وفي زحمة الجراح، تصدر ضحكة بريئة من طفل لا يعرف إلا أن يحب الحياة.

في كل مرة يُقصف فيها بيت، ويُرفع فيه أذان... يشمخ فيه رأس شعبٍ لا ينحني.

رأيتهم يصلّون وسط القصف، ويبتسمون وسط الخراب، ويقتسمون الخبز اليابس وكأنه وليمة.

غزة لا تموت... بل تحيا من جديد كل يوم، وتعلّمنا كيف نعيش بكرامة.

أهلها لا يحتاجون شفقتنا، بل يحتاجون أن نحمل قلوبهم في قلوبنا، وأن ندعو لهم كما ندعو لأنفسنا، وأن نكون صوتهم في صمت هذا العالم.

نعم، الألم هناك لا يوصف...

لكن الأمل أقوى.

وأنا أؤمن، وبل أوقن، أن فلسطين ستعود يومًا.

ستُرفع الراية فوق قباب القدس، وسيعود الأذان حرًّا، وستُفتح الأبواب المغلقة منذ عقود.

ولن يكون لي شرف أعظم من أن أقول:

كنت مع فلسطين بكلمتي، وبقلبي، وبالدعاء.

المسجد الأقصى ليس مجرد مسجد، بل هو رمز العقيدة، وعنوان الصمود، ومفتاح التحرير.

حين أراه محاصرًا، أستشعر الذل الذي أصابنا ونحن أمة.

وحين أراه ممتلئًا بالمصلين رغم القمع، أعلم أن النصر أقرب مما نتصور.

في الأقصى، تاريخ الأنبياء، وأقدام الصحابة، وسجدات المجاهدين، ونبض أمةٍ لا تموت.

أشعر بالخجل أحيانًا، كيف نأكل وننام ونسهر، بينما المسجد الذي عرج منه رسول الله ﷺ يُدنس؟

لكني، أعاهد نفسي أن يكون قلبي هناك، مع كل سجدة، ومع كل دمعة، ومع كل تكبيرة.

اللهم، لا تجعلنا من الغافلين.

إلى ذلك الطفل الذي لا يعرف اللعب إلا على صوت القصف،

إلى من ولد تحت الحصار، وعاش في الخوف، وابتسم رغم كل شيء...

أكتب إليك وأنا في أمان، أتناول طعامي وقت ما أشاء، وأنام في هدوء، وأشتكي من أشياء تافهة. بينما أنت تقاوم الحياة يوميًا.

أريدك أن تعرف شيئًا: أنت البطل الحقيقي، وأنت من تعلّمنا معنى الرجولة، والثبات، والإيمان.

أنا، لا أملك أن أوقف الحرب، ولا أن أمسح دمعتك،

لكنني، أعدك أنني لن أنساك في دعائي،

وسأحمل همك في كلمتي،

وسأظل أكتب من أجلك، حتى يصل صوتك، ولو بعد حين.

فلسطين، ليست خبراً في نشرة، ولا "هاشتاغ" ينطفئ بانتهاء الحدث.

فلسطين، وجع نعيشه ودين في أعناقنا.

قد لا نكون في الميدان، ولا نحمل سلاحًا،

لكننا، نحمل نية ودعاءً وكلمةً...

ومن صدق في نيته، رفعه الله درجات.

اللهم، إن قلوبنا معهم، فاجعل أجرنا معهم،

واجعل حريتهم قريبا، ونصرهم آتيا،

اللهم، كن لهم ناصرًا ومعينًا وسندًا.

فِلِسْطينُ

فلسطين، لم تكن يومًا مجرّد قضيّة،

بل كانت وما زالت جزءًا مِنْ عقيدتي،

مِنْ وجداني، ومن إنسانيّتي.

ولئن لم أكن هناك، فكلّ ذرّة في روحي هناك.

لم تطأ قدماي أرض فلسطين،

ولكنّها، اِستوطنت قلبي منذ أنْ عرفت معنى الظُّلم.

لم أشارك في مظاهرة، ولم أحمل سلاحًا،

لكن قلبي، ظلّ ينبض بالمحبّة والصّبر والثّبات...

أقاوم بالكلمة، وبالدعاء، وبالموقف، وأحيانًا بالصمت الّذي يحمل في طيّاته عمق المشاعر.

حين فشلت في مرحلة دراسيّة مهمّة، شعرت بأنَّ الأرض تميد بي،

لكنّني، تذكّرت إخوتي وأخواتي الّذين حُرموا أبسط حقوقهم في التّعليم والدّواء والغذاء،

فاِستحييت مِنْ ضعفي، ونهضت بعزيمة متجدّدة وإيمان راسخ.

دعوت الله كثيرًا، في الفجر، وفي السّجود، وفي الخفاء،

وكان دعائي لوطننا الغالي عبادةً، ومَنْ حمل همّها في قلبه، فقد نال شرفًا عظيمًا.

كم مرّة، رأيت صورة طفلة تائهة بين الرُّكام،

وجهها يصرخ بصمت:

"أين العالَم؟ ولماذا تركتموني؟".

كان ذلك المشهد كافيًا ليوقظ فيّ كلَّ ما ظننته قد مات،

رفعت يديّ، وبكيت، وسألت الله أنْ يحفظَهم مِنْ كلِّ سوء.

كلّما شعرت بالضّياع، تخيّلت نفسي هناك...

أسير بين حجارة المسجد الأقصى،

أصلِّي فيه ركعتيْن:

ركعةَ شكر؛ لأنّني وصلت،

وركعة دعاء أنْ يُرفع الظّلم، وتَشفى القلوبُ.

هذه الأرض، ليست نشرة أخبار،

ولا وسمًا مؤقّتًا،

بل عقيدةً وموقفًا وتاريخًا ومستقبلَ أمّة بكاملها.

مَنْ نصرها بثبات، وجد السّلام،

ومَنْ دعا لها، شرَّفه الله،

ومَنْ تخلّى عنها، خَسِر نفسَه قبل أنْ يخسرَ قضيَّته.

لا أملك أنْ أغيّر الواقع،

لكنَّني أملك الكلمةَ...

وأعدكم أنْ أبقى أكتب حتّى يصلَ صوتُ مَنْ لا صوتَ له،

وأحمل همَّ فلسطين في قلبي، كما علّمني مَنْ سبقوني في الإيمان والصِّدق.

كلّما رأيت طفلًا في غزَّةَ يبتسم رغم الصِّعاب،

أشعر أنَّ النصرَ قريبٌ.

وكلّما رأيت المصلِّين في الأقصى رغم التّحدّيات،

أدركتُ أنَّ هذه الأرضَ لا تموتُ،

وأنَّ الشّعوب الّتي تسجدُ، لا تنكسر.

مشاركتي في هذا الكتاب ليست مجرّد كلمات،

بل عهدٌ قلبيٌّ:

أنْ أظلَّ وفيّة لوطني الغالي،

وأنْ أكتبَ له، وعنْه، ومعه،

حتّى يُكتب له الفرجُ، كما كُتب له الصَّبرُ.

اللَّهُمَّ، اِحفظْ أهلَ فلسطينَ،

وكنْ لهم ناصرًا ومعينًا،

واِجعل لنا معهم سهمًا في النَّصر،

ولو بكلمة.

فلسطينُ، في القلب وستظلُّ فيه.

القَلْبُ، لَا يَنْسَى. ولَكِنَّ الأَمَلَ، لَا يَمُوتُ

فلسطين... يا جرحًا مفتوحًا في قلب أمّتي، ويا وجعًا لا يهدأ في قلبي الصّغير. كلّما سمعت بإسمك، يختنق صوتي، وتتبلّل عيناي. كيف لقلب فتاة في الثّامنة عشرة أنْ تتحمّل كل هذا الحزن، وكلَّ هذا القهر، وكل هذا الصّمت؟

لم أرَكِ يومًا، ولم ألمس ترابك، ولم أتنفّس هواءكِ... لكنّكِ تسكنينني منذ أنْ فتحتُ عينيَّ على هذا العالم. أسمع صوتك في دعاء أمّي، وفي دموع أبي حين يشاهد الأخبار، وفي صمت أخي وهو يحدّق في صور الأطفال الشّهداء. أنتِ لستِ أرضًا بعيدة عنّي، أنتِ جزء منّي، تعيشين في دعائي، وفي كتاباتي، وفي آمالي.

كلُّ شيء فيكِ يُبكيني: أطفال حفاة يركضون بين الأنقاض، وأمّهات يودِّعن أبناءهنّ وكأنَّ الموت صار ضيْفًا يوميًا: مساجدُ تُهدَم، وبيوتٌ تُمحى، ووجوه صغيرة لا تعرف إلَّا الخوف والدّمار. أحيانًا أنظر إلى حياتي، فأجدني أعيش في بيت دافئ، أذهب للمدرسة، أكتب، وأحلم... ثمَّ أفكِّر في فتاة مثلي في غزَّةَ، لا تطلب الكثير، فقط ليلة بلا قصف أو رغيف خبز دافئ أو حضن أمٍّ لم يطمره الردم.

أشعر بالعجز. ماذا يمكن لفتاة مثلي أنْ تقدّمه؟ هل تكفي الكلمات؟ وهل يسمع أحد دموعي؟ لكنّني، رغم ضعفي، أؤمن بشيء لا يتغيّر: أنَّ الله لا يخذل مَنْ ظُلم، وأنَّ دعاءنا -وإن كان همسًا- يصل.

لهذا، كلّ ليلة، أرفع يدي إلى السّماء وأدعو مِنْ أعماق قلبي: يا ربِّ، كنْ معهم، وإحفظهم كما حفظت يونس في بطن الحوت، ونجِّهم كما نجّيت موسى مِنَ البحر، وكنْ لهم كما كنت مع محمّدٍ في الغار، حين قلت له: "لا تحزنْ، إنَّ الله معنا" التّوبَةُ 40.

أعلم أنَّ الطريق طويل، وأنَّ الألم ثقيل؛ لكنّي أؤمن أنَّ الشّمس ستشرق ذات يوم على أرضك، لا على أنقاض، بل على بيوت عامرة، وقلوب مطمئنّة. سيأتي ذلك

الصّباح الّذي نراك فيه كما تحلمين: حرَّةً، ومزهرة، وآمنة. سيعود فيه الأذان إلى المسجد الأقصى عاليًا، وتعود المآذن تصدح بلا خوف، وتُفتح أبواب القدس للمصلّين السّاجدين، لا للمحتلّين المدجّجين بالسّلاح.

فلسطين... وجع القلب لا يُنسى؛ ولكنَّ الأملَ لا يموت. سنبقى نحبّك، ونحملك في قلوبنا، ونكتب اِسمك في دفاترنا، ونزرع ذكرك في ذاكرة الأجيال. ونحن، نحن البنات الصّغيرات لن ننسى، وسنظلّ ندعو، ونحلم، ونؤمن... حتّى تعودي إلينا حرّةً، كما يليق.

الحُلْمُ الَّذي غَيَّرَ حَيَاتي

ملاك نور الهدى - الجزائر

كنتُ أعيش مثل كثير من الناس، أركض خلف الأيام دون أنْ أدري لماذا... حتى جاءني ذلك الحلم الذي قلب كياني. رأيت نفسي أسير في طريق طويل ومظلم، لا يكاد يُرى فيه النور. فجأة، اِنفتح باب من ضوء، ومنه خرجت أصوات أطفال يضحكون، وصوت مؤذِّن يرفع الأذان من بعيد، ثم اِرتسمت أمامي صورة القدس... شامخة رغم الجراح.

اِستيقظت وأنا أبكي، شعرت أنَّ شيئًا انكسر بداخلي، وأنَّ شيئًا آخر وُلد. لم يعد الحلم مجرد صورة عابرة في نومي، بل صار نداءً يلاحقني كلَّ يوم. صرت أكتب، وأبحث عن المعنى، وأقاوم ضعفي، وأحمل في قلبي قضية أكبر مني.

ذلك الحلم لم يغيّر حياتي فقط، بل ولّد في داخلي إنسانًا جديدًا: إنسانًا يؤمن أنَّ القوة ليست في الجسد، بل في الفكرة... وأنَّ الحياة لا تُقاس بعدد الأيام، بل بما نزرعه فيها من أثر.

أنا أتألَّمُ

موسى أوفاج - الجزائر

في حيّز من هذه الأرض ولدت الأم والشقاء.

حكم على مصير من ولد فيها أنْ يموت شهيدا.

شعب لم ير روح اِستقلال أبدا، ولم يذق طعمها،

ولكن بقي يقين في قلوب أهلها بأنها ستشهد تحريرا يوما، ولن تستغنيَ عن أرضها من أجل محتل. ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتمُ الأعلون إنْ كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: 139].

قصص تعذيب ترويها نفسها على وجوههنّ، تقرأها في ملامح أطفالهنّ.

ماتوا قهرا وجوعا وقتلا وتعذيبا، وما زال صوتهم يترعرع يرفض الخشوع.

فلسطين.. إنها عنوان لكل قضية إنسانية.

حدود في الخارطة ترسم معها الصبر والكبرياء لأهلها، لتورّثه لأبنائها،

ليحملوا على أكتافهمُ النضال، وفي قلوبهم رقّة على بعضهم، وحقد على الاحتلال.

يعيشون تحت أشجار زيتونها لتكون شاهدة على أفعالهم:

أنّهم من سيكافح حتى الموت من أجل اِستقلال. ﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون﴾ [آل عمران: 169].

في فلسطين، هناك قلب كبير يحمل بصمات شهدائها الكرام،

في قلوب ذويهم تبقى قصصهم حكاية تروى بفخر، وتتناقلها الأجيال،

لتروى قضية كانت وما زالت مستمرة.

مهما قتل منا، لنْ نتخلّى عن أرضنا. ﴿فاِستقمْ كما أُمِرتَ﴾ [هود: 112].

ستبقى أرواحهم ترافق هذه الأرض المقدّسة،

لتكون رواياتهم في صمود باقية لن تنسى ما دام النضال مستمرا.

ستبقى ذكرى الأطفال الذين يلهون ببراءة حول جدتهم،

لتفاجئهم قنابل عدوّ فتخطف أرواحهم دون ضمير أو وجدان.

كيف للذاكرة أنْ تنسى؟ كيف خُطفوا من الدنيا قبل أنْ يفهموها؟

ماتتِ البراءة في قلوب أطفالها، ولم يعرفوا معنى أنْ يكونوا أطفالا.

حُرموا الأمانَ، وعاشوا الفقر بالصبر. ﴿إنَّ مع العسر يسرا﴾ [الشّرح: 6].

ومنهم مَنْ فقد طفولته من الجوع.

هل قلب الأم سينسى؟ هذه جراحة لا تلتئم.

ولا الأب الذي يغادر صباحا لا يدري هل سيعود إلى منزله في المساء سالما؟

....

في فلسطين، هنا وهناك، حجارة كل منها تهمس باِسم شهيد،

تتفاخر بأنها تعطّرت بدمائه.

دموع تذرف ليست خوفا بل فخرا بالصمود.

مهما اِشتدت الحرب، ستبقى بسمة طفل تزيل الهموم.

فلسطين تُخبرنا بأنها ستبقى حية لن تموت. ﴿ولا تحسبنَّ الله غافلا عمّا يعمل الظالمون إنما يُؤخِّرهم ليوم تَشخَص فيه الأبصارُ﴾ [إبراهيم: 42].

مدارس أطفال محطمة، أعدادهم تتناقص كل لحظة.

يرحلون ليس فقط عن مدرسة بل عن دنيا.

هكذا حالهم ينامون بين أنقاض وعلى بقايا الحرب.

يمشون ويعلمون أنهم قد يتعثّرون بشيء يفقدهم حياتهم.

أطفال في العمر؛ ولكنهم شُعلة متّقدة.

حملت فيهم المرأة الفلسطينية ليس فقط دقات قلب،

بل لحنا يقول: "نحن مَن سيحمل السلاح في غد

في وجه من يقول إننا محتلون!"

ليس الأمل بأن تنفجر الغمة مجرد كلمة تقال،

بل هو يقين يتراقص على الشفاه،

ينبت في أعماق القلوب كزيتونة عتيقة لا تموت.

هو واقع الصمود: مهما بلغت ضحايانا،

فالجيل القادم ينظر إلى دوره بأعيُنٍ تحمل قصص الأجداد،

ليكمل مشقّة طريق التحرير. ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنَّ الله قويٌّ عزيزٌ﴾ [المجادلة: 21].

يا فلسطين، صرخات تملأ شوارعك:

«أين كنتِ؟ وما حل بكِ؟»

لقد خانك التعبير والوصف،

فلغة الأحرار عاجزة عن حمل جلالك،

والحروف تتكسر على أعتاب أساطيرك.

أنت اللازورد الذي يثوي في الصدور،

والدم الذي يغني في العروق:

«لن نموت.. لن نرحل.. لن ننسى». ﴿ولا تيأسوا مِنْ رَوْح الله إنّه لا ييأس مِنْ رَوْح الله إلَّا القوم الكافرون﴾ [يوسف: 87].

"الأمل في فلسطين ليس شموعا تنطفئ،

بل شموسًا تشبه أطفالا يرسمون الكون بأحلامهم.

هناك.. حيث لا ينتهي الليل،

تبقى القلوب منازل للنجوم،

وتظل الأصوات ترتقي بالحجارة إلى سماء الوجع والكرامة."

بقلب ينزف مسكا ودما:

أين الحياة التي نعيشها بين النعيم والهواء العذب،

وهم في قلب العاصفة ينامون على وسادات من رصاص؟!

رصاص العدو لن يمنعهم من حلم..

فحتى الأحلام عندهم تولد مقاومة! ﴿فإنَّ مع العسر يسرا. إنَّ مع العسر يسرا﴾ [الشرح: 5-6].

يا أمَّ الشهداء..

يا سرَّ الأرض وسرَّ السّماء،

ستهون الجراح ويهض الجبل،

وسيبقى الأمل سلسلة ذهبية

تربط قلبك بعودة لن تخون!

ستبقين..

نساء من طينة الكرامة وماء العزة،

تنسجين من ألمك نسيجا يُزهر وطنا،

وتربّين على صدرك أجيالا تحمل القضية

مثلما تحمل القمر بين الغيم!

هنّ..

يحتسين كأس الصبر في صباحات الحصار،

ويخبزن من ذكرى العودة خبزا يشبع القلوب!

يجعلن من الحياة البائسة بسمة..

ومن الرصاص زينة لأصابع الأطفال!

لا تسألي كيف؟!

ففي فلسطين..

تحت الدخان..

تبتلع الكلمات..

وتنبت الأعاجيب! ﴿إنَّ الله لا يضيع أجرَ المحسنين﴾ [التّوبة: 120].

.... بقلب يكتب بالمسك والدمع والدم:

في أعينهنّ...

ترعى الأمهات بذور الغد بينما

يحملن نعش اليوم على أكتاف الصبر.

كيف للقلب أنْ يحتملَ؟

يحتمل أنْ ترى طفلك يرحل قبل أنْ تراه يمشي،

ويبقى الوعد وحده هو الجليس..

والحافظ لأسرار العودة! ﴿ولَنَبْلُونَّكم بشيءٍ مِنَ الخوف والجوع ونَقْصٍ مِنَ الأموال والأنْفُس والثّمرات وبَشِّرِ الصّابرين﴾ [البقرة: 155].

ليس الأمل هناك مجرد كلمة..

إنما هو:

- سكِّين الأم التي تقطع به الخبز.. والحجارة!

- دمعة الأب التي تسقي بها جذور الزيتون القديمة

- صرخة الطفل التي تثقب جدد الصمت الدولي ﴿وإذْ يَمْكُر بكَ الذين كفروا ليُثْبتوك أو يَقْتلوك أو يُخْرجوك ويَمْكرونَ ويَمْكر الله واللهُ خَيرُ الماكرين﴾ [الأنفال: 30].

- دقائق تهزّ الكون

لحظة اِنتظار الأم..

لحظة تتحول فيها الساعة إلى سلسلة من نار،

حتى يعود الولد..

سليما أو على نعش من نور! ﴿ولَنَبْلُوَنَّكم حتى نَعلْمَ المجاهدين منكم والصّابرين ونَبْلوا أخباركم﴾ [محمّد: 31].

الموت ليس نهاية

لا تقل "ماتوا"..

قل: "اِنتقلوا من ظُلمة الأرض إلى نور السماء"،

فالشهيد هناك يراقبكم..

يحاور الأنبياء عن أحوال أرض الأسرار! ﴿ولا تقولوا لمَنْ يُقْتَل في سبيل الله أموات بلْ أحياء ولكن لا تشعرون﴾ [البقرة: 154].

العدالة الإلهية

سيأتي يوم..

ترجع فيه الحقوق لأصحابها،

وتنزف الأجراس دما حراما..

دما كتب على جباه الظُّلمة

قبل أنْ يخطر ببال البشر! ﴿إنَّما بَغْيُكُم على أنفسكم﴾ [يونس: 23].

كبرنا وسمعنا

ميليا عبد الكريم - اليمن

لا أعلم منذ متى بدأت أسمع باسم فلسطين، لم أكن أدرك ما هي، ولا أين تقع، غير أنّ ذلك الاسم كان كلما مرّ أمامي في طفولتي، شعرتُ بنبضٍ يرافق قلبي، نبضٍ غامضٍ لا أعي له سببًا، ولم أفهم سرَّه حينها.

كبرنا ونحن نسمع عن شجرة الزيتون، وعن المسجد الأقصى، وعن أرض الأنبياء، تلك الأرض الطاهرة التي اجتمع فيها الرسل جميعًا ليصلّوا خلف نبيّنا الحبيب -صلى الله عليه وسلم-

كبرنا وسمعنا، ثم رأينا كل ما مرت به فلسطين الجريحة: الخذلان، والوحشية، والصبر الذي يسكن قلوبًا لا تعرف الخوف. قلوبًا تبتسم رغم الأسى، ورغم القهر، ورغم الخذلان، ورغم العدوان...

ظلّت فلسطين شامخة، تصفع بصمودها وجوه الخونة الذين باعوها، وقبضوا ثمنها دماءً زكيّة... ليست دماء أبرياء، بل دماء عظماء.

رغم كل الخذلان، ظلّت فلسطين تُعلّم العالم دروسًا في الصبر والإيمان وقوة الاحتمال في أقسى الظروف. شعبٌ يعرف كيف يموت مبتسمًا، وكيف يتحمل الجوع ولا يترك أرضه. أطفالها يبتسمون في قمة جوعهم، يشمخون والصواريخ تنهال عليهم، ويرقصون فوق أنقاض الدمار كأنهم يعلنون أن الحياة أقوى من الموت.

أتذكر ذلك اليوم في سنتي الجامعية الأولى، حين وقع الحادث الذي لم أنسه قط. كان صباحًا غريبًا؛ الشمس بدت حزينة، والهواء ثقيلًا، كأن الأرض كانت تُنذر بشيء جلل.

أشرقت الشمس فوق غزة، بين جدارين ضيقين، كان طفل صغير يحتمي خلف جسد أبيه. لم يحمل سلاحًا، لم يصرخ، فقط اختبأ. الكاميرا كانت هناك شاهدة، تلتقط ما لا ينبغي أن يُلتقط، توثّق ما لا يجب أن يحدث.

محمد، ذلك الطفل الذي لم يعرف معنى الحرب، كان يعرف فقط أن للخوف صوتًا، وأن الرصاص لا يفرّق بين من يحمل بندقية ومن يحمل حلمًا صغيرًا. جسده الصغير كان يرتجف، وعيناه تبحثان عن حضن، وعن مأمن، وعن لحظة نجاة.

والأب، ذلك الجدار البشري، كان يصرخ للعالم: **"**لا تطلقوا النار، إنه طفل**!"**

لكن العالم كان أصمَّ، والرصاص كان أعمى.

وفي لحظة، سقط الصمت.

سقط محمد، وسقطت معه براءة الأرض، وسقطت كل الكلمات التي لم تُنطق.

لم يكن مشهدًا عابرًا، بل جرحًا غائرًا في ضمير الإنسانية. ومنذ تلك اللحظة لم يعد محمد مجرد طفل، بل صار رمزًا، ووجهًا للحق المغتال، وسؤالًا بلا إجابة: لماذا يُقتل الأطفال أمام الكاميرات ولا يهتز للعالم جفن؟

ومنذ ذلك اليوم، أطلقوا علينا في الكلية اسم **"**دفعة الشهيد محمد الدرة**"**، والتصق ذلك الاسم بوجداني إلى الأبد. وظل اسمه يرافقني في كل ذكرى، وفي كل مجزرة، ورغم مئات الألوف من الأطفال الشهداء، ظلّت قلوبنا ترافقهم بالدعاء، وظلّت تنزف معهم.

والدمع يفيض من أعيننا. لكن في كل مجزرة، وفي كل قهر وحصار، تنهال علينا من فلسطين دروس جديدة: أن القوة ليست في الأرض وحدها، بل في الإيمان الشامخ. نراهم فنرى الشهداء مبشّرين بالجنة وهم ما زالوا أحياء،

يا له من شرفٍ عظيمٍ منحهم الله، كُتبت لهم الجنة وهم ما زالوا على الأرض.

فلسطين، رغم كونها جرحًا نازفًا في القلب، إلا أننا نشعر بالفخر، لأن هناك عربًا يتحلّون بالشجاعة، يواجهون الرصاص بصدور عارية، ولا يستسلمون.

أطفالٌ يقفون أمام البنادق بثبات، لا يرتجفون، ولا تتوتر أنفاسهم، بل يجعلون من يحملون السلاح هم من يرتجفون أمام ذلك الشموخ وتلك القوة.

واليوم، أدركت أن فلسطين تسكنني. كلما كتبت، كتبت عنها، حتى وإن لم أذكر اسمها. كانت في كل مشهدٍ حزين، وفي كل ابتسامةٍ مبتورة، وفي كل طفلٍ يبحث عن أمّه بين الركام. كانت في نبرة صوتي حين أتحدث، وفي رعشة يدي حين أصف الألم.

لم تعد فلسطين خبرًا يُقرأ، بل مرآةً أرى فيها وجهي، ووجوه من يشبهونني في الحلم والخذلان. تعلمت منها أن الكرامة لا تُشترى، وأن الأرض لا تُباع، وأن الجوع لا يهزم من يعرف طريقه إلى السماء. تعلمت أن الأمل لا يحتاج إلى سقف، بل يكفيه قلب يؤمن، وسماء مفتوحة، وطفل يضحك رغم كل شيء.

فلسطين، أحبك من الصميم، وحبك ليس اختيارًا، بل هو إرثٌ نرثه، ولا انفكاك عنه.

شَامِخَةٌ ... فِي القَلْبِ وَإِلَى الأَبَدِ

نجاة بابوري - الجزائر

فلسطينُ، ليست وطنا مسلوبا، ولا اِسم دولة بين دول العالم، ولا عنوانا يرد في الأخبار.

فلسطينُ، روح تسكننا، وألم يدمي قلوبنا، وجرح لا يتوقَّف عَنِ النّزف،

هي القصيدة الّتي لا ينتهي إنشادها، والذّاكرة الّتي لا تموت،

منذ طفولتنا، تعلّمنا أنَّ فلسطينَ ليست وطنا فحسْبُ، بل هي صرخة طفل يكتب بدمه ما عجز الملوك أنْ يسطِّروه في مجدهم.

هي غزَّةُ الّتي تصرخ في وجه عالم متخاذل، وهي القدس الّتي تتوهّج بالحنين إلى ترابها المقدَّس.

يا أرضَ الزّيتون، يا ترابا باركه الله في كتابه، ويا حكاية مُخلَّدة بدماء الشّهداء.

أنت القصيدة الّتي تحفظها الأجيال، وأنت أرض المعجزات ومهد الرّسالات، ونبض الأرواح وعشق لا يذبل ولا ينتهي،

فيك، تلتقي السّماء بالأرض، ويكتب التّاريخ صفحاته بلحظات خشوع.

يا فلسطين الشّامخة كشموخ شجرة الزّيتون، والعصيّة كحائطك العتيق، والطّاهرة كسجدات المصلِّين على ترابك،

الشّهيد فيك، ليس رقما في نشرة الأخبار، بل هو حكاية تبدأ يوم ولد، وتستمرُّ بعد رحيله.

كلُّ أمٍ تُخبرنا أنَّ فلسطين أكبر مِنَ الحزن، وأنّها قادرة على تحويل الفقد إلى نور، والدِّماء إلى بذور حياة.

أكتب عنك، لا لأنّني أملك القدرة على فكِّ أسرك، بل لأنَّ الكتابة سلاحي الوحيد.

فكلماتي إنْ عجزتْ عَنْ حمل السِّلاح، فهي قادرة على أنْ تُبقيَك ذاكرةً حيَّةً في قلوبنا.

الجوع في غزَّةَ، ليس مجرّد إحساس عابر في بطون الأطفال، بل هو حصار يُطوِّق الحياة مِنْ كلِّ الجهات.

الخبز هناك، ليس رغيفا عاديا، بل معركة يوميّة تخاض في صمت، بين أمٍّ تبحث عن كسرة تُسكِت بها بكاء صغيرها، وطفل يمدُّ يده إلى السّماء، لعلَّها تنزل عليه رحمة تعوِّضه عَنْ خبز الأرض.

أيّها العالَم، هل تعرف كيف يبدو الجوع حين يُصبح وجها لطفل نحيل، بعينين تمتلئان بالرّجاء؟

هل جرّبت أنْ ترى الطّفولة وهي تُحاصر بين رغيف مفقود وحليب مقطوع؟

الجوع في غزَّةَ، ليس عجزا عَنِ الأكل، بل هو شهادة أخرى على ظلم يفتك بالإنسانيّة.

ورغم ذلك، فإنَّ أبناءَ غزَّةَ يُعلِّموننا أنَّ الجوع لا يُميت الكرامة، وأنَّ البطون الخاوية قد تظلُّ برؤوس عالية؛ لأنّها لم تنحنِ للذُّلِّ، ولم تبعْ حقَّها في الوطن.

وفي زنازين الاِحتلال، يقبع رجال ونساء حملوا في قلوبهم وطنا أكبرَ مِنَ الجدران الأربعة.

الأسرى، ليسوا غائبين، بل حاضرين أكثر منّا جميعا، يضيئون في العتمة كما تضيء القناديل في اللّيالي الطّويلة.

كلُّ رسالة يكتبها أسيرٌ، هي صرخة في وجه السّجّان. وكلُّ إضراب عَنِ الطّعام، هو درس في الكرامة يعلِّمنا أنَّ الحرّيّة لا تُمنح بل تُنتزع.

الأسرى، هم وجوه فلسطين في أقسى اِمتحاناتها، وهمُ الّذين يجعلوننا نُدرك أنَّ الصّبر يمكن أنْ يتحوَّلَ إلى قوَّةٍ لا تُقهرُ.

فالطّفل الفلسطينيّ الّذي يلعب بين الرُّكام، ويضحك رغم الغبار، كيف تعلّمت أنْ تبتسمَ في وجه الموت؟

في عينيك، حكايةُ أكبرُ مِنْ عمرك. وفي صوتك، نشيد لا يعرف الإِنكسارَ.

أطفالُ فلسطينَ، لا يملكون ألعابا؛ لكنّهم يملكون أحلاما، وأحلامهم أكبرُ مِنَ الدَّبّابات.

يكتبون بالطّباشير على الجدران المهدَّمة ما لا يستطيع السِّياسيّون أنْ يقولوه في خطبهم.

كلُّ اِبتسامة طفل هناك، هي وعد بأنَّ الحياة لا تُهزم.

فالمقاومة في فلسطينَ، حياة كاملة. منذ أكثر مِنْ قرن، وفلسطينُ تُحاصر؛ لكنَّ شعبَها لا يستسلم.

المقاومة، ليست فقط بندقيّة، بل هي كتاب، وقلم، وزيتونة، وحجر، وصرخة أمٍّ، وخطوات طفل نحو المدرسة.

المقاومة في فلسطين، ليست لحظة غضب، بل حياة كاملة تصرّ على أنْ تستمرَّ رغم الحصار.

العالم كلّه قد يتخاذل؛ لكنَّ شعبا مثْل هذا لا يُهزم.

كيف يُهزم مَنْ يزرع في قلب كلِّ بيْت مفتاح العودة؟

كيف يُهزم مَنْ يُخبِّئ في قلبه نشيد "موطني" بوصفه وصيّة؟

كيف يُهزم مَنْ يجعل الموت طريقا للحياة؟

فلسطين... يا جرحَنا الّذي لا يندمل، ويا نبضنا الّذي لم يتوقّف. ستبقين في قلوبنا حتّى لو تواطأ العالَم بأسره، وستبقين قدسا شامخا، وغزّة تصرخ رغم الجوع، وطفلا يضحك رغم الدّموع.

ستبقين نشيدا لا يخفت، وذاكرة لا تمحى، ووعدا إلهيّا لا يسقط بالسّنين ولا ينقض بمعاهدات.

قد يطول اللّيل؛ لكنَّ فجرَ الحرّيّة آتٍ لا محالة.

وقد يشتدُّ الجوع؛ لكنَّ خبزَ الكرامة سيخبز مِنْ جديد على أرضك الطّاهرة.

وستعود فلسطين كما وعدت: حرّة، وأبيّة، وشامخةً... في القلب وإلى الأبد.

أُنسُ القَمَر

نجوى الشيخ – سورية

اِخترق ضوء القمر عتمة اللَّيلِ الحالك..

وكسرت أصوات الذئاب سكون الطريق...

كنتُ أسيرُ مرغمة لا أدري إلى أين سيؤولُ بي الطريق...

أنا قمر... ولكنني، لستُ كالقمر الذي يضيء عتمة اللَّيل لا...

بل أنا ضوئي انطفأ منذ زمن...

منذ أن رحلت أنت وخلَّفتَ ورائكَ كلَّ خيبَاتِي...

"انس"

ما زالَ اسمكَ يطرقُ بابَ قلبي كلَّ ليلة...

لأجدَ نفسيَ اليوم أُجازفُ بروحِي لأعيدَ لُقيَاك...

ذئب... واحد وآخر يا إلهي هناكَ الكثيرُ منها إنَّها تقترب...

تقترب وتقترب أكثر وأكثر...

"أَنس" ساعدني يا أنس...

أنيابهُ الحادَّة تُقطِّرُ الدِّماء هذا يعنِي أنَّه التهَمَ وجبةً قَبلي...

ماذا...!!!

أنس...

لا لا يُمكِن يستحيل...

أنسسسس...

راحت قَمَر تُنَادِي بأعلى صوتها...

قَمَر... قَمَر

أنس... لقد رأيتُ حلماً مزعجاً كان هناك ذئاب كُثُر ودماء و...و...

وأنت خَشيتُ... ظننتُ أنّي فقدتُك...

كنتُ...

أنس: حسناً اِهدئي كان مجرَّد حلم عابِر...

أنا هُنا بجانِبِك...

لم أُصَب بأيِّ أذىً، لا تقلقي...

قمر: ولكن، أنتَ تعرف أن هذا الحلمَ قد تكرَّرَ أكثرَ من مَرَّة...

أنس: ألا تفقهينَ قولَهُ تعالى (قُلْ لَنْ يُصِيْبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا)...

قمر: ولكنَّي أخشَى عليكَ السُوء...

ما دمنا بِكنَفِ اللهِ نحتميْ فلنْ يصيبَنَا مكروه...

قَمَر: الحياة شَديدة الوَثاق ولا يجرؤ على محاربَتِهَا إلَّا مَن لا يَخشَاها...

فلا تخشي عَلَي ولا تلاحِقي الأحلام...

اِدعِي الله...

فنحنُ أولادُ فلسطين خُلِقنَا لنَمُوت...

فَإمَّا أن نعيشَ أحراراً في وطنِنا...

وإمَّا أن نموت...

فلا مرحباً بحياةٍ تُكَلِّلُهَا العُبُودِيَّة لِجنود لا يُحنِيهِم إلَّا السُجود...

قمر: اِذهب وامضِ في طريق الحقِّ يا أنس...

قَلبي مَعَك

وراحت قمر تُنشد...

فِلَسطِين...

إنَّنِي أسمعُ صوتَ جِراحكِ والأنين...

أسمعُ كلمةَ الخِذلانِ من كُلِّ العابرين...

ما بالهُم...؟

ألا تعنيهُم دولةُ سَكَنُ المُسلِمين ....

أم أنَّهُم نَامُوا وخَارَت قِواهُم خائِفِين...

مَا لي أرى الخِذلان والخوف والأسى فِي كُلِّ مَن كانَ

جَبَّاراً عَظيما...

مَاتت قُلوبُ النَّاس أجمعين...

ولَم يبقَ قلباً صادقاً يدافعُ عنِ الحقِّ الجَسِيم...

ولكن...

لا تقلقِ فِلسطِيْنيَّتِي...

فأنتِ في كَنِفِ الرحمنِ الرَّحيم...

ونصركِ قادِم لا مَحَالَة... بإذنِ ربِّ العَالَمِين...

والسَّلام...

غَزَّةُ الجَريحُ

نسرين الشكري - سوريا

كم معيب بالزمان صمتنا

وكم جار على الدهر أزماتنا

كم لزمنا أوجاعنا

وفارقنا ديارنا

كم سرنا خلف مصائب أقدارنا

الغصّة، إعترت أفواهنا

وسالتِ الدّماء مِنْ قلوبنا

كم صفير قد صفر إنذارنا

هلُمَّ لنلملمَ جراحنا

ماذا بعد؟!

ذكروا القدس بصحائفنا

عَنْ غزوة قد جردوا حضارتنا

غزَّةُ أُصمُدي لك العزّة ومصدر شموخنا

لك من القلب نداؤنا

حرّرك الله مِنْ أيادي أعدائِنا

صهيون لا تنهض

فستخسف الأرض

وسينزل الله جنودنا

اِحْذرنا، نحن عربان

لكنّنا إنْ حاربنا

لنْ ترى لك مخرجًا يا عدوّنا

أُخرجْ مِنْ ديار قد صببت بها النّيران

شعلة قد أوقدت بها الجمرات

وأحرقت قلوب الأحرار

هُبُّوا لنجدة إخواننا بغزَّةَ

غزَّةُ، جرحُها ينزِف بشدّة وتنادي يا عربان

أين إخوتهم؟

هبُّوا لنجدتهم

هبُّوا لنجدتهم

أُخرجوا إلى السّاحات نادى الوغى

وسطرت الصّحائف بالأشعار

أنتمُ الأحرارُ إنْ غدا بكم أعمالنا

سلام على فلسطين

نهاد نايت حمود - الجزائر

فلسطين ليست خريطة على الورق، ولا نشرة أخبار تمرّ سريعًا على شاشة صامتة. فلسطين ليست حدودًا ولا جغرافيا، إنها قلب العالم النابض بالوجع، والجرح الذي لم يلتئم منذ أكثر من سبعين عامًا.

فلسطين... هي الأرض التي حين تمشي فوقها تشعر أنّك تطأ على تاريخ الأنبياء، وأن رائحة دموع الأمهات ممزوجة بعبق الياسمين في الأزقة. هي الحلم الذي يكبر مع كل طفل، والصرخة التي تولد مع كل شهيد.

غزّة... تلك البقعة الصغيرة التي لا تكاد تظهر على الخريطة، لكنها تحمل في صدرها ما يعجز الكون عن احتماله. مدينة ليست ككل المدن، مدينة صارت مرادفًا للصمود. هنا، كل بيت حكاية، وكل حجر شاهد، وكل دمعة نهر، وكل طفل نجم يرفض أن ينطفئ.

تخيّل أمًّا تبحث بين الأنقاض عن بقايا لعب طفلها... أصابعها تنزف من شدّة الحجارة، عيناها تمتلئان بالدموع، وقلبها ينفجر بالصراخ الصامت: "يا الله... أين ولدي؟".

ثم فجأة، تجد دمية صغيرة مغطّاة بالغبار، فتضمّها إلى صدرها كأنها وجدت قلبه... وتجلس هناك، على ركام البيت، تبكي دمية وتبكي وطنًا، وتبكي نفسها التي تكسّرت ألف مرّة.

في غزة، ليس الليل مظلمًا فقط... بل مثقّب بصوت الطائرات، ومشقوق بصوت القصف، ومثقل بأنين الجرحى... ومع ذلك، ترى الأطفال يرسمون قلوبًا على الجدران المهدّمة بالطبشور، ويكتبون: "سنكبر... وسنعود... وسنبقى".

كيف لهم أن يجدوا للحياة لونًا وسط هذا الرماد؟ كيف لهم أن يبتسموا وأجسادهم الصغيرة تحمل من الألم ما لا يطيقه الكبار؟

حين يرحل شهيد، لا يرحل وحده... بل يأخذ معه قطعة من قلوبنا جميعًا. في فلسطين، الموت ليس غريبًا، بل ضيفا دائما يعرف الطرق كلها: يدخل البيوت بلا استئذان، ويجلس على الأرائك الفارغة، وينام في أسرّة الأطفال، ويترك خلفه فراغًا لا يُملأ.

لكن الغريب أنّ الفلسطينيين، رغم كثرة موتهم، لم يتعلّموا الاستسلام. يشيّعون الشهداء بالزغاريد، ويرفعون الأكف إلى السماء، ويقولون: "يا رب، تقبّل".

وكأن الموت عندهم ليس النهاية... بل بداية أخرى لحكاية أعمق، كأن الشهيد لا يرحل، بل يتحوّل إلى قنديل يضيء الطريق للآخرين.

كيف لمدينة محاصرة منذ سنين، أن تتحمّل ما لا تتحمّله الجبال؟

الكهرباء مقطوعة، والماء مالح، والبحر محاصر، والسماء مراقَبة، والأرض ممزّقة، والحدود مغلقة... ومع ذلك، ترى الناس يخرجون كل صباح، ويفتحون دكاكينهم، ويبيعون الخبز والخضار، ويضحكون في وجوه بعضهم، ويقولون: "الحمد لله".

أيّ قوة هذه؟ أيّ صبر هذا؟

إنها ليست مجرّد قوة بشرية، إنها بركة من السماء. إنها رسالة للعالم كلّه أن الفلسطيني ليس إنسانًا عاديًا، بل معجزة تمشي على قدمين في غزة، والطفل لا يعرف معنى الطفولة كما نعرفه.

طفل في السابعة، يحمل بقايا حقيبة مدرسية ويقول: "سأصير طبيبًا لأعالج جراح أمي".

طفلة في التاسعة، ترسم على الورق بيتًا ملوّنًا وتكتب فوقه: "هذا بيتي الجديد؛ لأن بيتي القديم راح".

أطفال يلعبون بين الركام كما يلعب غيرهم في الحدائق. أطفال لا يخافون من الطائرات ولا من الدبابات... بل يخافون فقط أن ينسى العالم قصّتهم. أ لا ترون؟ أ لا تسمعون؟

هناك مدينة تُقصف كل يوم، وهناك دماء تسيل كل لحظة، وهناك شعب يُقتل أمام أعينكم... وأنتم صامتون.

هل صار الدم الفلسطيني أرخص دم على وجه الأرض؟ هل صار موت الأطفال مشهدًا عاديًا لا يهزّ قلوبكم؟

إن غزة ليست وحدها... بل نحن من تركناها وحدها. نحن الذين صرنا نكتفي بالمتابعة على الشاشات، نذرف دمعة ثم نكمل حياتنا كأن شيئًا لم يكن. لكن فلسطين لا تريد دموعنا فقط... إنها تريد أن نبقى أوفياء لها، وأن نحملها في قلوبنا، وفي أقلامنا، وفي أصواتنا، وفي صلواتنا. رغم كل شيء، يظل الأمل في فلسطين مثل زيتونها... لا يشيخ ولا يموت.

من بين الركام، تنبت زهرة. ومن بين الدم، يولد طفل يضحك. ومن بين الدمار، يخرج صوت يقول: "سنعود".

الأمل في فلسطين ليس خيارًا، بل هو قدر؛ لأنّ من عاش على هذه الأرض يعلم أنّها ليست أرضًا عادية... إنّها الأرض التي مرّ منها إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد -عليهم السلام- إنها الأرض التي باركها الله، والتي لن يتركها الله أبدًا.

فلسطين ليست حربًا مؤقّتة، وليست قضية قديمة تُنسى.

فلسطين هي نحن... هي كل ما تبقّى من إنسانيتنا.

حين نبكي لأجل فلسطين، فإننا لا نبكي أرضًا بعيدة... نحن نبكي أنفسنا التي ما زالت قادرة على الشعور. وحين نخذل فلسطين، فإننا نخذل إنسانيتنا أولًا.

فلسطين ستبقى، مهما طال الليل.

ستبقى في قلوب الشهداء، وفي دموع الأمهات، وفي ضحكات الأطفال، وفي أدْعِية الجدّات، وفي الأذان الذي لا ينقطع من مآذن القدس وغزة والخليل ونابلس.

ستبقى؛ لأنها ليست مجرد أرض... إنها روح، والروح لا تُقتل.

سلامٌ على فلسطين...

سلامٌ على غزة...

سلامٌ على كل حجر فيها، على كل شهيد ارتقى، وعلى كل طفل وُلد بين النار والبارود؛ لكنه ما زال يحلم بالسماء الصافية.

سلامٌ على أرضٍ تُبكينا اليوم... لكنها غدًا ستضحك؛ لأن وعد الله حقّ، والحرية قادمة لا محالة.

كلُّ حَجَرٍ مِن أحْجارِها قِصَّةُ عِشْقٍ وَحِكايَةُ وَفاءٍ

نور هبتية - الجزائر

غزّة.. مدينة الألم والصمود، حيث تتلألأ الأرواح في سماء الحرية، ورغم أنفاس الحرب القاسية تظل شامخة، كالجبل الأشمِّ في وجه العاصفة. في شوارعها تروي الدماء حكاية الأبطال، وتتحدث القلوب عن صمود لا يتزعزع، فتجد في أعيُنِ الأطفال براءة تنبض بالأمل، وفي كلمات الشيوخ حكمة تروي قصة النضال. في كل حجر من أحجارها، قصة عشق وحكاية وفاء، وفي كل ليلة من لياليها، أمل ينبض بالحياة، رغم الظلام الذي يلفّها، تظل الشموع مضاءة، والأرواح متّقدة.

غزّة، هي الأمل الذي لا يموت، ورمز المقاومة الذي يلهمنا جميعًا، هي الأرض التي ستبقى في قلوبنا، وستظل دائمًا مصدر إلهامنا وقوتنا. في كل مرة تسقط فيها قنبلة، يولد فيها ألف شهيد، وفي كل مرة يدمر فيها بيت، تبنى فيه ألف مدينة. غزّة، هي المدينة التي علّمتنا معنى الصمود، وعلّمتنا أنَّ الحياة أقوى منَ الموت، وأنَّ الحرية أغلى منَ الدماء.

غزّة، ستبقى في ذاكرة التاريخ، رمزًا للشجاعة والإباء، وستبقى في قلوبنا، مصدر فخر واِعتزاز؛ لأنها المدينة التي لم تركع، ولم تستسلم، بل ظلت صامدة، وشامخة كالجبل الأشمِّ في وجه العاصفة.

جِراحٌ لَا تَموتُ

في أعماق فلسطين، حيث التاريخ يئن تحت وطأة الألم، وترتوي الأرض بدماء الشهداء، تظل الروح مُتّقدة، والأمل رغم الظلام متجددًا. في كل شبر من ترابها، حكاية. وفي كل نفس، قصة صمود.

الأرض التي حملت الأنبياء، وشهدت معجزات السماء، أصبحت ساحة للصراعات، ومسرحًا للآلام. لكن رغم كل هذا، تظل فلسطين رمزًا للعزة والكرامة، وتبقى أحلام الحرية تراود قلوب أبنائها.

في عيون الأطفال، تلمع براءة العالم؛ لكنّها في فلسطين تختلط بدموع الألم، وتصدح بألحان المقاومة. وفي قلوب الأمّهات، تتدفق ينابيع الحنان، وتتحدّى الصبر حدوده، فتصبح الشموع التي تضيء دروب الأجيال.

الشباب، عزيمة وإصرار، يرفعون راية التّحدي، ويسطّرون بدمائهم أروع ملاحم البطولة. والشيوخ، حكمة ووقار، يرون في الأجيال الجديدة أمل المستقبل، ويبثّون فيها روح المقاومة.

فلسطين، يا جرحًا ينزف في القلب، ويا حلمًا يراود الأجيال، لن ننسى عهدك، ولن نخذل أملك. سنواصل المسير، رغم العراقيل، ورغم الظلم، حتّى تعود فلسطين حرة، وتنعم بالسلام والكرامة.

في أعماق الروح، فلسطين. أنت الحلم الذي لن يموت، والذكرى التي لن تُنسى. وستبقى في قلوبنا، رمزًا للصمود، ومنارة للأجيال القادمة.

فِي أَعْمَاقِ القُدْسِ، جَمْرَةٌ لَا تَنْطَفِئُ

في أعماق القدس، حيث الرُّوح تناجي الله

تتألّم الأرض، وتئنّ مِنَ الظّلم والجَوْرِ

فلسطين أرض العزّة، أرض النّخوة والشّرف

تئنّ تحت الإحتلال، وتتألّم مِنَ الجرح

في كلّ شبر مِنْ أرضها، هناك قصّة ألم

شهداءُ وأيتامٌ، ودموعٌ لا تجفّ

الأقصى يئنّ، والمقدَّسات تُهان

والشَّعب يصرخ؛ لكنْ صوتُه لا يُسمع

لكنْ في الأعماق، هناك جمرة لا تنطفئ

روح المقاومة، لا تهزمها المِحَن

في كلّ نفس، هناك أمل لا يموت

أمل في الحرّيّة، أمل في النّصر

سنكتب الشِّعر، وسنرسم الأمل

فلسطين هي الحلم، وهي الأمل

سنقاتل مِنْ أجلها، حتّى النّصر يأتي

وسنرفع راية العزّة، في كلّ مكان

في القدس، حيث الرُّوح تناجي الله

هناك أمل لا يموت، وهناك قصّة كفاح

فلسطين هي الأصل، وهي الحقيقة

وسنقاتل مِنْ أجلها، حتّى النّصر يأتي.

إنـهم ينزفون يا أماه

هاجر ادريوش - المغرب

كل يوم، وكل ساعة، وكل دقيقة، هناك قلب في فلسطين يتوقف عن النبض.

ينزفون حتى يجف الدم، ثم يجوعون حتى تذبل ملامحهم، وعندما يشتد الضعف، تأتي الرصاصة لتُنهي ما تبقى من الحياة.

يا أمي، إنهم لا يقتلون فقط الأجساد... إنهم يقتلون الحكاية، ويطفئون الأغاني، ويمسحون ملامح الوجوه من الذاكرة.

استشهد أنس الشريف، الصحفي الذي كان صوته جسرًا بين آلام غزة وضمائر العالم.

اليوم، أطفأوا الكاميرا التي كانت تفضحهم، وصمت الميكروفون الذي كان يصرخ في وجوههم.

وقبل أن يجف دمه، قتلوا محمد قريقع، مراسل ومصور التلفزيون الفلسطيني الذي حمل الكاميرا بدل السلاح، ووثّق بدمه قبل عدسته.

كان يركض نحو الخطر لا ليهرب منه، يلتقط اللحظة قبل أن تبتلعها الفوضى، ويُخرج الحقيقة من بين الركام.

وغدًا، يا أمي سيقتلون غيرهم، سيبحثون عن كل صوتٍ يشبه الوطن ليخنقوه، وعن كل يدٍ تكتب الحقيقة ليكسروها.

هم لا يخشون الصواريخ ولا الحجارة، هم يخشون الكلمة، ويخشون الصورة، ويخشون أن يراهم العالم على حقيقتهم.

لكن، حتى لو قتلوا الأصوات، ستظل جدران البيوت المهدّمة تروي الحكاية، وستظل الأرض تئن تحت أقدامهم، وستظل السماء تحفظ أسماء الشهداء وترددها مع كل نسمة.

يا أمي، فلسطين لا تموت، حتى لو غابت الأصوات، سيبقى صدى الحق أقوى من رصاصهم.

نَبْضٌ، اِسْمُهُ فِلِسْطِينُ

وسام برارسة - الجزائر

أرضَ مجدٍ صار الدّمُ سُقياها،

يا قِبْلةَ العزِّ، يا مَن ضاعَ محياها.

وطنَ الأنبياءِ، وأمَّ الشّهداءِ،

غدوتِ فريسةً لذئابِ أعداها.

كم طفلةٍ بعيونِ الطّهرِ مُنْهكةٍ،

وكم بيوتٍ على الأطلالِ أفناها.

كم مِنْ كرامةِ حُرٍّ دنَّسوا دمَها،

وكم نفوسٍ بريئاتٍ أضناها.

كنتِ الفخارَ، وكان المجدُ موطنَكِ،

فصرتِ للنّارِ والأوجاعِ مأواها.

وحيدةً في فمِ الموتِ المُحدِّقِ بي،

تخونُكِ الأرضُ، والأقوامُ، والدّارُ.

كم مرَّ ليلٌ على جوعِ الطّفولةِ، لا

قوتٌ، ولا حلمٌ، سوى التّيهِ والعارِ.

يا لوعةَ القلبِ! ما للعجزِ يُوجِعُنا؟

قُيِّدتْ أيدينا، واِمتدّتْ لنا النّارُ.

واللهُ يشهدُ أنّ الدَّمْعَ ما خَمدَتْ

عينٌ، ولا جفَّ فيكِ الحُبُّ يا الدّارُ.

ستعودُ، واللهُ موعدك مؤتمَنٌ،

ما دامَ "لا إلهَ إلَّا اللهُ" منارُ.

نبضُ اليقينْ

ياسمين زناتي - الجزائر

فلسطينُ يا نغمةَ المُوقنينْ

ويا رجفةَ القلبِ حين الحنينْ

أراكِ بعينِ دعاءِ السُجودْ

وفي كلّ فجرٍ نقيٍ ودينْ

أراكِ إذا اشتدّ فينا الألمْ

وفي دمعةِ الثكلى تحتَ العلمْ

وفي صمتِ أمٍ تُربّي الوليدْ

على وعدِ تحريرِ أرضِ الحُلمْ

فلسطينُ يا آيةً في الكِتابْ

ويا قبلةَ الصبرِ وقتَ الغيابْ

تُقاومُ رغمَ الحصارِ العتيّ

وتحيا على عزمِ شعبٍ شباب

نُحبّكِ لا عن هوى عابرٍ

ولكنّ حبُّكِ فينا نَذرْ

عهد من صلاتِنا في القُلوبْ

وعزْمٌ ثوراتهُ مَن غَبرْ

سيأتي النهارُ وإن طال ليلْ

ويبزغُ فجرٌ ويَندحرُ الميلْ

فموعدُنا القدسُ وعدُ الإلهْ

وأحلامُنا عودَةٌ وجَليلْ

خاتمة: دعوة إلى النضال الرقمي

بقلم المفكر: د. إبراهيم تاج

وأنا أجلس على أريكتي المريحة... متوسّدا ريش النعام،

بيدي مشروبي الغازي المفضل، وباليد الأخرى هاتفي الذكي،

وجسم مترهل متثاقل لا يتحرك، ولا يمارس الرياضة.

أنا أرى ما يحدث في فلسطين، والجرائم المرتكبة في غزَّةَ،

ولا أستطيع أن أحرِّك ساكنا...

أنا أعلم جيدا أنني مِنَ القاعدين، وليس لي ما أفعل...

ولكن...

قلبي الميِّت ما زال فيه شيء ما ينبض، كأنّه نداء خفيّ مِنَ الضمير.

عقلي الخامل ما زال أيضا يميز الحقَّ مِنَ الباطلِ...

والفضيلةَ مِنَ الرَّذيلة.

شيء ما فيَّ يرفض الظلم أو على الأقل لا يقبله،

يرفض العدوان، يرفض قتل الأبرياء، فضْلًا عنِ الأطفال والنساء.

أعلم أنَّ التّجويع وحصار النّاس الضعفاء بالمرض والهوان هو فعل الأنذال.

ضميري النائم في سبات يتلفّظ أحيانا ببعض الكلمات:

قاومْ ... ناضلْ... قاطعْ... لا...

...

أنا أدرك أنَّ المواقع مثل لا وعينا الجمعيّ، تلتقي فيها أرواحنا وتتفاعل،

وكثيرا ما تتزاوج فيها أفكارنا... وتلد،

كعدوى بفيروس حميد... لا يتوقف عنِ التكاثر.

فللصورة أثر... وللقصّة أثر،

ولإعجابك وتعليقك أثر...

للنّشر وإعادة النّشر أثر وألف أثر.

هي نوع من تنشيط الذاكرة... والذكرى تنفع المقاومين،

فلا تحقرنْ ما هو بين يديك،

فهو من العمل الذي نحاسب عليه...

قاومْ... فإن المقاومة لها ألف شكل.

...

قاطعْ... فإنَّ للمقاومة ألف لون.

رميت بالمشروب الغازي الّذي بيدي، وتأبطت هاتفي... وقرَّرت أنْ أبدأ،

يمكنني دوما أنْ أبدأ، وأنا ما زلت أجلس على الأريكة نفسِها.

فأنا **مناضل رقميٌّ**... وأفتخر أنْ أكون كذلك.

...

هذه ليست رسالة لأحد، بل هو حوار بيني وبين نفسي،

أنا ذلك الرّجل الكسول...

وأنا كذلك الرجل الّذي لا يزال يقاوم،

ومازال يقاطع...

بقلب لا يموت ولا يستسلم،

لأنَّ القلوب المؤمنة، هي آخر قلاع المقاومة.

...

هذه دعوة إلى النضال الرقمي

... وإلى النضال القلبي.

فِلسطين في القلب

وما في القلب... لا يُهزم!

فِلَسطِين في القلب

خواطر قلوب مؤمنة بالقضية الفلسطينية، وقصائد

هَذَا الكِتَابُ الَّذِي نُقَدِّمُهُ اليَوْمَ، لَيْسَ مُجَرَّدَ صَفَحَاتٍ تُسَطَّرُ بِالحِبْرِ، بَلْ هُوَ نِدَاءُ الضَّمِيرِ الإِنْسَانِيِّ الحَيِّ، وَمِرْآةٌ لِوِجْدَانٍ جَمْعِيٍّ مُتَأَلِّمٍ لِحَالِ فِلَسْطِينَ وَأَهْلِهَا. لَقَدْ اِجْتَمَعَتْ فِيهِ أَصْوَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالكُتَّابِ وَالأُدَبَاءِ وَمُخْتَلِفِ أَطْيَافِ المُجْتَمَعِ مِنْ أَقْطَارٍ شَتَّى... مُتَوَحِّدَةً عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ: أَنَّ فِلَسْطِينَ قَضِيَّتُنَا، وَأَنَّ شَعْبَهَا المُقَاوِمَ رَمْزٌ خَالِدٌ لِلْحُرِّيَّةِ وَالكَرَامَةِ وَالعَدْلِ.

إِنَّ مَا بَيْنَ دَفَّتَيْ هَذَا الكِتَابِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْ إِسْهَامَاتٍ أَدَبِيَّةٍ؛ إِنَّهُ عُرْبُونُ وَفَاءٍ وَإِخْلَاصٍ وَمَحَبَّةٍ، وَبَصْمَةٍ وِجْدَانِيَّةٍ تُعَبِّرُ بِحَقٍّ عَنْ تَفَاعُلِ القُلُوبِ وَالعُقُولِ مَعَ جِرَاحِ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ وَصُمُودِهِ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ الكَلِمَةَ الحُرَّةَ تَظَلُّ سِلَاحًا لَا يَقِلُّ شَأْنًا عَنِ الحَجَرِ وَالبُنْدُقِيَةِ فِي مَعْرَكَةِ البَقَاءِ وَالكَرَامَةِ.

فَلْيَكُنْ هَذَا العَمَلُ الجَمَاعِيُّ المُتَوَاضِعُ، شَاهِدًا عَلَى صِدْقِ اِنْتِمَائِنَا لِلْحَقِّ، وَعَلَى أَنَّ الكَلِمَةَ حِينَ تَتَوَحَّدُ تَغْدُو جِدَارًا مَنِيعًا فِي وَجْهِ النِّسْيَانِ.
وَمَافِلَسْطِينُ إِلَّا نَبْضُ القَلْبِ وَوَهَجُ الرُّوحِ، وَسَتَظَلُّ كَذَلِكَ حَتَّى يَزُولَ الظُّلْمُ وَيُشْرِقُ فَجْرُ الحُرِّيَةِ.

-أ.د. علي كشرود-
رئيس لجنة التدقيق والاستشارة اللغوية

ISBN : 978-9969-9803-1-8

9 789969 980318

مؤسسة الفكر التنموي